الأثير اجزري في تاريخه الكبير الذي سماه الكامل في
سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أن نور الدين المذكور نزل
في البقيعة تحت حصن الاكراد في السنة المذكورة
محاصرا لحصن الأكراد وعازما على قصد طرابلس وهو
في جميع عساكره فاجتمع من الفرنج خلق كثير وكبسوهم
في النهار والمسلمون في غفلة عنهم فلم يتمكنوا
188 من الاستعداد لهم وهربوا منهم ونجا نور الدين
بنفسه وهي وقعة مشهورة معروفة ونزل على بحيرة قدس
بالقرب من حمص وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ
فسير إلى حلب وبقية البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة
وأنفقها ليقوي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثار فقال له
بعض أصحابه إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات
كثيرة على الفقهاء والصوفية والقراء ولو استعنت بها في
هذا الوقت لكان أصلح فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال
إني لا أرجو النصر إلا بأولئك فإنما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم
على فراشي بسهام لا تخطيء وأصرفها إلى من لا يقاتل
عني إلا بسهام قد تصيب وتخطيء وهؤلاء القوم لهم
نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهم وكان
اسمر اللون طويل القامة حسن الصورة ليس بوجهه شعر
سوى ذقنه 245 وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك
الصالح عماد الدين إسماعيل وعمره يوم مات أبوه إحدى
عشرة سنة فقام بالأمر من بعده وانتقل من دمشق إلى حلب

ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسمائة وخرج السلطان صلاح الدين من مصر وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ولم يزل الصالح بها إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة وذكروا أنه لم يبلغ عشرين سنة والله أعلم وكان مبدأ مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة وحدث له قولنج في مستهل جمادى الأولى وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وتأسفوا عليه لأنه كان محسنا محمود السيرة ودفن في المقام الذي في القلعة ثم نقل إلى رباطه المعروف به تحت القلعة وهو مشهور هناك رحمه الله تعالى 246 وتوفي مجير الدين أبق المذكور في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد

189 ودفن في داره كذا وجدته في بعض المسودات التي بخطي والله أعلم ومولده يوم الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببعلبك والله تعالى أعلم 716

مروان بن أبي حفصة أبو السمط وقيل أبو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة يزيد الشاعر المشهور كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي فأعتقه يوم الدار لأنه أبلى يومئذ فجعل عتقه جزاءه وقيل إن أبا حفصة كان يهوديا طبيبا أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل على يد مروان بن الحكم ويزعم أهل المدينة أنه كان من

موالي السموأل بن عادياء اليهودي المشهور بالوفاء صاحب القصة المشهورة مع امريء القيس بن حجر الشاعر المشهور وأن أبا حفصة سبي من إصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان رضي الله عنه ووهبه لمروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين ومروان المذكور من الشعراء المجيدين والفحول المقدمين حكى ابن سيف عن أبي خليفة عن ابن سلام قال لما أنشد مروان بن أبي حفصة المهدي قصيدته التي يقول فيها ( إليك قسمنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر بعد شهر نواصله )
190 ( فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنأ العيش عاجله ) فقال له المهدي قف بحيث أنت كم قصيدتك هذه من بيت قال سبعون بيتا قال فلك سبعون ألفا لا تتم إنشادك حتى يحضر المال فأحضر المال فأنشد القصيدة وقبضه وانصرف ذكره أبو العباس بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال في حقه وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني ويقال إنه أخذ منه عليها مالا كثيرا لا يقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره فمما ناله ضربة واحدة ثلثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد انتهى كلام ابن المعتز والقصيدة اللامية طويلة

تناهز الستين بيتا ولولا خوف الإطالة لذكرتها ولكن نأتي
ببعض مديحها وهو في أثنائها ( بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
* أسود لهم في بطن خفان أشبل ) ( هم يمنعون الجار
حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل ) ( تجنب لا في
القول حتى كأنه * حرام عليه قول لا حين يسأل ) ( تشابه
يوماه علينا فأشكلا * فلا نحن ندري أي يوميه أفضل ) (
أيوم نداه الغمر أم يوم بؤسه * وما منهما إلا أغر محجل )
( بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية
أول ) ( هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن
أعطوا أصابوا وأجزلوا ) ( وما يستطيع الفاعلون فعالهم
* وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا ) ( ثلاث بأمثال
الجبال حباهم * وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل )
191 هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظا
ومعنى وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم وله
في مدائح معن المذكور ومراثيه كل معنى بديع وسيأتي
شيء من ذلك في أخبار معن إن شاء الله تعالى وحكى ابن
المعتز أيضا عن شراحيل بن معن بن زائدة أنه قال
عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في
قبة وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج
قال شراحيل فإني لأسير تحت القبة إذ عرض له رجل من
بني أسد في شارة حسنة فأنشده شعرا فقال له يحيى بن
خالد في بيت منها ألم أنهك عن مثل هذا البيت أيها الرجل
ثم قال يا أخا بني أسد إذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول

وأنشده الأبيات اللامية المقدم ذكرها فقال له القاضي أبو يوسف وقد أعجبته الأبيات جدا من قائل هذه الأبيات يا أبا الفضل فقال يحيى يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى الذي تحت القبة قال شراحيل فرمقني أبو يوسف بعينيه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي من أنت يا فتى حياك الله تعالى وقربك قلت أنا شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني قال شراحيل فوالله ما أتت علي ساعة قط كانت أقر لعيني من تلك الساعة ارتياحا وسرورا ويحكى أن ولدا لمروان بن أبي حفصة المذكور دخل على شراحيل المذكور فأنشده ( أيا شراحيل من معن بن زائدة * يا أكرم الناس من عجم ومن عرب ) ( أعطى أبوك أبي مالا فعاش به * فأعطني مثل ما أعطى أبوك أبي ) ( ما حل قط أبي أرضا أبوك بها * إلا وأعطاه قنطارا من الذهب ) فأعطاه شراحيل قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ما يروى عن أبي مليكة جرول بن أوس المعروف بالحطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة

192 لسانه وكثرة هجوه الناس كتب إليه من الاعتقال ( ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر ) ( ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فارحم عليك سلام الله يا عمر ) ( أنت الإمام الذي من بعد صاحبه * ألقت إليك مقاليد النهي البشر ) ( ما آثروك بها إذا قدموك لها * لكن لأنفسهم قد كانت الأثر ) فأطلقه

وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس فقال له يا أمير المؤمنين اكتب لي كتابا إلى علقمة بن علاثة لأقصده به فقد منعتني التكسب بشعري وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الأجواد المشهورين قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو علقمة بن علاثة بن عوف بن ربيعة ويقال له الأحوص لصغر عينيه ابن جعفر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عمر رضي الله عنه استعمله على حوران فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك فقيل له يا أمير المؤمنين وما عليك من ذلك علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك أن تأثم وإنما هو رجل من المسلمين تشفع بك إليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه ثم أنشد ( لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى علقته الحبائل ) ( فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت * فما في حياة بعد موتك طائل ) ( وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى إلا ليال قلائل ) فقال له ابنه كم ظننت أن علقمة كان يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها فأعطاه ابنه إياها
193 والبيتان الأخيران من هذه الثلاثة وجدتهما في ديوان النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية بن جابر من جملة قصيدة يرثي بها النعمان بن أبي شمر الغساني وأخبار ابن أبي حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة

إلى الإطناب بذكرها وكانت ولادته سنة خمس ومائة وتوفي سنة إحدى وثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى 247 وحفيده مروان الأصغر وهو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب ابن مروان الأكبر المذكور وكان من شعراء عصره المشاهير المقدمين وذكر المبرد في كتاب الكامل طرفا من أخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ثم قال ويروى أن عبد الرحمن المذكور لدغه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له ما بك قال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال أبوه قلت الشعر والله ثم قال بعد ذلك وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فإنهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فإنهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويحيى ابن أبي حفصة كنيته أبو جميل وأمه تحيا بنت ميمون يقال إنها من ولد النابغة الجعدي وإن الشعر أتى إلى أبي حفصة بذلك السبب وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه أرنبة أنفه وهو دليل على الفصاحة والبلاغة والله تعالى أعلم

194 717 مسلم صاحب الصحيح أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع

يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه إليها في سنة تسع وخمسين ومائتين وروى عنه الترمذي وكان من الثقات وقال محمد الماسرجسي سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث وقال الخطيب البغدادي كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف إليه فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته فأنهي إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه فلما كان يوم مجلس محمد ابن يحيى قال في آخر مجلسه ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع

195 كل ما كان كتب منه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف

عنه وعن زيارته  وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الأحد ودفن بنصر أباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة  هكذا وجدته في بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره وأجمعوا أنه ولد بعد المائتين  وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظني أنه قال سنة اثنتين ومائتين ثم كشفت ما قاله ابن الصلاح فإذا هو في سنة ست ومائتين نقل ذلك من كتاب علماء الأمصار تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري الحافظ ووقفت على الكتاب الذي نقل منه وملكت النسخة التي نقل منها أيضا وكانت ملكه وبيعت في تركته ووصلت إلي وملكتها وصورة ما قاله بأن مسلم بن الحجاج توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين والله أعلم رحمه الله تعالى  وقد تقدم الكلام على القشيري صاحب الرسالة فأغنى عن الإعادة 248 وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله ابن خالد ابن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري وكان أحد الحفاظ الأعيان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة القزويني وكان ثقة مأمونا  وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور

شعث عليه محمد بن يحيى في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه ويقول محمد بن عبد الله

196 فينسبه إلى جده وينسبه أيضا إلى جد أبيه وتوفي محمد المذكور سنة اثنتين وقيل سبع وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم 718 مسعود الطريثيثي أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الطريثيثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين تفقه بنيسابور ومرو على أئمتها وسمع الحديث من غير واحد ورأى الأستاذ أبا نصر القشيري ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور نيابة عن الجويني وكان قد قرأ القرآن الكريم والأدب على والده وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فأحسن وقدم دمشق سنة أربعين وخمسمائة ووعظ بها وحصل له قبول ودرس بالمدرسة المجاهدية ثم بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ثم خرج إلى حلب وتولى التدريس مدة في المدرستين اللتين بناهما له نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه ثم مضى إلى همذان وتولى التدريس بها ثم رجع إلى دمشق ودرس بالزاوية الغربية

وحدث وتفرد برياسة أصحاب الشافعي رضي الله عنه وكان عالما صالحا صنف كتاب الهادي في الفقه وهو مختصر نافع لم يأت فيه إلا بالقول الذي عليه الفتوى وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في أمور دينه وحفظها أولاده الصغار حتى تترسخ في أذهانهم من الصغر قال بهاء الدين ابن شداد 197
في سيرة السلطان ورأيته يعني السلطان وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤونها بين يديه من حفظهم وكان متواضعا قليل التصنع مطرحا للتكليف وكانت ولادته سنة خمس وخمسمائة في الثالث عشر من شهر رجب الفرد وتوفي في آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق وصلي عليه يوم العيد وكان نهار الجمعة ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق وزرت قبره غير مرة رحمه الله تعالى وكان والده من طريثيث وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة عميد الملك الكندري فلا حاجة إلى إعادته وهي من نواحي نيسابور وقال بعض أصحابه أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم ( يقولون إن الحب كالنار في الحشا * ألا كذبوا فالنار تذكو وتخمد ) ( وما هي إلا جذوة مس عودها * ندى فهي لا تخبو ولا تتوقد ) والله تعالى أعلم بالصواب
719 الشريف البياضي الشاعر الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد

الرزاق البياضي الشاعر المشهور هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت
198 في أول ديوانه أنه أبو جعفر مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي والله أعلم بالصواب وهو من الشعراء المجيدين في المتأخرين وديوان شعره صغير وهو في غاية الرقة وليس فيه من المدائح إلا اليسير فمن أحسن شعره قصيدته القافية التي أولها ( إن غاض دمعك والركاب تساق * مع ما بقلبك فهو منك نفاق ) ( لا تحبسن ماء الجفون فإنه * لك يا لديغ هواهم ترياق ) ( واحذر مصاحبة العذول فإنه * مغر وظاهر عذله إشفاق ) ( لا يبعدن زمن مضت أيامه * وعلى متون غصونها أوراق ) ( أيام نرجسنا العيون ووردنا الغض * الخدود وخمرنا الأرياق ) ( ولنا بزوراء العراق مواسم * كانت تقام لطيبها أسواق ) ( فلئن بكت عيني دما شوقا إلى * ذاك الزمان فمثله يشتاق ) ومنها ( أين الأغيلمة الألى لولاهم * ما كان طعم هوى الملاح يذاق ) ( وكأنما أرماحهم بأكفهم * أجسامهم ونصولها الأحداق ) ( شنوا الإغارة في القلوب بأعين * لا يرتجى لأسيرها إطلاق ) ( واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسراء * حتى درت الآماق ) ( ونمى الحديث بأنهم نذروا دمي * أو لي دم يوم الفراق يراق ) وله وهو

مما يغني به ( كيف يذوي عشب أشواقي * ولي طرف
مطير ) ( إن يكن في العشق حر * فأنا العبد الأسير )
199 ( أو على الحسن زكاة * فأنا ذاك الفقير )
وله وكتبها على مروحة ( وارحمتا لي أن حللت بمجلس
* ان لحنوا فيه يكون كسادي ) وله أيضا ( يا ليلة بات
فيها البدر معتنقي * إلى الصباح بلا خوف ولا حذر ) (
كلامه الدر يغني عن كواكبها * ووجهه عوض فيها عن
القمر ) ( فبينما أنا أرعي في محاسنه * سمعي وطرفي
إذ أنذرت بالسحر ) ( ولم يكن عيبها إلا تقاصرها * وأي
عيب لها أشنى من القصر ) ( وددت لو أنها طالت علي
ولو * أمددتها بسواد القلب والبصر ) والبيت الأخير منها
ينظر إلى قول أبي العلاء بن سليمان المعري وهو ( يود
أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر )
وشعره كله على هذا الأسلوب وقد تقدم له بيتان في ترجمة
صر در الشاعر وتوفي البياضي المذكور يوم الثلاثاء
سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ببغداد
ودفن بمقبرة باب أبرز وإنما قيل له البياضي لأن أحد
أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من
العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فإنه كان قد لبس
بياضا فقال الخليفة من ذلك البياضي فثبت الاسم عليه
واشتهر به وذكر ابن الجوزي في كتاب الألقاب أن
صاحب هذه الواقعة هو محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد
الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي

الله عنهم أجمعين وهو الذي يقال له البياضي ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم
200 720 غياث الدين السلجوقي أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب غياث الدين أحد ملوك السلجوقية المشاهير وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود وجماعة من أهل بيته كان مسعود المذكور قد سلمه والده في سنة خمس وخمسمائة إلى الأمير مودود ابن التوتكين وجعله صاحب الموصل ليربيه فلما قتل مودود في سنة سبع وخمسمائة وتولى الأمير آق سنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة مكانه سلمه والده إليه أيضا ثم أرسله من بعده إلى جوش بك أتابك الموصل أيضا فلما توفي والده وتولى موضعه ولده محمود المقدم ذكره أخذ جوش بك يحسن لمسعود المذكور الخروج على أخيه محمود وأطمعه في السلطنة ولم يزل على ذلك حتى جمع العساكر واستكثر منها وقصد أخاه والتقيا بالقرب من همذان في ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان النصر لمحمود وقتل في هذه الواقعة الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي وقد سبق شيء من خبره في حرف الحاء ثم تنقلت الأحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ودخل بغداد واستوزر شرف الدين أنو شروان بن خالد

201 القاشاني الذي كان وزير المسترشد وقد تقدم ذكره في ترجمة الحريري صاحب المقامات وكان سلطانا عادلا لين الجانب كبير النفس فرق مملكته على أصحابه ولم يكن له من السلطنة غير الاسم وكان حسن الأخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك أن أتابك زنكي صاحب الموصل أرسل إليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل إليه وأقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى قارب أذان المغرب فعاد إلى خيمته وأذن المغرب وهو في الطريق فرأى إنسانا فقيها في خيمة فنزل إليه فصلى معه فسأله كمال الدين من أين هو فقال أنا قاضي مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو أنا وأنت وقاض في الجنة وهو من لا يعرف أبواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان من الغد أرسل السلطان وأحضر كمال الدين فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما أسعد من لا يرانا ولا نراه ثم أمر به فقضيت حاجته وأعاده من يومه ومن ذلك أنه اجتاز يوما في بعض أطراف بغداد فسمع امرأة تقول لأخرى تعالي انظري إلى السلطان فوقف وقال نقف حتى تجيء هذه الست تنظر إلينا وله مناقب كثيرة وكان مع لين جانبه ما ناوأه أحد وظفر به وقتل من الأمراء الأكابر خلقا كثيرا ومن جملة من قتل الخليفتان المسترشد بالله والراشد لأنه

كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل استقلاله في السلطنة فلما استقل استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فقويت الوحشة بينهما وتجهز المسترشد وخرج لمحاربته وكان السلطان مسعود بهمذان فجمع جيشا عظيما وخرج للقائه وتصافا بالقرب من همذان فكسر عسكر الخليفة وأسر هو وأرباب دولته وأخذه السلطان مسعود مأسورا وطاف به بلاد أذربيجان وقتل على باب المراغة حسبما شرحناه في ترجمة دبيس بن صدقة وهو الذي خلع الراشد وأقام المقتفي كما هو مشهور

202 ثم أقبل مسعود على الاشتغال باللذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحات متكلا على السعادة تعمل له ما يؤثره إلى أن حدث له القيء وعلة الغثيان واستمر به ذلك إلى أن توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وقيل يوم الأربعاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور بهمذان ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم تقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت إليها ( فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما ) ودفن في مدرسة بناها جمال الدين إقبال الخادم وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه رأيت السلطان المذكور ببغداد في السنة المذكورة وسار إلى همذان ومات بباب همذان وحمل إلى أصبهان رحمه الله تعالى وقد تقدم شيء من خبره في ترجمة دبيس بن صدقة

صاحب الحلة ومولده يوم الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسمائة ولما ولي السلطنة جرت بينه وبين عمه سنجر المقدم ذكره منازعة ثم خطب له بعد عمه المذكور ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة والله أعلم

203 721 عز الدين مسعود صاحب الموصل أبو الفتح وأبو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ابن آق سنقر أتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين قد تقدم خبر جده وجد أبيه وخبر ولده نور الدين أرسلان شاه وغيرهم من أهل بيته وسيأتي ذكر أبيه في هذا الحرف إن شاء الله تعالى ولما توفي والده قام بالملك ولده سيف الدين غازي المقدم ذكره لأنه كان أكبر الإخوة وكان قد خلف هذين الولدين وعماد الدين زنكي صاحب سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكي وكان عز الدين المذكور مقدم الجيوش في أيام أخيه غازي ولما خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود المقدم ذكره وأخذ دمشق وتقدم إلى حلب وحاصرها خاف غازي منه وعلم أنه قد استفحل أمره وعظم شأنه واستشعر أنه متى استحوذ على الشام تعدى الأمر إليه فجهز جيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعودا المذكور وسار يريد لقاء السلطان وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان خروجه رحل عن حلب وذلك في مستهل رجب الفرد سنة

سبعين وخمسمائة وسار إلى حمص وأخذ قلعتها وكان قد
أخذ البلد في جمادى الأولى من السنة المذكورة بعد
خروجه من دمشق قاصدا حلب ووصل عز الدين مسعود
إلى حلب لينجد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل ابن نور
الدين صاحب حلب هذا كان في الصورة الظاهرة وفي
الباطن كان غرضهم ما ذكرناه من
204 خوفهم على بلادهم فانضم إلى عز الدين
مسعود عسكر حلب وخرج في جمع كثير ولما عرف
السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة
وراسلهم وراسلوه واجتهد في أن يصالحوه فلم يفعلوا
ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض
الأكبر والمقصود الأوفر والقضاء يجر إلى أمور لا
يشعرون بها فقام المصاف بين العسكرين وقضى الله
تعالى أن انكسر جيش عز الدين وأسر السلطان جماعة من
أمرائه ثم أطلقهم وذلك يوم الأحد التاسع عشر من شهر
رمضان المعظم من السنة المذكورة وهذه الواقعة من
الوقائع المشهورة ثم سار السلطان عقيب الكسرة إلى
حلب ونزل عليها وهي الدفعة الثانية فصالحه الملك
الصالح إسماعيل على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ثم
رحل عنها وشرح ذلك يطول وتتمة هذه القضية مذكورة
في ترجمة أخيه سيف الدين غازي ولما توفي أخوه سيف
الدين في التاريخ المذكور في ترجمته استقل عز الدين
المذكور بالملك من بعده ولم يزل إلى أن حضرت الملك

الصالح إسماعيل بن نور الدين الوفاة في التاريخ المذكور
في ترجمة أبيه نور الدين فأوصى بمملكة حلب وما معها
لابن عمه عز الدين مسعود المذكور واستحلف له الأمراء
والأجناد فلما توفي وبلغ الخبر عز الدين مسعودا بادر
متوجها إليها خوفا من صلاح الدين أن يسبقه فيأخذها
وكان وصوله إليها في العشرين من شعبان سنة سبع
وسبعين وخمسمائة وصعد القلعة واستولى على ما بها من
الخزائن والحواصل وتزوج أم الملك الصالح في خامس
شوال من السنة وأقام بها إلى سادس عشر شوال ثم علم
أنه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وخاف من جانب
صلاح الدين وألح عليه الأمراء في طلب الزيادات
وتبسطوا عليه في المطالب وضاق عنهم عطنه وكان
المستولي على أمره مجاهد الدين قايماز الزيني المقدم
ذكره في حرف القاف فرحل عن حلب وخلف بها مظفر
الدين ولده ومظفر
205 الدين بن زين الدين صاحب إربل المذكور في
حرف الكاف ولما وصل إلى الرقة لقيه بها أخوه عماد
الدين زنكي صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب
بسنجار وتحالفا على ذلك وسير عماد الدين من يتسلم حلب
وسير عز الدين من يتسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صعد عماد الدين إلى قلعة
حلب وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن
عمه الملك الصالح وبين صلاح الدين على يد قليج

أرسلان صاحب الروم وصعد السلطان صلاح الدين إلى الديار المصرية واستناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب فلما بلغه خبر وفاة الملك الصالح وهذه الأمور المتجددة عاد إلى الشام وكان وصوله إلى دمشق في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين وبلغه بها أن رسول عز الدين مسعود وصل إلى الفرنج يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده فعلم أنه قد غدر به ونكث اليمين فعزم على قصد حلب والموصل وأخذ في التأهب للحرب فبلغ عماد الدين صاحب حلب ذلك فسير إلى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعي منه العساكر فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأقام عليها ثلاثة أيام ثم رحل في الحادي والعشرين من الشهر ثم جاءه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل وكان يوم ذلك في خدمة صاحب الموصل وهو صاحب حران وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزيني المذكور في حرف القاف فالتجأ إلى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر إليه وقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه فعبر السلطان صلاح الدين الفرات وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ثم أشحن على بلاد الخابور وأقطعها وتوجه إلى الموصل ونزل عليها يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان

وسبعين وخمسمائة ليحاصرها فأقام أياما وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة وأن طريق أخذه أخذ قلاعه

206 وبلاده وإضعاف أهله على طول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان من السنة وأخذها في ثاني شهر رمضان المعظم وأعطاها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر المقدم ذكره وشرح ذلك يطول وخلاصة الأمر أنه رجع إلى الشام فكان وصوله إلى حران في أول ذي القعدة ثم عاد إلى منازلة الموصل وكان وصوله إليها في أول شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ونزلت إليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بني أتابك وابنه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود وقد سبق ذكره في حرف الهمزة وطلبت منه المصالحة فردها خائبة ظنا منه أن عز الدين أرسلها عجزا عن حفظ الموصل واعتذر بأعذار ندم عليها بعد ذلك وبذل أهل الموصل نفوسهم في القتال لكونه رد النساء والولد بالخيبة فأقام عليها إلى أن أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقيام مملوكه بكتمر بالأمر من بعده وطمع فيه من جاوره من الملوك وعزموا على قصده فسير إلى السلطان وأطمعه في خلاط وقرر معه تسليمها إليه وأن يعوضه عنها ما يرضيه وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فرحل السلطان صلاح

الدين عن الموصل لهذا السبب في العشرين من الشهر المذكور وتوجه نحو خلاط وفي مقدمته مظفر الدين صاحب إربل وهو يوم ذاك صاحب حران وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين فنزلوا بالطوانة البليدة التي هي بالقرب من خلاط وسير الرسل إلى بكتمر لتقرير القاعدة فوصلت الرسل إليه وشمس الدين بهلوان بن الذكر صاحب أذربيجان وعراق العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها فبعث إليه بكتمر يعرفه أنه إن لم يرجع عنه وإلا سلم البلاد إلى السلطان صلاح الدين فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه وسير بكتمر إلى السلطان صلاح الدين يعتذر عما قاله من تسليم خلاط وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها فقاتلها قتالا شديدا ثم أخذها عن صلح بالخديعة في التاسع والعشرين من

207 جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان صاحبها قطب الدين ايلغازي بن البي بن كرماس بن غازي بن أرتق فمات وتركها لولده حسام الدين بولق أرسلان وهو طفل صغير فطمع في أخذها من واليها فأخذها ولما أيس السلطان من خلاط عاد إلى الموصل وهي الدفعة الثالثة ونزل بعيدا عنها بموضع يقال له كفر زمار فأقام به مدة وكان الحر شديدا فمرض السلطان مرضا شديدا أشفى على الموت فرحل طالبا حران في مستهل شوال من السنة ولما علم عز الدين مسعود

المذكور بمرض السلطان وأنه رقيق القلب انتهز الفرصة وسير القاضي بهاء الدين بن شداد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الياء ومعه بهاء الدين الربيب فوصلا إلى حران في الرسالة والتماس الصلح فأجاب إلى ذلك وحلف يوم عرفة من السنة وقد تماثل للصحة ولم يتغير عن تلك اليمين إلى أن مات رحمه الله تعالى ثم رحل إلى الشام وأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعلة الإسهال وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية فدفن بهذه المدرسة في تربة هي بداخلها رحمه الله تعالى ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن المدارس والترب ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في قبالتها وبينهما ساحة كبيرة ولما مات خلف ولده نور الدين المذكور وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ولما مات نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمته خلف ولدين أحدهما الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود والآخر الملك المنصور عماد الدين زنكي ولما حضرته الوفاة قسم البلاد بينهما فأعطى الملك القاهر وهو الأكبر الموصل وأعمالها وأعطى عماد الدين الشوش والعقر وتلك النواحي

208 249 فأما الملك القاهر فكانت ولادته في سنة تسعين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها فجأة ليلة الاثنين

لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستمائة وكان قد بنى مدرسة أيضا فدفن بها 250 وأما عماد الدين فإنه أخذ بعد موت أخيه الملك القاهر قلعة العمادية ثم أخذت منه وهي من أحسن القلاع بجبل الهكارية من أعمال الموصل وكذلك عدة قلاع مما يجاورها وانتقل إلى إربل وكان زوج ابنة مظفر الدين صاحب إربل فأقام بها زمانا وكنا في جواره وكان من أحسن الناس صورة ثم قبض عليه مظفر الدين لأمر يطول شرحه وسيره إلى سنجار إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فأفرج عنه الملك الأشرف وعاد إلى إربل وقايضه مظفر الدين عن العقر بشهرزور وأعمالها فانتقل إليها وأقام بها إلى أن توفي في حدود سنة ثلاثين وستمائة وخلف ولدا أقام بعده قليلا ثم مات رحمهما الله تعالى ولما مات عز الدين مسعود بن أرسلان شاه خلف ولدين نور الدين أرسلان شاه وكان سمي عليا في حياة جده أرسلان شاه فلما مات جده نور الدين سموه باسمه وناصر الدين محمد 251 فتولى بعده نور الدين المذكور وكان تقدير عمره عشر سنين وبقي بعد أبيه قليلا وتوفي في بقية السنة 252 وتولى أخوه بعده ناصر الدين محمود والمدبر لأمر المملكة بدر الدين لؤلؤ الذي ملك الموصل فيما بعد 253 وتوفي بهلوان بن الذكر المذكور في سلخ ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى 254 وتوفي والده شمس الدين الذكر

الأتابك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة
بنقجوان ودفن بها رحمه الله تعالى وكان أتابك السلطان
أرسلان شاه بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه بن محمد
السلجوقي
209 وبعد الذكر بمقدار شهر توفي أرسلان شاه
المذكور بهمذان ودفن بها رحمه الله تعالى 255 وقتل قزل
بن الذكر المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وثمانين
وخمسمائة وكان ملكا كبيرا وهو ابن الذكر المذكور
رحمهم الله تعالى أجمعين والله تعالى أعلم بالصواب 722
مطرف الصنعاني أبو أيوب مطرف بن مازن الكناني
بالولاء وقيل القيسي بالولاء اليماني الصنعاني ولي
القضاء بصنعاء اليمن وحدث عن عبد الملك بن عبد
العزيز بن جريج وجماعة كثيرة وروى عنه الإمام
الشافعي رضي الله عنه وخلق كثير واختلفوا في روايته
فنقل عن يحيى بن معين أنه سئل عنه فقال كذاب وقال
النسائي مطرف بن مازن ليس بثقة وقال السعدي مطرف
بن مازن الصنعاني يتثبت في حديثه حتى يبلى ما عنده
وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مطرف بن مازن
الكناني قاضي اليمن يروي عن معمر وابن جريج روى
عنه الشافعي وأهل العراق وكان يحدث بما لم يسمع
ويروي ما لم يكتب عمن لم يره ولا تجوز الرواية عنه إلا
عند الخواص للاعتبار فقط وقال حاجب ابن سليمان كان
مطرف بن مازن قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا وذكر

عنه حكاية في إبراره قسم من أقسم على أمر شنيع يفعله به وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني أحاديث من رواية مطرف بن مازن وقال لمطرف غير
210 ما ذكرت أفراد يتفرد بها عمن يرويها عنه ولم أر فيما يرويه شيئا منكرا وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو سعيد قال حدثنا أبو العباس قال أخبرنا الربيع قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي حسن وقال وأخبرني مطرف بن مازن بإسناد لا أحفظه أن ابن الزبير أمر بأن يحلف على المصحف قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت مطرفا بصنعاء اليمن يحلف على المصحف وقال غيره قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت ابن مازن وهو قاضي صنعاء يغلظ باليمين بالمصحف وتوفي مطرف المذكور بالرقة وقيل بمنبج وكانت وفاته في أواخر خلافة هارون الرشيد وتوفي هارون الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس وكانت ولايته يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة رحمه الله تعالى وهذا مطرف ليس من المشاهير الذين أحتاج إلى ذكرهم والذي حملني على ذكره أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى ذكره في كتاب المهذب في باب اليمين في الدعاوى في فصل التغليظ فقال وإن حلف بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعي رضي الله عنه عن

مطرف أن ابن الزبير كان يحلف على المصحف قال ورأيت مطرفا بصنعاء يستحلف على المصحف قال الشافعي رضي الله عنه وهو حسن انتهى كلام صاحب المهذب ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن أبي البركات هبة الله بن أبي الرضى بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي في كتابه الذي وضعه على المهذب في أسماء رجاله والكلام على غريبه فقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ثم قال وتوفي سنة سبع وثمانين يعني للهجرة فيا لله العجب شخص يموت في هذا التاريخ كيف يمكن أن يراه الشافعي رضي الله عنه ومولد الشافعي

211 سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث وستين سنة وما أدري كيف وقع هذا الغلط فلو أنه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن أن يقال ظن أنه أدركه الشافعي ولما انتهيت في هذه الترجمة إلى هذا الموضع رأيت في تاريخ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع الذي جعله مرتبا على السنين أن مطرف بن مازن توفي سنة إحدى وتسعين ومائة وهذا يوافق ما قاله الأول من أنه توفي في أواخر خلافة هارون الرشيد والذي أفادني هذه الترجمة على الصورة المحكية في الأول هو الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به ومطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المكسورة

وبعدها فاء والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه وتقييده
256 وأما مطرف الذي ذكره عماد الدين فهو أبو عبد الله
مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن
وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان
الحرشي كان فقيها وكان لوالده عبد الله صحبة وكان
مطرف من أعبد الناس وأنسكهم فذكروا أنه وقع بينه وبين
رجل منازعة فرفع يديه وكان ذلك في مسجد البصرة
وقال اللهم إني أسألك أن لا يقوم من مجلسه حتى تكفينيه
إياه فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرع الرجل فمات
وأخذ مطرف وقدموه إلى القاضي فقال القاضي لم يقتله
وإنما دعا عليه فأجاب الله دعوته فكان بعد ذلك تتقى
دعوته ومات في سنة سبع وثمانين للهجرة وقيل غير ذلك
وقال ابن قانع سنة خمس وتسعين والله تعالى أعلم
بالصواب

212 723 الواعظ المروزي أبو منصور المظفر
بن أبي الحسين أزدشير بن أبي منصور العبادي الواعظ
المروزي الملقب قطب الدين المعروف بالأمير كان من
أهل مرو وله اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن
العبارة ومارس هذا الفن من صغره إلى كبره ومهر فيه
حتى صار ممن يضرب به المثل في ذلك وصار عين ذلك
العصر وشهد له الكل بالفضل وحيازة قصب السبق وقدم

بغداد فأقام بها قريبا من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ولقي من الخلق قبولا تاما وحظي عند الإمام المقتفي لأمر الله ثم خرج منها رسولا إلى جهة السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي المقدم ذكره فوصل إلى خراسان ثم عاد إلى بغداد وخرج منها إلى خوزستان في رسالة فمات بعسكر مكرم في سلخ ربيع الآخر يوم الخميس وقيل الاثنين سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحمل تابوته إلى بغداد ودفن بها في الشونيزية في حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح رضي الله عنه ومولده في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير بنيسابور من أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي عبد الله إسماعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسي وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وقال عنه كان صحيح السماع ولم يكن موثوقا به في دينه رأيت منه أشياء وطالعت بخطه رسالة جمعها في إباحة شرب الخمر سامحه الله تعالى وعفا عنه وكان والده أبو الحسين يعرف بالأمير أيضا وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفي سنة نيف وتسعين وأربعمائة رحمهما الله تعالى والعبادي بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى سنج عباد وهي قرية من قرى مرو

213 وسنج بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم وبأعمال مرو أيضا قرية كبيرة يقال لها سنج

منها الفقيه أبو علي السنجي وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وتكلمنا على سنج هناك فلا يظن ظان أنهما موضع واحد بل هما قريتان وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن وأما أزدشير فقد تقدم الكلام على ضبطه في ترجمة الوزير سابور فلا حاجة إلى إعادته والله تعالى أعلم 724 موفق الدين العيلاني المصري أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق العيلاني الحنبلي المذهب الملقب موفق الدين الشاعر المشهور المصري كان أديبا عروضيا شاعرا مجيدا صنف في العروض مختصرا جيدا دل على حذقه فيه وله ديوان شعر رائق وكان ضريرا فمن شعره ( قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى ) ( وحلاه ما عاينتها * فنقول قد شغفتك هما ) ( وخياله بك في المنام * فما أطاف ولا ألما ) ( من أين أرسل للفؤاد * وأنت لم تنظره سهما ) ( ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما )

214 ( والعين داعية الهوى * وبه تنم إذا تنمى ) وبأي جارحة وصلت * لوصفه نثرا ونظما ) ( فأجبت إني موسوي * العشق إنصاتا وفهما ) ( أهوى بجارحة السماع * ولا أرى ذات المسمى ) ولقد أذكرتني هذه الأبيات أبياتا لرجل ضرير أيضا والشيء بالشيء يذكر وهي هذه ( وغادة قالت لأترابها * يا قوم ما أعجب هذا الضرير ) ( أيعشق الإنسان ما لا يرى * فقلت والدمع

بعيني غزير ) ( إن لم تكن عيني رأت شخصها * فإنها
قد مثلت في الضمير ) ومثل هذا أيضا قول المهذب عمر
بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلي الأديب الشاعر
المشهور من جملة قصيدة طويلة مدح بها السلطان صلاح
الدين يوسف بن أيوب والبيت المقصود قوله ( وإني امرؤ
أحببتكم لمكارم * سمعت بها والأذن كالعين تعشق ) وقد
أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد الشاعر المقدم ذكره
( يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل
العين أحيانا ) وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبد الله
بن علي عرف بابن شكر قد عاد من الشام إلى مصر
فخرج أصحابه للقائه إلى الخشبي المنزلة المجاورة
للعباسة فكتب مظفر المذكور إليه هذه الأبيات يعتذر من
تأخره عن الخروج إليه وهي ( قالوا إلى الخشبي سرنا
على عجل * نلقى الوزير جميعا من ذوي الرتب )
215 ( ولم تسر أيها الأعمى فقلت لهم * لم أخش
من تعب ألقى ولا نصب ) ( وإنما النار في قلبي لوحشته
* فخفت أجمع بين النار والخشب ) وهذا المعنى مطروق
لكنه استعمله حسنا وأخبرني أحد أصحابه أن شخصا قال
له رأيت في بعض تواليف أبي العلاء المعري ما صورته
أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى
منزلنا الخالي لكي نحدث عهدا بك يا زين الأخلاء فما
مثلك من غير عهدا أو غفل وسأله من أي الأبحر هذا وهل
هو بيت واحد أم أكثر فإن كان أكثر فهل أبياته على روي

واحد أم هي مختلفة الروي قال فأفكر فيه ثم أجابه بجواب حسن فلما قال لي المخبر ذلك قلت له اصبر علي حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله ثم أفكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز وهو المجزوء منه وتشتمل هذه الكلمات على أربع أبيات على روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له معرفة بهذا الفن فإنه ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي ( أصلحك الله وأبقاك * لقد كان من ال ) ( واجب أن تأتينا اليوم * إلى منزلنا ال ) ( خالي لكي نحدث عهدا * بك يا زين الأخل ) ( لاء فما مثلك من * غير عهدا أو غفل ) وهذا إنما يذكره أهل هذا الشأن للمعاياة لا لأنه من الأشعار المستعملة فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال هكذا قاله مظفر الأعمى وقال الشيخ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المحدث المصري رحمه الله تعالى أخبرني الأديب موفق الدين مظفر الضرير الشاعر المصري أنه دخل على القاضي السعيد بن سناء الملك قلت وسيأتي ذكره إن

216 شاء الله تعالى واسمه هبة الله قال فقال لي يا أديب قد صنعت نصف بيت ولي أيام أفكر فيه ولا يأتي لي تمامه فقلت وما هو فأنشدني ( بياض عذاري من سواد عذاره * ) قال مظفر فقلت قد حصل تمامه وأنشدت ( كما جل ناري فيه من جلناره * ) فاستحسنه وجعل يعمل

عليه فقلت في نفسي أقوم وإلا يعمل المقطوع من كيسي
وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه
بعضا وكتب مظفر المذكور لتقي الدين ومدحه جماعة هو
منهم فخلع على الجميع ولم يخلع عليه ( العبد مملوك
مولانا وخادمه * مظفر الشاعر الأعمى حليف ضنى ) (
يقبل الارض إجلالا لمالكه * رقا وينهي إليه بعد كل هنا )
( أن القميص جميع الناس قد بصروا * به وما منهم
يعقوب غير أنا ) وله يوم رمي الشواني ( يا أيها الملك
المسرور آمله * هذي شوانيك ترمى يوم سراء ) ( كأنما
هي عقبان بها ظمأ * طارت من البحر وانقضت على
الماء ) وله في يوم لعبها ( مولاي هذه الشواني في
ملاعبها * مثل الشواهين بين السهل والجبل ) ( تسقي
مجاذيفها ماء وتنفضه * نفض العقاب جناحيها من البلل )
وله يصف فانوس الجامع العتيق بمصر ( أرى علما
للناس في الصوم ينصب * على جامع ابن العاص أعلاه
كوكب )
217 ( وما هو في الظلماء إلا كأنه * على رمح
زنجي سنان مذهب ) ( ومن عجب أن الثريا سماؤها *
مع الليل تلهي كل من يترقب ) ( فطورا تحييه بباقة
نرجس * وطورا يحييها بكاس تلهب ) ( وما الليل إلا
قانص لغزالة * بفانوس نار نحوها يتطلب ) ( ولم أر
صيادا على البعد قبله * إذا قربت منه الغزالة يهرب )
وشعره كثير وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من

جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى والعيلاني بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف نون هذه النسبة إلى قيس عيلان وقيل قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان فمن قال إنه قيس عيلان فقد اختلفوا في عيلان ماذا فمنهم من قال هو اسم فرس كان له فأضيف إليه وقيل اسم كلب كان له وقيل اسم رجل كان قد حضنه صغيرا وإنما أضيف إلى عيلان لأنه كان في عصره شخص يقال له قيس كبة بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة وهو اسم فرس كانت له أيضا فكان كل واحد منهما يضاف إلى ما له ليتميز عن الآخر والله أعلم وقد قيل إن قيس عيلان اسمه الناس بالنون وهو أخو إلياس بالياء جد النبي والله أعلم بالصواب

218 725 الهرا النحوي أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوي الكوفي من موالي محمد بن كعب القرظي قرأ عليه الكسائي وروى الحديث عنه وحكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة وصنف في النحو كثيرا ولم يظهر له شيء من التصانيف وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهورا بالعمر الطويل وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باق وحكى بعض كتابه قال صحبت معاذ بن مسلم زمانا فسأله رجل ذات يوم كم سنك فقال ثلاث وستون قال ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله كم

سنك فقال ثلاث وستون فقلت أنا معك منذ إحدى وعشرين
سنة وكلما سألك أحد كم سنك تقول ثلاث وستون فقال لو
كنت معي إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا
وقال عثمان بن أبي شيبة رأيت معاذ بن مسلم الهرا وقد
شد أسنانه بالذهب من الكبر وفيه يقول أبو السري سهل بن
أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور ( إن معاذ بن مسلم
رجل * ليس لميقات عمره أمد ) ( قد شاب رأس الزمان
واكتهل * الدهر وأثواب عمره جدد * ) ( قل لمعاذ إذا
مررت به * قد ضج من طول عمرك الأبد ) ( يا بكر
حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد ) ( قد
أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوتد )
219 ( تسأل غربانها إذا نعبت * كيف يكون
الصداع والرمد ) ( مصححا كالظليم ترفل في * برديك
مثل السعير تتقد ) ( صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي *
القرنين شيخا لولدك الولد * ) ( فارحل ودعنا لأن غايتك
الموت * وإن شد ركنك الجلد * ) قوله تسحب ذيل الحياة
يا لبد فهذا لبد آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان قد
سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه
العزيز إلى الحرم يستقي لها فلما هلكت عاد خير لقمان
بين أن يعيش عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر
كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان يأخذ
الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة
وهكذا حتى هلك منها ستة وبقي السابع فسمي لبدا فلما كبر

وعجز عن الطيران كان يقول لـه لقمان انهض لبد فلما
هلك لبد مات لقمان وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها
كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبياني ( أضحت خلاء
وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد
) رجعنا إلى حديث معاذ لما مات بنوه وحفدته قال ( ما
يرتجي في العيش من قد طوى * من عمره الذاهب تسعينا
) ( أفنى بنيه وبنيهم فقد * جرعه الدهر الأمرينا ) ( لا
بد أن يشرب من حوضهم * وإن تراخى عمره حينا )
وكان معاذ المذكور صديقا للكميت بن زيد الشاعر
المشهور قال محمد بن سهل راوية الكميت صار الطرماح
الشاعر إلى خالد بن عبد الله القسري أمير
220 العراقين وهو بواسط فامتدحه فأمر له بثلاثين
ألف درهم وخلع عليه حلتي وشي لا قيمة لهما فبلغ ذلك
الكميت فعزم على قصده فقال له معاذ الهرا لا تفعل فلست
كالطرماح فإنه ابن عمه وبينكما بون أنت مضري وخالد
يمني متعصب على مضر وأنت شيعي وهو أموي وأنت
عراقي وهو شامي فلم يقبل إشارته وأبى إلا قصد خالد
فقصده فقالت اليمانية لخالد قد جاء الكميت وقد هجانا
بقصيدة نونية فخر فيها علينا فحبسه خالد وقال في حبسه
صلاح لأنه يهجو الناس ويتأكلهم فبلغ ذلك معاذا فغمه
فقال ( نصحتك والنصيحة إن تعدت * هوى المنصوح
عز لها القبول ) ( فخالفت الذي لك فيه رشد * فغالت
دون ما أملت غول ) ( فعاد خلاف ما تهوى خلافا * له

عرض من البلوى طويل ) فبلغ الكميت قوله فكتب إليه ( أراك كمهدي الماء للبحر حاملا * إلى الرمل من يبرين متجرا رملا ) ثم كتب تحته قد جرى علي القضاء فما الحيلة الآن فأشار عليه أن يحتال في الهرب وقال له إن خالدا قاتلك لا محالة فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع فلبس ثيابها وخرج كأنه هي فلحق بمسلمة بن عبد الملك فاستجار به وقال ( ( خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * إليك على تلك الهزاهز والأزل ) ( علي ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة رأى أشبهت سلة النصل ) فكان ذلك سبب نجاته من خالد وسأل شخص معاذا عن مولده فقال ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبد الملك وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة إحدى ومائة وتوفي في شعبان سنة خمس ومائة

221 فهذه المدة هي أيامه وأما أبوه عبد الملك فإنه تولى بعد أبيه مروان في شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين للهجرة ومات سنة ست وثمانين فهذه مدته وتوفي معاذ سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكبت فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة وهو الأصح رحمه الله تعالى وكان يكنى أبا مسلم فولد له ولد سماه عليا فصار يكنى به والهرا بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة وإنما قيل له ذلك لأنه كان يبيع الثياب الهروية فنسب إليها 257 وأما أبو السري الشاعر صاحب

الأبيات الدالية المذكورة فإنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن وأنه صار إليهم ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد ولي العهد فقربه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أم الأمين وبلغ معهم وأفاد منهم وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي وقال له الرشيد إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجبا وإن كنت ما رأيته لقد وضعت أدبا وأخباره كلها غريبة عجيبة والله أعلم بالصواب 726 ابن طرارا الجريري القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني كان فقيها أديبا شاعرا عالما بكل فن ولي القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضي وروى عن جماعة من الأئمة منهم أبو القاسم البغوي وأبو بكر بن أبي داود ويحيى بن
222 صاعد وأبو سعيد العدوي وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمي وغيرهم وأخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره وروى عنه جماعة من الأئمة أيضا منهم أبو القاسم الأزهري والقاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وأحمد بن علي التوزي وأحمد بن عمر بن روح وذكر أحمد بن عمر بن روح أن أبا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل العلم والأدب فقالوا له في أي نوع من العلوم نتذاكر فقال أبو

الفرج لذلك الرئيس خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها تأمره أن يفتح بابها ويضرب بيده إلى أي كتاب رأى منها فيحمله ثم يفتحه وينظر في أي العلوم هو فنتذاكره ونتجارى فيه قال ابن روح وهذا يدل على أن أبا الفرج كان له أنسة بسائر العلوم وكان أبو محمد عبد الباقي يقول إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها وقال لو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى أبي الفرج المعافى وكان ثقة مأمونا في روايته وله شعر حسن فمن ذلك ما رواه عنه القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وهو ( ألا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب ) ( أسأت على الله في فعله * لأنك لم ترض لي ما وهب ) ( فجازاك عنه بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب ) وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء وأثنى عليه ثم قال وأنشدني قاضي بلدنا أبو علي الداودي قال أنشدني أبو الفرج لنفسه ( أأقتبس الضياء من الضباب * وألتمس الشراب من السراب )
223 ( أريد من الزمان النذل بذلا * وأريا من جنى سلع وصاب ) ( أرجي أن ألاقي لاشتياقي * خيار الناس في زمن الكلاب ) ومن شعره أيضا ( مالك العالمين ضامن رزقي * فلماذا أملك الخلق رقي ) ( قد قضى لي بما علي وما لي * خالقي جل ذكره قبل خلقي ) )

صاحبي البذل والندى في يساري * ورفيقي في عسرتي
حسن رفق ) ( وكما لا يرد عجزي رزقي * فكذا لا يجر
رزقي حذقي ) وذكر أنه عملها في معنى قول علي بن
الجهم ( لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه
للمرء منفعه ) ( إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى *
عليك سواء فاغتنم راحة الدعه ) ومن غريب ما اتفق له
ما حكاه أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين
الصحيحين المقدم ذكره قال قرأت بخط أبي الفرج المعافى
بن زكريا النهرواني حججت سنة وكنت بمنى أيام
التشريق فسمعت مناديا ينادي يا أبا الفرج فقلت لعله
يريدني ثم قلت في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج
ولعله ينادي غيري فلم أجبه فلما رأى أنه لا يجيبه أحد
نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت أن أجيبه ثم قلت قد يتفق
أن يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فلم أجبه
فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني
فقلت لم يبق شك في مناداته إياي إذ ذكر اسمي وكنيتي
واسم أبي وبلدي الذي أنسب إليه فقلت ها أنا ذا فما تريد
قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد
نهروان الغرب فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب
وما أنتسب
224 إليه وعلمت أن بالمغرب موضعا يسمى
النهروان غير النهروان الذي بالعراق ولأبي الفرج
المذكور عدة تصانيف ممتعة في الأدب وغيره وكتاب

الجليس الأنيس تصنيفه أيضا وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث وقيل خمس وثلثمائة وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة تسعين وثلثمائة بالنهروان رحمه الله تعالى وطرارا بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف راء ثانية مفتوحة ثم ألف مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الألف فيقول طرارة والله أعلم والجريري بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى الإمام محمد بن جرير الطبري المقدم ذكره وإنما نسب إليه لأنه كان على مذهبه مقلدا له وقد تقدم في ترجمته أنه كان مجتهدا صاحب مذهب مستقل وكان له أتباع وأخذ بمذهبه جماعة منهم أبو الفرج المذكور وقد سبق الكلام على النهرواني فأغنى عن الإعادة والله تعالى أعلم 727 المعز العبيدي أبو تميم معد الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله قد تقدم ذكر والده وجده جد أبيه وطرف من أخبارهم وكان

225 المعز المذكور قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته في التاريخ المذكور في ترجمته ودبر الأمور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها إلى يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة فجلس يومئذ على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وتسمى بالمعز ولم يظهر على أبيه حزنا ثم

خرج إلى بلاد إفريقية يطوف فيها ليمهد قواعدها ويقرر أسبابها فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا في طاعته وعقد لغلمانه وأتباعه على الأعمال واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم إلى كل واحد منهم جمعا كبيرا من الجند وأرباب السلاح ثم جهز أبا الحسن جوهرا القائد المذكور في حرف الجيم ومعه جيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار إلى فاس ثم منها إلى سجلماسة ففتحها ثم توجه إلى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله إلى المعز ثم رجع إلى المعز ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس أسيرين في قفصي حديد والشرح في ذلك يطول وخلاصة الأمر أنه ما رجع القائد جوهر إلى مولاه المعز إلا وقد وطد له البلاد وحكم على أهل الزيغ والعناد من باب إفريقية إلى البحر المحيط في جهة الغرب وفي جهة الشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد إلا أقيمت فيه دعوته وخطب له في جمعته وجماعته إلا مدينة سبتة فإنها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس ولما وصل الخبر إلى المعز المذكور بموت كافور الإخشيدي صاحب مصر حسبما شرحناه في ترجمته من هذا الكتاب تقدم المعز إلى القائد جوهر المذكور

226 ليتجهز للخروج إلى مصر فخرج أولا إلى جهة المغرب لإصلاح أموره وكان معه جيش عظيم

وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم إلى مصر وجبى القطائع التي كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار وخرج المعز بنفسه في الشتاء إلى المهدية فأخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد إلى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والأموال وكان قدومه على المعز يوم الأحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج إلى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل وقد ذكرت في ترجمة جوهر تاريخ خروجه وتاريخ وصوله إلى مصر فأغنى عن الإعادة مفصلا ها هنا وأنفق المعز في العسكر المسير صحبته أموالا كثيرة حتى أعطى من ألف دينار إلى عشرين دينارا وغمر الناس بالعطاء وتصرفوا في القيروان وصبرة في شراء جميع حوائجهم ورحلوا ومعه ألف حمل من المال والسلاح ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكان بمصر في تلك السنة غلاء عظيم ووباء حتى مات في مصر وأعمالها في تلك المدة ستمائة ألف إنسان على ما قيل ولما كان منتصف شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره إليها ثم وصلته النجب بعد ذلك تخبر بصورة الفتح وكانت كتب جوهر ترد إلى المعز باستدعائه إلى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم سير إليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز وإقامة الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك سرورا عظيما ولما تقررت قواعده بالديار

المصرية استخلف على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي المذكور في حرف الباء وخرج المعز متوجها بأموال جليلة المقدار ورجال عظيمة الأخطار وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم

227 ذاك يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلثمائة وانتقل إلى سردانية وأقام بها ليجتمع رجاله وأتباعه ومن يستصحبه معه وفي هذه المنزلة عقد العهد لبلكين في التاريخ المذكور في ترجمته ورحل عنها يوم الخميس خامس صفر سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولم يزل في طريقه يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياما ويجد السير في بعضها وكان اجتيازه على برقة ودخل الإسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة المذكورة وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضي مصر وهو أبو طاهر محمد ابن أحمد وأعيان أهل البلاد وسلموا عليه وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ويعمل بما أمر به جده ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين وخلع على القاضي وبعض الجماعة وحملهم وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها في أواخر شعبان ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم على ميناء ساحل مصر بالجيزة فخرج إليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الأرض بين يديه

وبالجيزة أيضا اجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور في حرف الجيم وأقام المعز هناك ثلاثة أيام وأخذ العسكر في التعدية بأثقالهم إلى ساحل مصر ولما كان يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وكانت قد زينت له وظنوا أنه يدخلها وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر أولا ولما دخل القاهرة ودخل القصر ودخل مجلسا منه خر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه وهذا المعز هو الذي تنسب إليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية لأنه الذي بناها القائد جوهر له

228 وفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرا عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في سائر أمورها وقد ذكرنا في ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول إلى القصر وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر في النجامة وينسب إليه من الشعر قوله ( لله ما صنعت بنا * تلك المحاجر في المعاجر ) ( أمضى وأقضى في النفوس * من الخناجر في الحناجر ) ( ولقد تعبت ببينكم * تعب المهاجر في الهواجر ) وينسب إليه أيضا ( أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد في وجنتيك أطلا ) ( وكأن الجمال خاف على الورد * جفافا

فمد بالشعر ظلا ) وهو معنى غريب بديع وقد مضى ذكر ولده تميم وشيء من شعره وسيأتي ذكر ولده العزيز نزار في حرف النون إن شاء الله تعالى وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وتوفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الثالث عشر وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة والله تعالى أعلم

229 728 المستنصر العبيدي أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله المذكور قبله وقد تقدم بقية النسب بويع بالأمر بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره منها قضية أبي الحارث أرسلان البساسيري المقدم ذكره في حرف الهمزة فإنه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الإمام القائم وخطب للمستنصر المذكور وذلك في سنة خمسين وأربعمائة ودعا له على منابرها مدة سنة ومنها أنه ثار في أيامه علي بن محمد الصليحي المقدم ذكره وملك بلاد اليمن كما شرحنا ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة وهو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في شرحه ومنها أنه أقام في الأمر

ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها أنه ولي الأمر وهو ابن سبع سنين ومنها أن دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي المقدم ذكره إلى أيام المعز المذكور قبله ولما توجه المعز إلى مصر واستخلف بلكين بن زيري حسبما شرحناه كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عادتها لهذا البيت إلى أن قطعها المعز بن باديس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في أيام

230 المستنصر المذكور وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وقال في تاريخ القيروان إن ذلك كان في سنة خمس وثلاثين والله تعالى أعلم بالصواب وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد والشرح في ذلك يطول ومنها أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل إنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر في البلاد

وتشتتوا ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر
الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر
حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه وجاء
إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت وشرح ذلك
يطول  وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث
عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين
وأربعمائة وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من
ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى
قلت وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر
من ذي الحجة وهو غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم
ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من
ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء
ويقال إنه غيضة هناك ولما رجع النبي من
231 مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل
إلى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال علي مني كهارون من موسى اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله
وللشيعة به تعلق كبير  وقال الحازمي هو واد بين مكة
والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب النبي وهذا
الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر  وقد تقدم ذكر
جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين كل واحد في
موضعه إن شاء الله تعالى والله أعلم بالصواب 729
معروف الكرخي  أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل

الفيروزان وقيل علي الكرخي الصالح المشهور وهو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد فضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع إلى أبويه
232 فدق الباب فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أي دين فقال على الإسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا بإجابة الدعوة وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب وكان سري السقطي المقدم ذكره تلميذه وقال له يوما إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم عليه بي وقال سري السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول لملائكته من هذا وهم يقولون أنت أعلم يا ربنا منا فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي وقال معروف قال لي بعض أصحاب داود الطائي إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذلك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسين سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي

للفقراء  وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت مارا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظة إن اتعظت  وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين  وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف بسقاء وهو

233 يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما فقيل له ألم تك صائما قال بلى ولكن رجوت دعاءه وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد وتوفي سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين وقيل أربع ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رحمه الله تعالى  والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة هذه النسبة إلى الكرخ وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه وأشهرها كرخ بغداد والصحيح أن معروفا الكرخي منه وقيل إنه من كرخ جدان بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الألف نون وهي بليدة بالعراق تفصل بين

ولاية خانقين وشهرزور والله تعالى أعلم بالصواب 730
المعز بن باديس الصنهاجي  المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب وقد سبق تمام نسبه عند ذكر ولده الأمير تميم وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له تشريفا وسجلا يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة سبع وأربعمائة  وكان ملكا جليلا عالي الهمة محبا لأهل العلم كثير العطاء وكان واسطة عقد بيته وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء وكانت حضرته محط بني الآمال وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله
234 عنه بإفريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال في ذلك إلى الآن  وقد تقدم في خبر المستنصر بالله العبيدي أن المعز المذكور قطع خطبته وخلع طاعته فلما فعل ذلك خطب للإمام القائم بأمر الله خليفة بغداد فكتب إليه المستنصر يتهدده ويقول له هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء في كلام طويل فأجابه المعز إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب بعد ذلك بإفريقية لأحد من المصريين إلى اليوم

وأخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة وله شعر قليل لم أقف منه على شيء وكان المعز يوما جالسا في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء وبين يديه أترجة ذات أصابع فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئا فعمل أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر المقدم ذكره ( أترجة سبطة الأطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس ) ( كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس ) فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الأدباء وكانت ولادته بالمنصورية ويقال لها صبرة من أعمال إفريقية يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وملك بعد أبيه باديس في التاريخ المذكور في ترجمته وبويع بالمحمدية من أعمال إفريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وتوفي رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته ورثاه أبو علي الحسن بن
235 رشيق المقدم ذكره بأبيات على روي الكاف أضربت عن ذكرها خوف الإطالة وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز مع أني كشفت عنه كشفا تاما من الكتب وأفواه العلماء وأهل المغرب فلم يذكر أحد سوى المعز ولا تعرف كنيته أيضا والظاهر أن هذا اسمه فإن أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب حتى يقال هذا لقب فأثبته

على قدر ما وجدته والله تعالى أعلم بالصواب 731 أبو عبيدة معمر بن المثنى أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء تيم قريش البصري النحوي العلامة قال الجاحظ في حقه لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره وكان يخطيء إذا قرأ القرآن الكريم نظرا وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج وقال غيره إن هارون الرشيد أقدمه من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه وأسند الحديث إلى هشام بن عروة وغيره وروى عنه علي بن المغيرة الأثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام المقدم

236 ذكره وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم وقال أبو عبيدة أرسل إلي الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه فقدمت عليه وكنت أخبر عن تجبره فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى عليها إلا بكرسي وهو جالس على الفرش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إلي واستدناني حتى جلست معه على فرشه ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية

فقال لي قد عرفت أكثر هذه وأريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه إلى جانبي وقال له أتعرف هذا قال لا فقال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ثم التفت إلي وقال لي كنت إليك مشتاقا وقد سئلت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها قلت هات فقال قال الله تعالى ( ^ طلعها كأنه رءوس الشياطين ) ( الصافات 65 ) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امريء القيس ( أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال ) وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وأزمعت منذ ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج إليه من علمه ولما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لي هو من كتاب الوزير وجلسائه وقال أبو عثمان المازني سمعت أبا عبيدة يقول أدخلت على هارون الرشيد

237 فقال لي يا معمر بلغني أن عندك كتابا حسنا في صفة الخيل أحب أن أسمعه منك فقال الأصمعي وما تصنع بالكتب يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو عضو منه ونسميه ونذكر ما فيه فقال الرشيد يا غلام فرس

فأحضر فرس فقام الأصمعي فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله فقال لي الرشيد ما تقول فيما قال فقلت أصاب في بعض وأخطأ في بعض والذي أصاب فيه مني تعلمه والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به وبلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقته فتزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له أبا سعيد ما تقول في الخبز أي شيء هو فقال هو الذي تخبزه وتأكله فقال أبو عبيدة فقد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فإن الله تعالى قال ( ^ وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ) ( يوسف 26 ) فقال الأصمعي هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيي فقال أبو عبيدة والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا وقام فركب حماره وانصرف وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني أن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر لأن الأصمعي كان حسن الإنشاد والزخرفة لرديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبح وإن الفائدة عنده مع ذلك قليلة وإن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر وقال المبرد كان أبو زيد الأنصاري أعلم من

الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان وكان أبو عبيدة أكمل القوم وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء
238 الصحيح وحمل أبو عبيدة والأصمعي إلى هارون الرشيد للمجالسة فاختار الأصمعي لأنه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويصفه ويشنأ الأصمعي ويهجره فقيل له ما تقول في الأصمعي فقال بلبل في قفص قيل له فما تقول في خلف الأحمر فقال جمع علوم الناس وفهمها قيل فما تقول في أبي عبيدة فقال ذاك أديم طوي على علم وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الأصمعي ( عليك أبا عبيدة فاصطنعه * فإن العلم عند أبي عبيدة ) ( وقدمه وآثره عليه * ودع عنه القريد بن القريده ) وكان أبو عبيدة إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف فمنها كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خراسان وكتاب خوارج البحرين واليمامة وكتاب الموالي وكتاب البله وكتاب الضيفان وكتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب خبر البراض وكتاب القرائن وكتاب

البازي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النواكح وكتاب
239 النواشز وكتاب حضر الخيل وكتاب الأعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب أيادي الأزد وكتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الإنسان وكتاب الزرع وكتاب الرحل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب الاحتلام وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الأشراف وكتاب الشعر والشعراء وكتاب فعل وأفعل وكتاب المثالب وكتاب خلق الإنسان وكتاب الفرق وكتاب الخف وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب بيوتات الغرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعاتبات وكتاب الملاومات وكتاب الأضداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب أدعية العرب وكتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وكتاب أسماء الخيل وكتاب العققة وكتاب قضاة البصرة وكتاب فتوح الأهواز وكتاب فتوح أرمينية وكتاب لصوص العرب وكتاب أخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الحمس من قريش وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب السواد وفتحه وكتاب من شكر من العمال وحمد وكتاب الجمع والتثنية وكتاب المجلة الأولى والثانية وكتاب البيضة وكتاب الأوس والخزرج وكتاب محمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أجمعين وكتاب الأيام الصغير خمسة وسبعون يوما وكتاب الأيام الكبير ألف ومائتا يوم وكتاب أيام بني مازن وأخبارهم وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها

240 ولما جمع كتاب المثالب قال له رجل مطعون النسب بلغني أنك عبت العرب جميعها فقال وما يضرك أنت من ذلك بريء يعني أنه ليس منهم وقال أبو عبيدة لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لي من أشعر الناس فقلت الراعي قال وكيف فضلته على غيره فقلت لأنه ورد على سعيد ابن عبد الرحمن الأموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه ( وأنضاء تحن إلى سعيد * طروقا ثم عجلن ابتكارا ) ( حمدن مناخه وأصبن منه * عطاء لم يكن عدة ضمارا ) فقال الفضل ما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا إلى هارون الرشيد فأخرج لي صلة وأمر لي بشيء من ماله وصرفني وكان أبو عبيدة من موالي بني عبيد الله بن معمر التيمي وقال له بعض الأجلاء تقع في الناس فمن أبوك فقال أخبرني أبي عن أبيه أنه كان يهوديا من أهل باجروان فمضى الرجل وتركه وكان أبو عبيدة جباها لم يكن بالبصرة أحد إلا وهو يداجيه ويتقيه على عرضه وخرج إلى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبي عبيدة فإن كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة فقال له

موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب فقال أبو عبيدة لا عليك فإن مرقكم لا يؤذي أي ما فيه دهن ففطن لها موسى وسكت وكان الأصمعي إذا أراد دخول المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه شريف ولا غيره وكان وسخا ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل إلى مذهب الخوارج

241 قال أبو حاتم السجستاني كان أبو عبيدة يكرمني على أنني من خوارج سجستان وقال الثوري دخلت المسجد على أبي عبيدة وهو ينكت الأرض جالسا وحده فقال لي من القائل ( أقول لها وقد جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي ) فقلت له قطري بن الفجاءة فقال فض الله فاك هلا قلت هو لأمير المؤمنين أبي نعامة ثم قال لي اجلس واكتم علي ما سمعت مني قال فما ذكرته حتى مات قلت أنا وهذه الحكاية فيها نظر لأن البيت من جملة أبيات لعمرو ابن الإطنابة الخزرجي الأنصاري والإطنابة أمه واسم أبيه زيد مناة لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الأدب فإنها أبيات مشهورة للشاعر المذكور وذكر المبرد في كتاب الكامل أن معاوية بن أبي سفيان الأموي قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري ( أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد

بالثمن الربيح ) ( وإجشامي على المكروه نفسي *
وضربي هامة البطل المشيح ) ( وقولي كلما جشأت
وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي ) ( لأدفع عن
مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صريح ) رجعنا
إلى حديث أبي عبيدة وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام
لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان قال الأصمعي دخلت أنا
وأبو عبيدة يوما المسجد فإذا على الاسطوانة التي
242 يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من
سبعة أذرع ( صلى الإله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل
بالله آمينا ) فقال لي يا أصمعي امح هذا فركبت على
ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال أثقلتني وقطعت
ظهري فقلت له قد بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا
البيت وقيل إنه لما ركب ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد
بقي لوط فقال من هذا نفر وكان الذي كتب البيت أبو
نواس الحسن بن هانئ المقدم ذكره وقيل إنه وجدت رقاع
في مجلس أبي عبيدة هذا البيت فيها وبعده ( فأنت عندي
بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا ) وقال
الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في باب الأسماء
والكنى والألقاب سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فما
عرفه فقال كيسان أنا أعرف الناس به هو خداش أو
خراش أو رياش أو شيء آخر فقال أبو عبيدة ما أحسن ما
عرفته فقال إي والله وهو قرشي أيضا قال فما يدريك قال
أما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب وأخبار أبي

عبيدة كثيرة وكانت ولادته في رجب سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري رضي الله عنه وقد تقدم ذكره وقيل في سنة إحدى عشرة ومائة وقيل أربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والأول أصح والذي يدل عليه أن الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سأله عن مولده فقال قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة المخزومي وقد قيل له متى ولدت فقال في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأي خير رفع وأي شر وضع وإني ولدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصري وجوابي

243 جواب عمر بن أبي ربيعة وقد تقدم في ترجمة ابن أبي ربيعة هذا الجواب منسوبا إلى الحسن البصري رضي الله عنه فلينظر هناك وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة إحدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى وكان سبب موته أن محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني أطعمه موزا فمات منه ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه موزا فقال له ما هذا يا أبا جعفر قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد أن تقتلني به لقد استحليت قتل العلماء وأبو عبيدة بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره بخلاف القاسم بن سلام المقدم ذكره فإنه أبو عبيد بغير هاء ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء والمثنى بضم الميم وفتح الثاء

المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها وباجروان التي والده منها بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الألف نون وهو اسم لقرية من بلاد البليخ من أعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينية من أعمال شروان عندها فيما قيل عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام وغالب ظني أن أبا عبيدة من هذه المدينة وقيل إن باجروان اسم للقرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام والنوشجاني بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الألف نون هذه النسبة إلى نوشجان وهي بلدة من بلاد فارس والله تعالى أعلم بالصواب

244 732 معن بن زائدة أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني وبقية النسب معروف وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان كان جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعرف ممدحا مقصودا حكى الأصمعي قال وفد أعرابي على معن بن زائدة

فمدحه وطال مقامه على بابه ولم يحصل له جائزة فعزم
على الرحيل فخرج معن راكبا فقام إليه وأمسك بزمام
دابته وقال ( وما في يديك الخير يا معن كله * وفي الناس
معروف وعنك مذاهب ) ( ستدري بنات العم ما قد أتيته
* إذا فتشت عند الإياب الحقائب ) فأمر معن بإحضار
خمس نوق من كرام إبله وأوقرهم له ميرة وبرا
245 وثيابا وقال انصرف يا ابن أخي في حفظ الله
إلى بنات عمك فلئن فتشن الحقائب ليجدن فيها ما يسرهن
فقال له صدقت وبيت الله وقد سبق في ترجمة مروان بن
أبي حفصة الشاعر طرف من أخباره وكان مروان
خصيصا به وأكثر مدائحه فيه وكان معن في أيام بني
أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن
هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة إلى بني
العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن
عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور
وسيأتي في ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة
إن شاء الله تعالى أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسنا فلما
قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة وجرى
له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي
حفصة الشاعر المذكور قال أخبرني معن بن زائدة وهو
يومئذ متولي بلاد اليمن أن المنصور جد في طلبي وجعل
لمن يحملني إليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب إلى أن
تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي

ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها إلى البادية لأقيم بها قال فلما خرجت من باب حرب و هو أحد أبواب بغداد تبعني أسود متقلد بسيف حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي فقلت له ما بك فقال أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت ومن أنا حتى أطلب فقال أنت معن ابن زائدة فقلت له يا هذا اتق الله عز وجل واين أنا من معن فقال دع هذا فوالله إني لأعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي قال هاته فأخرجته إليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك

246 فقلت قل قال إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن أني قد فعلت هذا قال ما ذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإني

غني عنه فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالي هذا والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ذكر غرس النعمة بن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالأنبار وذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما ملثما وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور

247 قال له من أنت ويحك فكشف لثامه فقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في بعض الأيام فلما نظر إليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله ( معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان ) فقال كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة ( ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن ) ( فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع

كل مهند وسنان ) فقال أحسنت يا معن وقال له يوما يا معن ما أكثر وقوع الناس في قومك فقال يا أمير المؤمنين ( إن العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا ) ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين فقال وإنك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وفيك بقية فقال هي لك يا أمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وأشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التي ذكرت بعضها في ترجمة مروان وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الإطالة لذكرتها وله فيه من قصيدة ( قد آمن الله من خوف ومن عدم * من كان معن له جارا من الزمن ) ( معن بن زائدة الموفي بذمته * والمشتري المجد بالغالي من الثمن ) ( يرى العطايا التي تبقى محامدها * غنما إذا عدها المعطي من الغبن )
248 ( بنى لشيبان مجدا لا زوال له * حتى تزول ذرى الأركان من حضن ) حضن بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال في المثل أنجد من رأى حضنا وله ذكر كثير في الأشعار والأخبار ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له إني لو أردت أن استشفع إليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ولكني استشفعت إليك بقدرك واستغنيت بفضلك فإن رأيت

ان تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل وإني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهي عن ردك ولمعن أشعار جيدة وأكثرها في الشجاعة وقد ذكره أبو عبد الله ابن المنجم في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله في خطاب ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم ( هلا مشيت كذا غداة لقيتهم * وصبرت عند الموت يا خطاب ) ( نجاك خوار العنان كأنه * تحت العجاج إذا استحث عقاب ) ( وتركت صحبك والرماح تنوشهم * وكذاك من قعدت به الأحساب ) وقال أبو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه لا تحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد ( أصلحك الله قل ما بيدي * فما أطيق العيال إذ كثروا ) ( ألح دهر رمى بكلكله * فأرسلوني إليك وانتظروا ) قال فقال معن وأخذته الأريحية لا جرم والله لأعجلن أوبتك ثم قال 249 يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها إليه فدفعها إليه وهو لا يعرفه هكذا روى هذا الخطيب في تاريخه وأخبار معن ومحاسنه كثيرة وكان قد ولي سجستان في أواخر أمره وانتقل إليها وله فيها آثار وماجرايات وقصده الشعراء بها فلما كانت سنة إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة

كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من
الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تتبعهم ابن أخيه
يزيد بن مزيد بن زائدة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى
فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست  ولما قتل معن رثاه
الشعراء بأحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن أبي
حفصة شاعره المذكور وهي قصيدة من أفخر الشعر
وأحسنه وأولها  ( مضى لسبيله معن وأبقى * مكارم لن
تبيد ولن تنالا )  ( كأن الشمس يوم أصيب معن * من
الإظلام ملبسة جلالا )  ( هو الجبل الذي كانت نزار *
تهد من العدو به الجبالا )  ( وعطلت الثغور لفقد معن *
وقد يروي بها الأسل النهالا )  ( وأظلمت العراق وأورثتها
* مصيبته المجللة اختلالا )  ( وظل الشام يرجف جانباه
* لركن العز حين وهى فمالا )  ( وكادت من تهامة كل
أرض * ومن نجد تزول غداة زالا )  ( فإن يعل البلاد له
خشوع * فقد كانت تطول به اختيالا )  ( أصاب الموت
يوم أصاب معنا * من الأحياء أكرمهم فعالا )  ( وكان
الناس كلهم لمعن * إلى أن زار جفرته عيالا )
250       ( ولم يك طالب للعرف ينوي * إلى غير ابن
زائدة ارتحالا )  ( مضى من كان يحمل كل ثقل * ويسبق
فيض نائله السؤالا )  ( وما عمد الوفود لمثل معن * ولا
حطوا بساحته الرحالا )  ( ولا بلغت أكف ذوي العطايا *
يمينا من يديه ولا شمالا )  ( وما كانت تجف له حياض *
من المعروف مترعة سجالا )  ( لأبيض لا يعد المال حتى

* يعم به بغاة الخير مالا ) ( فليت الشامتين به فدوه *
وليت العمر مد له فطالا ) ( ولم يك كنزه ذهبا ولكن *
سيوف الهند والحلق المذالا ) ( ومارنة من الخطي سمرا
* ترى فيهن لينا واعتدالا ) ( وذخرا من محامد باقيات *
وفضل تقى به التفضيل نالا ) ومنها ( مضى لسبيله من
كنت ترجو * به عثرات دهرك أن تقالا ) ( فلست بمالك
عبرات عين * أبت بدموعها إلا انهمالا ) ( وفي الأحشاء
منك غليل حزن * كحر النار تشتعل اشتعالا ) ( وقائلة
رأت جسمي ولوني * معا عن عهدها قلبا فحالا ) ( أرى
مروان عاد كذي نحول * من الهندي قد فقد الصقالا ) (
رأت رجلا براه الحزن حتى * أضر به وأورثه خبالا ) (
فقلت لها الذي أنكرت مني * لفجع مصيبة أنكى وعالا )
( وأيام المنون لها صروف * تقلب بالفتى حالا فحالا )
ومنها
251 ( كأن الليل واصل بعد معن * ليالي قد قرن
به فطالا ) ( فلهف أبي عليك إذا العطايا * جعلن منى
كواذب واعتلالا ) ( ولهف أبي عليك إذا اليتامى * غدوا
شعثا كأن بهم سلالا ) ( ولهف أبي عليك إذا القوافي *
لممتدح بها ذهبت ضلالا ) ( ولهف أبي عليك لكل هيجا
* لها تلقي حواملها السخالا ) ( أقمنا باليمامة إذ يئسنا *
مقاما لا نريد له زيالا ) ( وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد
ذهب النوال فلا نوالا ) ( وما شهد الوقائع منك أمضى *
وأكرم مقدما وأشد بالا ) ( سيذكرك الخليفة غير قال *

إذا هو في الأمور بلا الرجالا ) ( ولا ينسى وقائعك
اللواتي * على أعدائه جعلت وبالا ) ( ومعتركا شهدت به
حفاظا * وقد كرهت فوارسه النزالا ) ( حباك أخو أمية
بالمراثي * مع المدح الذي قد كان قالا ) ( أقام وكان
نحوك كل عام * يطيل بواسط الرحل اعتقالا ) ( وألقى
رحله أسفا وآلى * يمينا لا يشد له حبالا ) وهذه المرثية
من أحسن المراثي وقال عبد الله بن المعتز في كتاب
طبقات الشعراء دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر
البرمكي فقال له ويحك أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة
فقال بل أنشدك مديحي فيك فقال جعفر أنشدني مرثيتك في
معن فأنشأ يقول ( وكان الناس كلهم لمعن * إلى أن زار
حفرته عيالا ) حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل
دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر هل أثابك على
هذه المرثية أحد من ولده وأهله شيئا قال
252 لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك
كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير أربعمائة دينار
قال جعفر فانا نظن أنه كان لا يرضى لك بذلك قد أمرنا
لك عن معن رحمه الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك
نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وستمائة دينار قبل
أن تنصرف إلى رحلك فقال مروان يذكر جعفرا وما سمح
به عن معن ( نفحت مكافئا عن قبر معن * لنا مما تجود
به سجالا ) ( فعجلت العطية يا ابن يحيى * لنادبه ولم ترد
المطالا ) ( فكافأ عن صدى معن جواد * بأجود راحة

بذل النوالا ) ( بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناء في المكارم لن ينالا ) ( كأن البرمكي بكل مال * تجود به يداه يفيد مالا ) ثم قبض المال وانصرف وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني عن محمد البيذق النديم أنه دخل على هارون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن ابن زائدة فأنشده بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه ويقال إن مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فإنه كان إذا مدح خليفة أو من دونه قال له أنت قلت في مرثيتك ( وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا ) فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة

253 فقال له المهدي ألست القائل ( وقلنا أين نرحل بعد معن * ) وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شيء لك عندنا جروا برجله قال فجروا برجله حتى أخرجوه فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها ( طرقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها ) ( قادت فؤادك

فاستقاد ومثلها * قاد القلوب إلى الصبا فأمالها ) فأنصت له حتى بلغ إلى قوله ( هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها ) وقد تقدم ذكر بعضها في ترجمة مروان قال فأنصت له المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيئا فشيئا منها حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال له كم بيت هي فقال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكرناه في ترجمته لكنه يختلف باختلاف الروايات ويقال إنها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس قال الفضل بن الربيع فلم تلبث الايام أن افضت الخلافة إلى هارون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له ألست القائل في معن كذا وأنشده البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فإنه لا شيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

254 ومن المراثي التادرة أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي في معن ابن زائدة أيضا وهي من أبيات الحماسة ( ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا ) ( فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا ) ( ويا قبر معن أنت أول حفرة * من الأرض خطت للمكارم مضجعا ) ( بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا ) ( فتى عيش في معروفه بعد موته * كما

كان بعد السيل مجراه مرتعا ) ( ولما مضى معن مضى
الجود وانقضى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا ) وقد
سبق لمعن في ترجمة الصاحب بن عباد نادرة مستظرفة
فلا حاجة إلى إعادتها هنا ولولا خوف الإطالة لأتيت من
محاسنه بكل نادرة بديعة 258 والحوفزان بن شريك
الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن
شريك وإنما قيل له الحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقري
حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ومعنى حفزه أي دفعة
من خلفه واسم الحوفزان الحارث بن شريك وقيل إن الذي
حفزه بسطام بن قيس الشيباني والأول أصح والله تعالى
أعلم بالصواب

255 733 مقاتل صاحب التفسير أبو الحسن مقاتل
بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني المروزي
أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها
وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير
المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن
أبي رباح المقدم ذكره وأبي إسحاق السبيعي وقد تقدم ذكره
أيضا والضحاك بن مزاحم ومحمد ابن مسلم الزهري
وغيرهم وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد
الرزاق بن همام الصنعاني المقدم ذكره وحرمي بن عمارة
وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الأجلاء حكي
عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال الناس كلهم
عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى

زهير ابن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام وروي أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد إليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال علي به فأذن له فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب قال نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة فسكت المنصور وقال إبراهيم الحربي قعد مقاتل بن سليمان فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل آدم صلى الله عليه وسلم حين حج من حلق رأسه فقال له ليس هذا من علمكم ولكن الله تعالى أراد أن يبتليني لما أعجبتني نفسي وقال

256 سفيان بن عيينة قال مقاتل بن سليمان يوما سلوني عما دون العرش فقال له إنسان يا أبا الحسن أرأيت الذرة والنملة معاها في مقدمها أو في مؤخرها قال فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له قال سفيان فظننت أنها عقوبة عوقب بها وقد اختلف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه إلى الكذب قال بقية بن الوليد كنت كثيرا أسمع شعبة بن الحجاج وهو يسأل عن مقاتل فما سمعته قط ذكره إلا بخير وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال رحمه الله لقد ذكر لنا عنه عبادة وروي عن عبد الله بن المبارك أيضا أنه ترك حديثه وسئل إبراهيم الحربي عن مقاتل هل سمع من الضحاك ابن مزاحم شيئا فقال لا

مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين وقال مقاتل أغلق علي وعلى الضحاك باب أربع سنين قال إبراهيم وأراد بقوله باب يعني باب المدينة وذلك في المقابر وقال إبراهيم أيضا ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيئا ولم يلقه وقال أحمد بن سيار مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ وتحول إلى مرو وخرج إلى العراق وهو متهم متروك الحديث مهجور القول وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا وقال أبو عبد الرحمن النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة والواقدي ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد ويعرف بالمصلوب بالشام وذكر وكيع يوما مقاتل بن سليمان فقال كان كذابا وقال أبو بكر الآجري سألت أبا داود سليمان بن الأشعث عن مقاتل بن سليمان فقال تركوا حديثه وقال عمرو بن علي الفلاس مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث وقال البخاري مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال في موضع آخر لا شيء ألبتة وقال يحيى بن معين مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء وقال أحمد بن حنبل مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه

257 شيئا وقال أبو حاتم الرازي هو متروك الحديث وقال زكريا بن يحيى الساجي مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا كان كذابا متروك الحديث وقال أبو

حاتم محمد بن حبان البستي مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث وبالجملة فإن الكلام في حقه كثير وقد خرجنا عن المقصود لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه وتوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الأزدي والمروزي فأغنى عن الإعادة 734 شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي الملقب شبل الدولة كان من أولاد أمراء العرب فوقع بينه وبين إخوته وحشة أوجبت رحيله عنهم ففارقهم ووصل إلى بغداد ثم خرج إلى خراسان وانتهى إلى غزنة وعاد إلى خراسان واختص بالوزير نظام الملك وصاهره ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور ببيتين تقدم ذكرهما في ترجمته ثم عاد إلى بغداد وأقام بها مدة وعزم على قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء وكان من الأجواد المشاهير فكتب إلى الإمام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الإنعام عليه بكتاب إلى الوزير المذكور مضمونه الإحسان إليه فوقع المستظهر على رأس قصته يا أبا الهيجاء أبعدت النجعة أسرع الله بك الرجعة وفي ابن العلاء مقنع وطريقه في الخير

258 مهيع وما يسديه إليك تستحلي ثمرة شكره وتستعذب مياه بره والسلام فاكتفى أبو الهيجاء بهذه

الأسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه إلى كرمان فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن في الدخول فأذن له فدخل عليه وعرض على رأيه القصة فلما رآها قام وخرج عن دسته إجلالا لها وتعظيما لكاتبها وأطلق لأبي الهيجاء ألف دينار في ساعته ثم عاد إلى دسته فعرفه أبو الهيجاء أن معه قصيدة يمدحه بها فاستنشده إياها فأنشده ( دع العيس تذرع عرض الفلا * إلى ابن العلاء وإلا فلا ) فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ولما أكمل إنشاده القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى وخلع عليه وقاد إليه جوادا بمركبه وقال له دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع وقد دعا لك بسرعة الرجوع وجهزه بجميع ما يحتاج إليه فرجع إلى بغداد وأقام بها قليلا ثم سافر إلى ما وراء النهر وعاد إلى خراسان ونزل إلى مدينة هراة وهوي بها امرأة وأكثر من التشبيب فيها ثم رحل إلى مرو واستوطنها ومرض في آخر عمره وتسودن وحمل إلى البيمارستان وتوفي به في حدود سنة خمس وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان من جملة الأدباء الظرفاء وله النظم البديع الرائق وبينه وبين العلامة أبي القاسم الزمخشري المقدم ذكره مكاتبات ومداعبات وكتب إليه قبل الاجتماع به ( هذا أديب كامل * مثل الدراري دره ) ( زمخشري فاضل * أنجبه زمخشره ) ( كالبحر إن لم أره * فقد أتاني خبره ) فكتب إليه الزمخشري ( شعره أمطر شعري شرفا * فاعتلى منه ثياب الحسد )

259 ( كيف لا يستأسد النبت إذا * بات مسقيا بنوء الأسد ) وله كل مقطوع لطيف رحمه الله تعالى والوزير المذكور هو الذي تقدم ذكره في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم الغزي الشاعر المشهور فإنه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت منها في ترجمة الغزي بيتين هما من الشعر العجيب وضمنهما المعنى الغريب وأول هذه القصيدة ( وورود ركايا الدمع يكفي الركائبا * وشم تراب الربع يشفي الترائبا ) ( إذا شمت من برق العقيق عقيقه * فلا تنتجع دون الجفون السحائبا ) ومنها عند الخروج إلى المديح ( وعيس لها برهان عيسى بن مريم * إذا قتل الفج العميق المطالبا ) ( يرقصهن الآل إما طوافيا * تراهن في آذيه أو رواسبا ) ( سوانح كالبنيان تحسب أنني * مسحت المطايا إذ مسحت السباسبا ) ( تنسمن من كرمان عرفا عرفنه * فهن يلاعبن النشاط لواغبا ) ( يرين وراء الخافقين من المنى * مشارق لم يؤبه لها ومغاربا ) ( إلى ماجد لم يقبل المجد وارثا * ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا ) ( تبسم ثغر الدهر منه بصاحب * إذا جد لم يصحب سوى العزم صاحبا ) ومنها ( تصيخ له الأسماع ما دام قائلا * وتعنو له الأبصار ما دام كاتبا ) ( ولم أر ليثا خادرا قبل مكرم * ينافس في العليا ويعطي الرغائبا ) ( ولو لم يكن ليثا مع الجود لم يكن * إذا صال بالأقلام صارت مخالبا )

260 ومنها ( إذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرنا له فضلا يزين المناقبا ) ( له الشيم الشم التي لو تجسمت * لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا ) ( ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه * فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا ) ( تناول أولاها وما مد ساعدا * وأحرز أخراها وما قام واثبا ) وهي من غرر القصائد وفي هذا الأنموذج منها دلالة على الباقي 735 المقلد العقيلي أبو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن بريد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي الملقب حسام الدولة صاحب الموصل كان أخوه أبو الدواد محمد بن المسيب أول من تغلب على الموصل وملكها من أهل هذا البيت وذلك في سنة ثمانين وثلثمائة وتزوج بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي ابنته فلما مات أبو الدواد في سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده وكان أعور وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن ذلك في سنة ست وثمانين وأن أبا الدواد لما توفي طمع
261 المقلد في الملك فلم يساعده بنو عقيل وقدموا أخاه عليا لكبر سنه ثم توصل بالخديعة حتى ملك وأطال القول في ذلك فاختصرته وهذا حاصله وقال غير ابن الأثير إنه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على

سقي الفرات واتسعت مملكته ولقبه الإمام القادر بالله وكناه وأنفذ إليه باللواء والخلع فلبسها بالأنبار واستخدم من الديلم والأتراك ثلاثة آلاف رجل وأطاعته خفاجة وكان فيه فضل ومحبة لأهل الأدب وينظم الشعر حكى أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار ونصيبين فنزلنا ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل بقصر هناك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلا على بساتين ومياه كثيرة فدخلت عليه فوجدته قائما يتأمل كتابة على الحائط فقرأتها فإذا هي ( يا قصر عباس بن عمرو * كيف فارقك ابن عمرك ) ( قد كنت تغتال الدهور * فكيف غالك ريب دهرك ) ( واها لعزك بل لجودك * بل لمجدك بل لفخرك ) وتحتها مكتوب وكتب علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي وقد تقدم ذكره قال الراوي وكان تحت ذلك مكتوب ( يا قصر ضعضعك الزمان * وحط من علياء فخرك ) ( ومحا محاسن أسطر * شرفت بهن متون جدرك ) ( واها لكاتبها الكريم * وقدره الموفي بقدرك ) وتحت الأبيات مكتوب وكتب الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ابن أخي سيف الدولة وقد سبق ذكر

262 والده أيضا في حرف الحاء وتحت ذلك مكتوب ( يا قصر ما فعل الألى * ضربت قبابهم بعقرك ) ( أخنى الزمان عليهم * وطواهم بطويل نشرك ) ( واها لقاصر عمر من * يختال فيك وطول عمرك ) وتحته مكتوب وكتب المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة وتحت ذلك مكتوب ( يا قصر ما صنع الكرام * الساكنون قديم عصرك ) ( عاصرتهم فبذذتهم * وشأوتهم طرا بصبرك ) ( ولقد أثار تفجعي * يا ابن المسيب رقم سطرك ) ( وعلمت أني لاحق * بك دائب في قفو أثرك ) وتحته مكتوب وكتب قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة قال الراوي فعجبت من ذلك وقلت لقرواش الساعة كتبت هذا فقال نعم وقد هممت بهدم القصر فإنه مشئوم قد دفن الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفت ورحلت بعد ثلاثة أيام ولم يهدم القصر 259 وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي وكان يتولى اليمامة والبحرين وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم فقاتلوه وكسروه وأسروه ثم أطلقوه فرجع إلى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه

الصغير مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين
وثلثمائة ومن العجائب أنه توجه إليهم في عشرة آلاف
فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الليث الصفار حارب
إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان
263 وهو في خمسين ألفا فأخذوه ونجا الباقون
وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش
سبعون سنة وقد سبق نظير هذه الحكاية في ترجمة عبد
الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان
فلينظر هناك وبينما المقلد المذكور في مجلس أنسه وهو
بالأنبار إذ وثب عليه غلام تركي فقتله وذلك في صفر سنة
إحدى وتسعين وثلثمائة ويقال إنه مدفون على الفرات
بمكان يقال له شيفيا بين الأنبار وهيت وحكي أن هذا
التركي سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج إذا
جئت ضريح رسول الله فقف عنده وقل له عني لولا
صاحباك لزرتك ولما مات رثاه الشريف الرضي
بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء 260 وكان ولده
معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الأمر من
بعده وكان له عمان ينازعانه في الأمر أحدهما أبو الحسن
ابن المسيب والآخر أبو مرح مصعب بن المسيب فتوفي
أبو الحسن سنة اثنتين وتسعين وتوفي أبو مرح سنة سبع
وتسعين فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منهما
وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات
وخطب في بلاده للحاكم صاحب مصر وسيأتي ذكره في

سنة إحدى وأربعمائة ثم رجع عن ذلك ووصلت الغز إلى الموصل ونهبوا دار قرواش وأخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار فاستنجد بنور الدولة أبي الأغر دبيس بن صدقة المقدم ذكره فأنجده واجتمعا على محاربة الغز فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم ومدحه أبو علي ابن الشبل البغدادي الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها هذه الواقعة فمنها قوله

264 ( نزهت أرضك عن قبور جسومهم * فغدت قبورهم بطون الأنسر ) ( من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا * من هذه الدنيا بكل مظفر ) ( فضوا رتاج السد عن يأجوجه * ولقوا ببأسك سطوة الإسكندر ) وكان قرواش المذكور يلقب مجد الدين وهو ابن أخت الأمير أبي الهيجاء الهذباني صاحب إربل وكان أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار سائرة فمن ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخرزي في أول كتاب دمية القصر وهو قوله ( لله در النائبات فإنها * صدأ اللئام وصيقل الأحرار ) ( ما كنت إلا زبرة فطبعنني * سيفا وأطلق صرفهن غراري ) وأورد له أيضا ( من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده ) ( فأنا امرؤ لله أشكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده ) ( لي أشقر ملء العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده ) ( ومهند عضب إذا جردته * خلت البروق تموج في تجريده ) ( ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت في عوده ) ( وبذا حويت المال إلا أنني *

سلطت جود يدي على تبديده ) ما أحسن هذا الشعر وأمتنه
ومن المنسوب إليه أيضا ( وآلفة للطيب ليست تغبه *
منعمة الأطراف لينة اللمس )
265 ( إذا ما دخان الند من جيبها علا * على
وجهها أبصرت غيما على شمس ) 261 وذكر الباخرزي
المذكور في مدينة القصر أيضا لأبي جوثة ابن عم الأمير
قرواش المذكور ( قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم *
شمسا وخلت وجوههم أقمارا ) ( لا يعدلون برفدهم عن
سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا ) ( وإذا الصريخ
دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا ) ( وإذا
زناد الحرب أخمد نارها * قدحوا بأطراف الأسنة نارا )
262 ومن جملة شعراء دمية القصر أيضا الطاهر
الجزري وقد مدح قرواشا المذكور بقوله وهو في نهاية
الحسن في باب الاستطراد ( وليل كوجه البرقعيدي ظلمة
* وبرد أغانيه وطول قرونه ) ( سريت ونومي فيه نوم
مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه ) ( على أولق فيه
مضاء كأنه * أبو جابر في طيشه وجنونه ) ( إلى أن بدا
ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه )
ولشرف الدين ابن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا
الأسلوب في فقيهين كانا بدمشق ينبز أحدهما بالبغل
والآخر بالجاموس ( البغل والجاموس في جدليهما * قد
أصبحا عظة لكل مناظر ) ( برزا عشية ليلة فتباحثا *

هذا بقرنيه وذا بالحافر ) ( ما أتقنا غير الصياح كأنما *
لقنا جدال المرتضى بن عساكر )
266 ) لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في
عبد اللطيف الناظر ) ( اثنان ما لهما وحقك ثالث * إلا
رقاعة مدلويه الشاعر ) ولقد حكى لي بعض الأصحاب
أنه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزري واستحسن
بناءه عليها فحلف أنه ما كان سمعها والله أعلم 263
ومدلويه المذكور لقب كان ينبز به الرشيد أبو محمد عبد
الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار
الشاعر المعروف بابن النابلسي وكان مقيما بدمشق ولابن
عنين فيه عدة مقاطيع هجو وتوفي في منتصف صفر سنة
تسع عشرة وستمائة بدمشق المحروسة ودفن بباب
الصغير رحمه الله تعالى وذكر في كتاب الدمية أيضا
للطاهر الجزري المذكور أبياتا لطيفة أحببت ذكرها وهي
( انظر إلى حظ ابن شبل في الهوى * إذ لا يزال لكل قلب
شائقا ) ( شغل النساء عن الرجال وطالما * شغل الرجال
عن النساء مراهقا ) ( عشقوه أمرد والتحى فعشقنه * الله
أكبر ليس يعدم عاشقا ) ثم وجدت في كتاب الخريدة في
ترجمة أبي نصر ابن النحاس الحلبي البيتين الأخيرين من
هذه الأبيات الثلاثة وقال أورده أبو الصلت في الحديقة له
يعني لابن النحاس والله أعلم رجعنا إلى حديث الأمير
قرواش وكان كريما وهابا نهابا جاريا على سنن العرب

نقل أنه جمع بين أختين في النكاح فلامته العرب على ذلك فقال خبروني ما الذي نستعمله مما
267 تبيحه الشريعة وكان يقول ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم فأما الحاضرة فما يعبأ الله بهم ودامت إمارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد وكان خارج البلد فقبض بركة عليه في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وقيده وحبسه في الجراحية إحدى قلاع الموصل وتولى مكانه 264 ولقب بركة بزعيم الدولة وأقام في الإمارة سنتين وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين 265 فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد وكان بدران المذكور صاحب نصيبين وتوفي في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة فأول ما فعل قريش أنه قتل عمه قرواشا المذكور في محبسه في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكان فصيحا شاعرا كريما شجاعا وقرواش بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الألف شين معجمة وهو فعوال من القرش وهو في اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش أيضا لأنها كانت تعاني التجارة واجتمع قريش مع أرسلان البساسيري المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم إن الإمام القائم بأمر الله جرى على سجيته في الحلم وكتب إلى السلطان طغرلبك المقدم ذكره في المحمدين ليرضى عنه وورد الخبر بعد ذلك بموته أعني قريش بن بدران في

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة في أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين وكان عمره إحدى وخمسين سنة 266 وولي بعده إمارة بني عقيل ولده أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة وكان قد طمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ثم رجع عن ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الأتاوة من بلاد الروم وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها

268 فبلغه أن حران عصى عليه أهلها فرحل إليهم وحاربوه ففتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة واتسعت له المملكة ولم يكن من أهل بيته من ملك مثله وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها وكانت الطرقات آمنة في بلاده ومن جملة ما نقل عنه أن ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار فحمل ذلك على خزانته فرده وقال لا يتحدث عني أحد أنني أعطيت شاعرا مالا ثم شرهت فيه وأخذته وأنه دخل خزانتي مال جمع من أوساخ الناس وكان يصرف الجزية في جميع بلاده إلى الطالبيين ولا يأخذ منها شيئا وهو الذي عمر سور الموصل وكان ابتداء عمارته يوم الأحد ثالث شوال سنة أربع وسبعين وفرغ من عمارته في ستة أشهر وأخباره كثيرة وجرى بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم مصاف قتل فيه على باب أنطاكية في خامس عشر صفر

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة وغمره خمس وأربعون سنة وشهور هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه المعارف المتأخرة وذكر أيضا ابن الصابي في تاريخه أن مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة والله أعلم وذكر المأموني في تاريخه أنه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه في الحمام وذكر له واقعة في ذلك وذلك في سنة أربع وسبعين والله أعلم بالصواب
267 ورتب السلطان ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره ولده أبا عبد الله محمدا في الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب أرسلان وكان والده مسلم بن قريش اعتقل أخاه أبا سالم إبراهيم ابن قريش بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما هلك مسلم وتقرر أمر ولده محمد في الإمارة اجتمع أهله على إبراهيم المذكور فأخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمدا المذكور فلما مات ملكشاه أطلق
269 وجمع إبراهيم العرب وحارب تاج الدولة تتش السلجوقي المذكور في حرف التاء بمكان يعرف بالمصنع وقتله تاج الدولة تتش صبرا في سنة ست وثمانين وأربعمائة 268 ومن أمراء بني عقيل أيضا أبو الحارث مهارش بن المجلي بن عليب ابن قيان بن شعيب بن المقلد الأكبر بن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور في أول هذه الترجمة ومهارش المذكور هو صاحب الحديثة وهو الذي

نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري لما خرج من بغداد وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه وأقام عنده سنة وهي واقعة مشهورة فلا حاجة إلى شرحها وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات ملازم الجمع والجماعات وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وعمره ثمانون سنة رحمهم الله أجمعين 736 مخلص الدولة ابن منقذ أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المقدم ذكره كان رجلا نبيل القدر سائر الذكر رزق السعادة في بنيه وحفدته وقد تقدم في ترجمة ولده المذكور طرف من بدء أمرهم وكيف ملك القلعة المذكورة وكان والده مقلد المذكور في جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من

270 قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم وكانوا يترددون إلى حلب وحماة وتلك النواحي ولهم بها الآدر النفيسة والأملاك المثمنة وذلك كله قبل أن ملكوا قلعة شيزر وكان ملوك الشام يكرمونهم ويبجلون أقدارهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم وكان فيهم جماعة أعيان روساء كرماء علماء وقد سبق ذكر أسامة بن منقذ وهو من أحفاده ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحمل إلى كفر طاب ورأيت في ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب أشعار له في المذكور

يقول ما صورته وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة
خمس وثلاثين وأربعمائة والله أعلم بالصواب رحمه الله
تعالى ورثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن
أبي حصين بهذه القصيدة وهي من فائق الشعر وأنشدها
لولده أبي الحسن علي المذكور وسأذكرها كلها إن شاء الله
تعالى وإن كانت طويلة لكنها غريبة قليلة الوجود بأيدي
الناس وما رأيت أحدا قط يحفظ منها إلا أبياتا يسيرة
فأحببت ذكرها لذلك وهي هذه ( ألا كل حي مقصدات
مقاتله * وآجل ما يخشى من الدهر عاجله ) ( وهل يفرح
الناجي السليم وهذه * خيول الردى قدامه وحبائله ) (
لعمر الفتى إن السلامة سلم * إلى الحين والمغرور بالعيش
آمله ) ( فتسلب أثواب الحياة معارها * ويقضي غريم
الدين ما هو ماطله ) ( مضى قيصر لم تغن عنه قصوره
* وجدل كسرى ما حمته مجادله )
271 ( وما صد هلكا عن سليمان ملكه * ولا منعت
منه أباه سرابله ) ( ولم يبق إلا من يروح ويغتدي * على
سفر ينأى عن الأهل قافله ) ( وما نفس الإنسان إلا
خزامة * بأيدي المنايا والليالي مراحله ) ( فهل غال بدء
مخلص الدولة الردى * وهل تنزوي عمن سواه غوائله )
( ولكنه حوض الحمام ففارط * إليه وتال مسرعات
رواحله ) ( لقد دفن الأقوام أروع لم تكن * بمدفونة طول
الزمان فضائله ) ( سقى جدثا هالت عليه ترابه * أكفهم
طل الغمام ووابله ) ( ففيه سحاب يرفع المحل هدبه *

وبحر ندى يستغرق البر ساحله ) ( كأن ابن نصر سائرا
في سريره * حبي من الوسمي أقشع هاطله ) ( يمر على
الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله ) (
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق
الركاب ونائله ) ( أناعيه إن النفوس منوطة * بقولك
فانظر ما الذي أنت قائله ) ( بفيك الثرى لم تدر من حل
بالثرى * جهلت وقد يستصغر الأمر جاهله ) ( هو السيد
المهتز للتم بدره * وللجود عطفاه وللطعن عامله ) (
أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
) ( فيا عين سحي لا تشحي بسائل * على ماجد لم يعرف
الشح سائله ) ( متى يسألوه المال تند بنانه * وإن يسألوه
الضيم تبد عوامله ) ( وكم عاد عنه بالخسار مقنع * وكم
نال منه قانع ما يحاوله ) ( له الغلب القاضي على كل
باسل * يجالده أو كل خصم يجادله ) ( محاسنه في
روضة طلها الندى * ولكنه في المجد مات مساجله ) (
فيا عمره أنى قصرت ولم تطل * منازله بل كفه بل
حمائله ) ( جرت تحته العلياء ملء فروجها * إلى غاية
طالت على من يطاوله )
272 ( فما مات حتى نال أقصى مراده * كما
يستسر البدر تمت منازله ) ( فتى طالما يعتاده الجيش
عافيا * فينزله أو عاديا فينازله ) ( صفوح عن الجاني
وصفحة سيفه * إذا هي لم تقتله فالصفح قاتله ) ( وأدمى
عسيب الطرف بعدك هلبه * وعادته أن يقذف الدم كاهله )

( فيا طرفه ما كان عجزك حاملا * أدى صارم لو أن ظهرك حامله ) ( لقد كثر الملبوس بعد مروع * جرت ببيان المشكلات شواكله ) ( إذا ظن لا يخطي كأن ظنونه * على ما يضل الناس عنه دلائله ) ( فلا رحلت عنه نوازل رحمة * ضحاه بها موصولة وأصائله ) ( وروى ثراه منهل العفو في غد * فقد روت العافين أمس مناهله ) ( قضى الله أن يرزا الأمير وهذه * صوافنه موقورة ومناصله ) ( وكل فتى كالبرق إبريق غمده * إذا شامه أو كالذبالة ذابله ) ( فليت ظباه صلت اليوم خلفه * وظلت على غير الصيام صواهله ) ( بني منقذ صبرا فإن مصابكم * يصاب به حافي الأنام وناعله ) ( لقد جل حتى كل واجد لوعة * إذا لج فيها ليس يوجد عاذله ) ( إذا صوحت أيدي الرجال فأنتم * بني منقذ روض الندى وخمائله ) ( وإن فر من وزر الزمان مفرح * فإنكم أوزاره ومعاقله ) ( وصاحب علي الصبر عنه فما غوى * مصاحب صبر عن حبيب يزايله ) ( وما نام حتى قام منك وراءه * أخو يقظات وافر العزم كامله ) ( كأنكما نوءان في فلك العلا * فطالعه هذا وذلك آفله )
273 ( وما كفلوك الأمر إلا لعلمهم * قيامك بالأمر الذي أنت كافله ) ( سعيت إلى نيل المكارم سعيه * ولو كنت لا تسعى كفتك فواضله ) ( ولم تر أن ترقى بما كان فاعلا * أجل إنما المرفوع بالفعل فاعله ) ( لعمرك إني في الذي عن كله * شريك عنان ناصح الود ناخله ) )

وكيف خلو القلب من ذلك الهوى * وقد خلدت بين الشغاف دواخله ) نجزت القصيدة بتمامها وكمالها وقد تقدم في ترجمة الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر مرثية رثاه بها الفقيه عمارة اليمني وهي على وزن هذه المرثية ورويها ولم أذكر منها هناك سوى أبيات قلائل لكثرة وجود ديوان عمارة بأيدي الناس وهذه لا تكاد توجد بكمالها فلهذا أتممتها هاهنا وقد تقدم منها ذكر بيتين في ترجمة الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد المعروف بالجواد الأصبهاني وزير الموصل 269 وتوفي أخوه أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ورثاه الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر بقوله وهو من شعره القديم زمن الصبا ( غربت خلائقك الحسان غريبة * ورمى الزمان دنوها ببعاد ) ( ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت * فيض الدموع حرارة الأكباد ) والخفاجي المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضا بقصيدة طويلة رائية ومدحه بأخرى حائية أجاد فيهما وتركتهما لطولهما والله تعالى أعلم بالصواب

274 737 مكي بن أبي طالب أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقريء أصله من القيروان وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية كان حسن الفهم

والخلق جيد الدين والعقل كثير التواليف في علم القرآن محسنا لذلك مجودا للقراءات السبع عالما بمعانيها ولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة وقال أبو عمرو المقريء الداني إنه ولد سنة أربع وخمسين ونشأ بالقيروان وترعرع وسافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة واختلف بها إلى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع إلى القيروان وكان إكماله لاستظهار القرآن بعد كماله وفراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ثم عاد إلى مصر ثانية بعد استكماله القراءات بالقيروان وذلك في سنة سبع وسبعين فحج في تلك السنة حجة الإسلام ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقريء نزيل مصر بمصر في أول سنة ثمان وسبعين فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع إلى القيروان وقد بقي عليه بعض القراءات ثم عاد إلى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد إلى القيروان في سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقريء إلى سنة سبع وثمانين ثم خرج إلى مكة وأقام بها إلى آخر سنة تسعين وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة في سنة إحدى وتسعين فوصل إلى مصر ثم رحل منها إلى القيروان في سنة اثنتين وتسعين ثم ارتحل إلى

الأندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة
وجلس للاقراء بجامع قرطبة
275 فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم
اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخوله قرطبة
في مسجد النخيلة الذي بالزقاقين عند باب العطارين فأقرأ
به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع
الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله
محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ
فيه مدة الفتنة كلها إلى أن قلده أبو الحسن ابن جهور
الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد
الله وكان ضعيفا عليها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة
إلى أن مات رحمه الله تعالى وكان خيرا فاضلا متواضعا
متدينا مشهورا بإجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك
ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقريء قال كان عندنا
بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبي
محمد المذكور تسلط وكان يدنو منه إذا خطب فيغمزه
ويحصي عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم
ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد
النظر إلى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل في
الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعائي ثم
رفع يديه وقال اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه فأمنا قال فأقعد ذلك
الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم وله تصانيف كثيرة
نافعة فمنها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن

الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا ومنتخب
الحجة لأبي علي الفارسي ثلاثون جزءا وكتاب التبصرة
في القراءات في خمسة أجزاء وهو من أشهر تواليفه
والموجز في القراءات جزءان وكتاب
276 المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره
عشرة أجزاء وكتاب الرعاية لتجويد القراءة أربعة أجزاء
وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء وكتاب
الكشوف عن وجوه القراءات وعللها عشرون جزءا
وكتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء
وكتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء وكتاب
الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب أربعة
أجزاء وكتاب التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر
الاختلاف عنه جزءان وكتاب الانتصاف فيما رده على
أبي بكر الأدفوي وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإبانة ثلاثة
أجزاء وكتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح
المد لورش ثلاثة أجزاء وكتاب الإبانة عن معاني القراءة
جزء وكتاب الوقف على كلا وبلى في القرآن جزءان
وكتاب الاختلاف في عدد الأعشار جزء وكتاب الإدغام
الكبير في المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر
جزء وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء وكتاب
دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء وكتاب
تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم جزء
وكتاب الياءات المشددة في القرآن والكلام جزء وكتاب

اختلاف العلماء في النفس والروح جزء وكتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الإمام مالك والحجة في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء وكتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام إلى زيارة قبر رسول الله جزء وكتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الأحزاب جزء وكتاب منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزءان وكتاب الحروف المدغمة جزءان وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءا وكتاب هجاء المصاحف جزءان وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء وكتاب المنتقى في الأخبار أربعة أجزاء وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم

277 القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة فأغنى عن الإعادة 270 وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقريء المصري المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال كان على دينه وفضله

وعلمه بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفننا في سائر علوم الأدب أنشدت له قصيدة منها قوله ( عليك باقلال الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا ) ( ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا ) وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى سنة تسع وثلثمائة رحمه الله تعالى

278 738 مكي الماكسيني النحوي أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقريء النحوي الضرير الملقب صائن الدين كان والده يصنع الأنطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيئا وترك ولده أبا الحرم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والأدب ثم رحل إلى بغداد واجتمع بأئمة الأدب وقرأ على أبي محمد ابن الخشاب وابن العصار وابن الأنباري وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد إلى الموصل وتصدر بها للإفادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع فنون الأدب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله والمتفق على علمه وفضله رحل إلى بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد

نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب
الأدب ثم قال وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه
بالموصل أعني ابن المستوفي المذكور ( سئمت من
الحياة فلم أردها * تسالمني وتشجيني بريقي ) ( عدوي لا
يقصر في أذائي * ويفعل مثل ذلك بي صديقي )
279 ( وقد أضحت لي الحدباء دارا * وأهل مودتي
بلوى العقيق ) والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا
( إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا تقبله تضح قرير عين )
( إذا عيف النوال لفرد من * فأولى أن يعاف لمنتين ) وله
أيضا ( على الباب عبد يسأل الإذن طالبا * به أدبا لا أن
نعماك تحجب ) ( فإن كان إذن فهو كالخير داخل * عليك
وإلا فهو كالشر يذهب ) وهذا مأخوذ من قول بعضهم (
على الباب عبد من عبيدك واقف * بنعماك مغمور
بشكرك معترف ) ( أيدخل كالإقبال لا زلت مقبلا * مدى
الدهر أم مثل الحوادث ينصرف ) ثم قال ابن المستوفي
وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبدا
يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قريء عليه
شعره للجامع بينهما من العمى والأدب فسلك مسلكه في
النظم انتهى كلام ابن المستوفي قلت وحكى لي بعض من
أخذ عنه أنه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه
مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت
نفسه إلى وطنه فعاد إليه فتسامع به من بقي ممن كان
يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم

وبات تلك الليلة فلما كان سحر خرج إلى الحمام فسمع
امرأة في غرفتها تقول لأخرى ما تدرين من جاء فقالت لا
فقالت مكيك ابن فلانة فقال والله لا قعدت في بلد أدعى فيه
مكيك وسافر من غير تربث بعد أن كان قد نوى الإقامة
بها مدة وعاد إلى الموصل ثم
280 خرج إلى الشام في أواخر عمره لزيارة بيت
المقدس فانتهى إليه وقضى منه وطره ورجع إلى
الموصل من حلب وكان دخوله إلى الموصل في شهر
رمضان وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث
وستمائة بالموصل وخلف ولدا صغيرا ودفن بصحراء
باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران جوار أبي بكر
القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالى ويقال إنه
مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين
أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضى
ذلك والله أعلم وريان بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من
تحتها وبعد الألف نون وشبة بفتح الشين المعجمة وتشديد
الباء الموحدة وبعد هاء ساكنة والماكسيني بفتح الميم وبعد
الألف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا ثم ياء
ساكنة مثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى ماكسين
وهي بليدة من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور
وهي على صغرها تشابه المدن في حسن بنائها ومنازلها
739 مكحول الشامي أبو عبد الله مكحول بن عبد الله

الشامي من سبي كابل ذكره ابن ماكولا في كتاب الإكمال
في ترجمة شاذل فقال في نسبه وهو مكحول بن أبي
281 مسلم واسمه شهراب ابن شاذل بن سند بن
سروان بن بزدك بن يغوب ابن كسرى قال ابن عائشة
كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح وقال
الواقدي كان مولى لامرأة من هذيل وقيل هو مولى سعيد
بن العاص وقيل مولى لبني ليث قال الخطيب كان جده
شاذل من أهل هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم
هلك عنها وهي حامل فانصرفت إلى أهلها فولدت شهراب
فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع
سبي ثم وقع إلى سعيد ابن العاص فوهبه لامرأة من هذيل
فأعتقته وكان معلم الأوزاعي المقدم ذكره في حرف
الهمزة وسعيد بن عبد العزيز قال الزهري العلماء أربعة
سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن
البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن في زمنه
أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم هذا رأي والرأي يخطيء ويصيب
وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأبا هند الداري
وغيرهم وكان مقامه بدمشق وكان في لسانه عجمة
ظاهرة ويبدل بعض الحروف بغيره قال نوح بن قيس سأله
بعض الأمراء عن القدر فقال أساهر أنا يريد أساحر أنا
وكان يقول بالقدر ورجع عنه وقال معقل بن عبد الأعلى

القرشي سمعته يقول لرجل ما فعلت تلك الهاجة يريد الحاجة و هذه العجمة تغلب على أهل السند
282 271 يحكى عن أبي عطاء السندي الشاعر المشهور واسمه مرزوق وهو من موالي أسد بن خزيمة أنه كان في لسانه هذه العجمة فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر المقدم ذكرهما وحماد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني في بعض الليالي ليتذاكروا فقالوا ما بقي شيء إلا وقد تهيأ لنا في مجلسنا هذا فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ليحضر عندنا ويكمل به المجلس فارسلوا إليه فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان وإنما اختار له هذه الألفاظ لأنه كان يبدل من الجيم زايا ومن الشين سينا فقال حماد الراوية أنا أحتال في ذلك فلم يلبثوا أن جاءهم أبو عطاء فقال لهم هياكم الله يريد حياكم الله فقالوا له مرهبا مرهبا يريدون مرحبا مرحبا على لغته فقالوا له ألا تتعشى فقال قد تعسيت فهل عندكم نبيذ نشرب فقالوا نعم فأتوا له بنبيذ فشرب حتى استرخى فقال له حماد الراوية يا أبا عطاء كيف معرفتك باللغز فقال هسن يريد حسن فقال له ملغزا في جرادة ( فما صفراء تكنى أم عوف * كان رجيلتيها منجلان ) فقال زرادة فقال صدقت ثم قال ملغزا في زج ( فما اسم حديدة في الرمح ترسى * دوين الصدر ليست بالسنان ) فقال أبو عطاء زز فقال حماد أصبت ثم

قال ملغزا في مسجد بجوار بني شيطان وهو بالبصرة (
أتعرف مسجدا لبني تميم * فويق الميل دون بني أبان )
283 فقال هو في بني سيطان فقال أحسنت ثم
تنادموا وتفاكهوا إلى سحرة في أرغد عيش وهذا أبو
عطاء من الشعراء المجيدين وكان عبدا أخرب والأخرب
المشقوق الأذن وله في كتاب الحماسة مقاطيع نادرة ولولا
خشية التطويل والخروج عن المقصود لذكرت جملة من
شعره ونوادره وتوفي مكحول المذكور سنة ثماني عشرة
وقيل ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وقيل اثنتي عشرة
وقيل أربع عشرة ومائة رضي الله عنه وكابل بفتح الكاف
وبعد الألف باء موحدة مضمومة ثم لام وهي ناحية
معروفة ببلاد السند 740 ملكشاه السلجوقي أبو الفتح
ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن
سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة وقد تقدم ذكر أبيه
وجماعة من أهل بيته ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور
في ترجمته كان ملكشاه المذكور في صحبته ولم يصحبه
قبلها في سفر غير هذه المرة فولي الأمر من بعده بوصية
والده وتحليف الأمراء والأجناد على طاعته ووصى
وزيره نظام الملك أبا علي الحسن المقدم ذكره في حرف
الحاء على تفرقة البلاد بين أولاده ويكون مرجعهم إلى
ملكشاه المذكور ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعا
إلى

284 البلاد وقد شرحت الواقعة في ترجمة والده فلا حاجة إلى الإعادة فلما وصل إلى البلاد وجد بعض أعمامه وهو قاروت بك صاحب كرمان قد خرج عليه فعاجله وتصافا بالقرب من همذان فنصره الله عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند ملكشاه فأسروه وحملوه إلى ملكشاه فبذل التوبة ورضي بالاعتقال وأن لا يقتل فلم يجبه ملكشاه إلى ذلك فأنفذ له خريطة مملوءة من كتب أمرائه وأنهم حملوه على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان بالوزير نظام الملك فأعطاه الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هناك كانون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لأن أكثرهم كان قد كاتبه وكان ذلك سبب ثبات قدم ملكشاه في السلطنة وكانت هذه معدودة في جميل آراء نظام الملك ثم إن ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء المتقدمين فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وباب الأبواب والروم وديار بكر والجزيرة والشام وخطب له على جميع منابر الإسلام سوى بلاد المغرب فإنه ملك من كاشغر وهي مدينة في أقصى بلاد الترك إلى بيت المقدس طولا ومن القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضا وكان قد

قدر لممالكه ملك الدينا وكان من أحسن الملوك سيرة حتى
كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا في الحروب
ومغرما بالعمائر فحفر كثيرا من الأنهار وعمر على كثير
من البلدان الأسوار وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر
وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد ابتدأ بعمارته في
المحرم من سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد في دار
السلطنة بها وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها
أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وأبطل المكوس
والخفارات في جميع البلاد وكان لهجا بالصيد حتى قيل
إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة
285 آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد أن نسي
كثيرا منه وقال إنني خائف من الله سبحانه وتعالى لإزهاق
الأرواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا تصدق
بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج فجاوز العذيب
وشيعهم بالقرب من الواقصة وصاد في طريقه وحشا
كثيرا فبنى هناك منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون
الظباء التي صادها في ذلك الطريق والمنارة باقية إلى
الآن وتعرف بمنارة القرون وذلك في سنة ثمانين
وأربعمائة وكانت السبل في أيامه ساكنة والمخاوف آمنة
تسير القوافل من ما وراء النهر إلى أقصى الشام وليس
معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا
رهب وحكى محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أن
السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب أخيه تكش فاجتاز

بمشهد علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما بطوس
ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه وأطالا الدعاء ثم
قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله تعالى أن
ينصرك ويظفرك بأخيك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت
اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية ثم قال
الهمداني أيضا عقيب هذا وحكي أن واعظا دخل عليه
ووعظه فكان من جملة ما حكى له أن بعض الأكاسرة
اجتاز منفردا عن عسكره على باب بستان فتقدم إلى الباب
وطلب ماء يشربه فأخرجت له صبية إناء فيه ماء السكر
والثلج فشربه واستطابه فقال لها هذا كيف يعمل فقالت إن
قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه
هذا الماء فقال ارجعي وأحضري شيئا آخر وكانت الصبية
غير عارفة به ففعلت فقال في نفسه الصواب أن أعوضهم
عن هذا المكان وأصطفيه لنفسي فما كان بأسرع من
خروجها باكية وقالت إن نية سلطاننا قد تغيرت فقال ومن
أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد من غير
تعسف والآن
286 فقد اجتهدت في عصر القصب فلم يسمح
ببعض ما كان يأتي فعلم صدقها فرجع عن تلك النية ثم
قال لها ارجعي الآن فإنك تبلغين الغرض وعقد على نفسه
أن لا يفعل ما نواه فخرجت الصبية ومعها ما شاءت من
ماء السكر وهي مستبشرة فقال السلطان للواعظ فلم لا
تذكر للرعية أن كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور

ناولني عنقودا من الحصرم فقال له ما يمكنني ذلك فإن السلطان لم يأخذ حقه ولا تجوز لي خيانته فعجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه وحكى الهمداني أيضا أن سواديا لقيه وهو يبكي فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة أغلمة أتراك فأخذوه مني ومالي حيلة سواه فقال أمسك واستدعى فراشا وكان ذلك عند باكورة البطيخ وقال له إن نفسي قد تاقت إلى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شيء فأحضره فعاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الأمير فلان فأحضره وقال من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم وعاد فقال لم أجدهم فالتفت إلى السوادي وقال هذا مملوكي وقد وهبته لك حين لم يحضر القوم الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لأضربن عنقك فأخذه السوادي بيده وأخرجه من بين يدي السلطان فاشترى الأمير نفسه بثلثمائة دينار وعاد السوادي وقال يا سلطان قد بعت المملوك بثلثمائة دينار فقال أو قد رضيت قال نعم قال امض مصاحبا وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته فكان إذا يدخل أصبهان أو بغداد أو أي بلد من البلاد كان دخل مع عدد لا يحصى لكثرته فيرخص السعر وتنحط أثمان الأشياء عما كانت عليه قبله ويكتسب

المتعيشون مع عسكره الكسب الكثير وحكى الهمداني
أيضا أنه أحضرت إليه مغنية وهو بالري فأعجب بها
287 واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان إني
أغار على هذا الوجه الجميل أن يعذب بالنار وإن الحلال
أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى
القاضي فتزوجها منه وابتنى بها وتوفي عنها وقال
صاحب الدول المنقطعة ومن جملة ما سعى تاج الملك في
نظام الملك الوزير أن قال للسلطان إنه ينفق في كل سنة
على أرباب المدارس والرباطات ثلثمائة ألف دينار ولو
جيش بها جيشا لبلغ باب القسطنطينية فاستحضر النظام
واستفسره عن الحال فقال يا سلطان العالم اني أنا رجل
شيخ ولو نودي علي لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير
وأنت حدث لو نودي عليك لما زادت قيمتك على ثلاثين
دينارا وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحدا
من خلقه أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينه وحفظة كتابه
ثلاثمائة ألف دينار ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في
كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ
رميته ميلا ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه وأنا أجيش
لك بهذا المال جيشا تصل من الدعاء سهامه إلى العرش لا
يحجبها شيء عن الله تعالى فبكى السلطان وقال يا أبت
استكثر من الجيش والأموال مبذولة لك والدنيا بين يديك
وعيون محاسنه أكثر من أن تحصى وحكى الهمداني
أيضا أن نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا

بالسلطان والعسكر نهر جيحون على العامل بأنطاكية وذلك لسعة المملكة وكان مبلغ أجرة المعابر أحد عشر ألف دينار وتزوج الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ابنة السلطان وكان السفير في الخطبة الشيخ أبا إسحاق الشيرازي صاحب المهذب والتنبيه رحمه الله تعالى وأنفذه الخليفة إلى نيسابور لهذا السبب فإن السلطان كان هناك فلما وصل إليه أدى الرسالة ونجز الشغل قال الهمداني أيضا وعاد الشيخ أبو إسحاق إلى بغداد في أقل من أربعة أشهر وناظر إمام الحرمين هناك فلما

288 أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق وظهر له في خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته فيتبركون به وكان زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة في سنة ثمانين وأربعمائة وفي صبيحة دخولها عليه أحضر الخليفة المقتدي عسكر السلطان على سماط صنعه لهم كان فيه أربعون ألف منا سكرا وفي بقية هذه السنة في ذي القعدة منها رزق الخليفة ولدا من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرا وزينت بغداد لأجله وكان السلطان قد دخل إلى بغداد دفعتين وهي من جملة بلاده التي تحتوي عليها مملكته وليس للخليفة فيها سوى الاسم فلما عاد إليها الدفعة الثالثة دخلها في أوائل شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وخرج من فوره إلى ناحية دجيل لأجل الصيد فاصطاد وحشا وأكل من لحمه

فابتدأت به العلة وافتصد فلم يكثر من إخراج الدم فعاد إلى بغداد مريضا ولم يصل إليه أحد من خاصته فلما دخلها توفي ثاني يوم دخوله وهو السادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وكانت ولادته في التاسع من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقيل انه سم في خلال تخلل به وحمل تابوته إلى أصبهان ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية ولم يشهد أحد جنازته ببغداد ولا صلي عليه في الصورة الظاهرة ولا جلسوا للعزاء ولا حذف عليه ذنب فرس كعادة أمثاله بل كأنه اختلس من العالم ومن عجيب الاتفاق أنه لما دخل بغداد في هذه المرة وكان للخليفة المقتدي ولدان أحدهما الإمام المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر ولادته وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بالله بولاية العهد من بعده لأنه كان الأكبر فألزم السلطان الخليفة أن يخلعه ويجعل ابن بنته جعفرا ولي العهد ويسلم بغداد إليه ويخرج الخليفة إلى البصرة فشق ذلك
289 على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا الرأي فلم يفعل فسأل المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله فقيل إن الخليفة في تلك الأيام جعل يصوم ويطوي وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان فمرض السلطان في تلك الأيام ومات وكفي الخليفة أمره وتزوج ابنه الإمام المستظهر

بالله ابنة السلطان خاتون العصمة في سنة اثنتين وخمسمائة وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك وهم بركياروق وسنجر ومحمد كل واحد له ترجمة في حرفه رحمهم الله تعالى أجمعين وكاشغر بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وبعدها راء وقد ذكرت أين هي فلا حاجة إلى الإعادة وهي قصبة بلاد تركستان والواقصة بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة وبعدها صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي منزل معروف بطريق مكة يقال لها واقصة الحرون والباقي معروف فلا حاجة إلى تفسيره والله أعلم بالصواب

741 منصور الفقيه أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير أصله من رأس عين البلدة المشهورة بالجزيرة وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعي رضي الله عنه وعن أصحاب أصحابه وله مصنفات في المذهب مليحة منها

290 الواجب والمستعمل والمسافر والهداية وغير ذلك من الكتب وله شعر جيد سائر وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في طبقات الفقهاء وأنشد له ( عاب التفقه قوم لا عقول لهم * وما عليه إذا عابوه من ضرر ) ( ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر ) ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة ( والنجم تستصغر الأبصار رؤيته * والذنب للطرف لا

للنجم في الصغر ) ومن شعره أيضا ( لي حيلة فيمن ينم
* وليس في الكذاب حيله ) ( من كان يخلق ما يقول *
فحيلتي فيه قليله ) وله أيضا ( الكلب أحسن عشرة *
وهو النهاية في الخساسه ) ( ممن ينازع في الرياسة *
قبل أوقات الرياسة ) وحكي أنه أصابته مسغبة في سنة
شديدة القحط فرقي سطح داره ونادى بأعلى صوته في
الليل ( الغياث الغياث يا أحرار * نحن خلجانكم وأنتم
بحار ) ( إنما تحسن المواساة في الشدة * لا حين ترخص
الأسعار ) فسمعه جيرانه فأصبح على بابه مائة حمل بر
وحكاياته وأخباره مشهورة وتوفي في جمادى الأولى سنة
ست وثلثمائة بمصر

291 وقال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات إنه مات
قبل العشرين والثلثمائة رحمه الله تعالى وذكره القاضي
أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر فقال أصله
من رأس عين وسكن الرملة وقدم إلى مصر وسكنها
وتوفي سنة ست وثلثمائة وكان فقيها جليل القدر متصرفا
في كل علم شاعرا مجيدا لم يكن في زمانه مثله بمصر
وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي حتى كان
منهما ما كان بسبب المسألة وكان لأبي عبيد في كل عشية
مجلس يذاكر فيه رجلا من أهل العلم ويخلو به خلا عشية
الجمعة فإنه كان يخلو بنفسه فيها فكان من العشايا عشية
يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بأبي جعفر الطحاوي
وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزي وعشية يخلو

فيها بعفان بن سليمان وعشية يخلو فيها بالسجستاني
وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء وربما حدث فجرى
بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة
ثلاثا ووجوب نفقتها فقال أبو عبيد زعم قوم أن لا نفقة لها
في الثلاث وأن نفقتها في الطلاق غير الثلاث فأنكر ذلك
منصور وقال قائل هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف
منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوي فحكاه أبو جعفر
لأبي عبيد فأنكره وبلغ ذلك منصورا فقال أنا أكذبه واجتمع
الناس عند القاضي وتواعدوا لحضور ذلك فلما حضروا لم
يتكلم أحد فابتدأ أبو عبيد وقال ما أريد أحدا يدخل علي ما
أريد منصورا ولا نصارا ولا منتصرا قوم عميت قلوبهم
كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله فقال له
منصور قد علم الله أنك قلت كذا وكذا فقال أبو عبيد كذبت
فقال له منصور قد علم الله الكاذب ونهض فلم يأخذ أحد
بيده غير أبي بكر ابن الحداد فإنه أخذ بيده وخرج معه
حتى ركب وزاد الأمر فيما بينهما وتعصب الأمير ذكا
وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور وتعصب للقاضي
جماعة وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزي بكلام
سمعه منه يقال إن منصورا حكاه عن النظام فقال القاضي
إن شهد عليه آخر مثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع
ضربت عنقه فخاف
292 على نفسه ومات في جمادى الأولى من السنة
المذكورة وخاف أبو عبيد أن يصلي عليه لأجل الجند

الذين تعصبوا لمنصور فتأخر عن جنازته لهذا السبب
وحضرها الأمير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج وأوعب
الناس ولم يتخلف كبير أحد وذكر لأبي عبيد أن منصورا
قال عند موته ( قضيت نحبي فسر قوم * حمقى بهم غفلة
ونوم ) ( كأن يومي علي حتم * وليس للشامتين يوم ) (
تموت قبلي ولو بيوم * ونحن يوم النشور توم ) فأطرق
أبو عبيد ساعة ثم قال ( فقد فرحنا وقد شمتنا * وليس
للشامتين لوم ) والله أعلم بالصواب 742 الحاكم العبيدي
أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن
المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي صاحب مصر
وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من أحفاده وسيأتي ذكر أبيه
في حرف النون إن شاء الله تعالى وكلهم كانوا يتسمون
بالخلفاء وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته وذلك
في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ثم استقل بالأمر يوم
وفاة والده على ما سيأتي في تاريخه إن شاء الله تعالى
وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل
293 أهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من
أعجب السير يخترع كل وقت أحكاما يحمل الناس على
العمل بها منها أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين
وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضوان الله عليهم في
حيطان المساجد والقياسر والشوارع وكتب إلى سائر
عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقطع ذلك
ونهى عنه وعن فعله في سنة سبع وتسعين ثم تقدم بعد ذلك

بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهره
ومنها أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلثمائة
فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل ومنها
أنه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا وكبب الترمس المتخذة
لها والجرجير والسمكة التي لا قشر لها وأمر بالتشديد في
ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه فظهر
على جماعة أنهم باعوا أشياء منه فضربوا بالسياط وطيف
بهم ثم ضربت أعناقهم ومنها أنه في سنة اثنتين وأربعمائة
نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه
ونهى التجار عن حمله إلى مصر ثم جمع بعد ذلك منه
جملة كثيرة وأحرق جميعها ويقال إن مقدار النفقة التي
غرموها على إحراقه كانت خمسمائة دينار وفي هذه السنة
منع من بيع العنب وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا
كثيرا من كرومها ورموها في الأرض وداسوها بالبقر
وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة
آلاف جرة وحملت إلى شاطيء النيل وكسرت وقلبت في
بحر النيل وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا
الخيابرة بلبس العمائم السود وأن يعمل النصارى في
أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة
أرطال وأن تحمل اليهود في أعناقهم قرامي
294 الخشب على وزن صلبان النصارى ولا
يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من
الخشب ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يركبوا

حمارا لمكار مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمام الصلبان وفي أعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين وحط على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود القرامي وذلك في سنة ثمان وأربعمائة وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الارباع والأحباس لجماعة من المسلمين وتتابع إسلام جماعة من النصارى وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن الدعاء له والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات وأن يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين وفي سنة أربع وأربعمائة أمر أن لا ينجم أحد ولا يتكلم في صناعة النجوم وأن ينفى المنجمون من البلاد فحضر جميعهم إلى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر كان وعقد عليهم توبة وأعفوا من النفي وكذلك أصحاب الغناء وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء ومحيت صورهن من الحمامات ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج إلى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى وأمر ببناء ما

كان قد هدم من كنائسهم ورد ما كان أخذ من أحباسها
وبالجملة فهذه نبذة
295 من أحواله وإن كان شرحها يطول وكان أبو
الحسن علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له
الزيج المشهور المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير
مبسوط ونقلت من خط الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد
السلفي رحمه الله تعالى أن الحاكم المذكور كان جالسا في
مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته فقرأ بعض
الحاضرين قوله تعالى ( ^ فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما ) ( النساء 65 ) والقاريء في أثناء
ذلك يشير إلى الحاكم فلما فرغ من القراءة قرأ شخص
آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا ( ^ يا أيها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله
حق قدره إن الله لقوي عزيز ) ( الحج&&73 ) فلما أنهى
قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور
بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئا ثم إن بعض أصحاب ابن
المشجر قال له أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته
وما نأمن أن يحقد عليك وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم
يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ومن المصلحة عندي أن
تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر

فغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال ما أقصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده ومن أخباره المستطرفة التي تدخل في أبواب الفرج بعد الشدة ما حدث به بعض الرؤساء أن ولي الدولة ابن خيران استحضره الحاكم ذات يوم وقال له يا ولي الدولة إني أريد أن أزوج مملوكي فلانا على جاريتي فلانة بعد عتقهما وكذلك آخر لأخرى فخذ هاتين الشقتين واخطب فيهما خطبتين حسنتين وانسق الصداق والمهر بعد ذلك على ما تقتضيه صناعة الوراق وبكر إلينا من الفجر

296 ولا تتأخر فقبل ذلك من الحاكم بالسمع والطاعة وانصرف ووصل إلى داره بمصر وأسهر نفسه واستنتج قريحته وجود فكرته وعمل ما أشار له في الكتابين ولم يزل في السهر إلى وقت السحر فاستحثه الرسل فقام ليتوضأ ويتهيأ إليه فعثرت رجله في المحبرة فتطرطش الكتابين فلطم وجهه ووقع مغشيا عليه وانقبض أهله وعلم أنه مقتول فوصى أهله الوصية التامة وركب وأخذ الكتابين في كمه مطويين ولم يزل إلى أن دخل من باب القاهرة ووصل إلى القصر مغلسا والرسل والحجاب منتظرون قدومه وحين وصل أذن له في الدخول فوجد الحاكم في الإيوان الكبير جالسا على سرير وبين يديه طشطان وعليهما قوارتان فلما رأى الحاكم قبل الأرض ووقف صامتا فقال له يا ولي الدولة اكشف هذين الطشطين

فكشف عنهما فإذا في كل منهما رأس رجل ورأس امرأة
فقال هؤلاء اطلعنا منهم على قضية منحوسة وفساد لا
ينبغي الصبر عليه ففعلنا بهم ما فعلنا وتلك الثوبان خذهما
فصلهما لأهلك امض لشأنك فخرج من بين يديه مغشيا
عليه فأقام في الديوان إلى أن سكنت نفسه وهدأ روعه
وكتب إلى أهله رقعة يأمرهم فيها بالسكون والسكوت إلى
أن يجتمع بهم والحاكم المذكور هو الذي بنى الجامع
الكبير بالقاهرة بعد أن كان قد شرع فيه والده العزيز بالله
كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وأكمله
وأبده وبنى جامع راشدة بظاهر مصر وكان شروعه في
عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد عبد
الغني بن سعيد والمصحح لمحرابه أبا الحسن علي بن
يونس المنجم وقد تقدم ذكرهما وأنشأ عدة مساجد بالقرافة
وغيرها وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات
الفضية والستور والحصر السامان ما له قيمة طائلة وكان
يفعل الشيء وينقضه وخرج عليه في سنة خمس وتسعين
وثلثمائة أبو ركوة الوليد بن هشام العثماني
297 الأندلسي وكان خروجه في نواحي برقة ومال
إليه خلق عظيم وسير إليه الحاكم المذكور جيشا كبيرا
وانتصر عليهم وملك ثم تكاثروا عليه وأمسكوه ويقال إنه
قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفا وكان قبضهم إياه في
سنة سبع وتسعين وحمل إلى الحاكم فشهره وقتله يوم

الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وحديثه مستوفى في تاريخ ابن الصابي وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان يحب الانفراد والركوب على بهيمة وحده فاتفق أنه خرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه إلى شرقي حلوان ومعه ركابيان فأعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم أعاد الركابي الآخر وذكر هذا الركابي أنه خلفه عند القبر والمقصبة وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ثم خرج يوم الأحد ثاني ذي القعدة مظفر صاحب المظلة وخطى الصقلبي ونسيم متولي الستر وابن بشتكين التركي صاحب الرمح وجماعة من الأولياء الكتاميين والأتراك فبلغوا دير القصير والموضع المعروف بسلوان ثم أمعنوا في الدخول في الجبل فبينما هم كذلك إذ أبصروا حماره الأشهب الذي كان راكبا عليه المدعو بالقمر وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فتتبعوا الأثر فإذا أثر الحمار في الأرض وأثر راجل خلفه وراجل

298 قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التي في شرقي حلوان فنزل إليها بعض

الرجالة فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ووجدت مزررة
لم تحل أزرارها وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت إلى
القصر بالقاهرة ولم يشك في قتله مع أن جماعة من
المغالين في حبهم السخيفي العقول يظنون حياته وأنه لا بد
أن سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية
ويقال إن أخته دست عليه من يقتله لأمر يطول شرحه
والله أعلم وابن المشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة
والجيم المشددة وبعدها راء وحلوان بضم الحاء المهملة
وسكون الميم وفتح الواو وبعد الألف نون وهي قرية
مليحة كثيرة النزه فوق مصر بمقدار خمسة أميال كان
يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي لما كان
واليا بمصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته وبها
توفي وبها ولد ولده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
299 743 الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور
الملقب الآمر بأحكام الله بن المستعلي بن المستنصر بن
الظاهر ابن الحاكم العبيدي المذكور قبله وقد تقدم بقية
نسبه وسبق ذكر والده في الأحمدين في حرف الهمزة
وبويع الآمر بالولاية يوم مات أبوه في التاريخ المذكور
في ترجمته وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير
الجيوش المذكور في حرف الشين وكان وزير والده وقد
ذكرنا في ترجمته طرفا من أخبار الآمر المذكور ولما
اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الأفضل حسبما تقدم شرحه
واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن

أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء السيرة ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضا ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة واستصفى جميع أمواله ثم قتله في رجب سنة إحدى وعشرين وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته أحدهم يقال له المؤتمن وكان متكبرا متجبرا خارجا عن طوره وله أخبار مشهورة ثم ظهر في مدة القبض على المأمون المصادرات على يد الراهب المسمى أبا شجاع بن قسا فلم يبق أحد إلا وناله بمكروه من ضرب ونهب مال وكان هذا الراهب الملعون في ابتداء حاله يخدم ولي الدولة أبا البركات بن يحيى بن أبي الليث ثم اتصل بالآمر وبذل له في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار فأطلق يده فيهم وتسلسل الحال إلى أن عم البلاد جميع رؤساء مصر وقضاتها وكتابها
300 وشهودها وسوقتها إلى أن صادر رجلا حمالا فأخذ عشرين دينارا ثمن جمل باعه لم يكن يملك سواه وارتفع عنده إلى أن كان يستعمل بتنس ودمياط ملابس مخصوصة من الصوف الأبيض معلمة بالذهب فكان يلبسها ويلبس فوقها الدماقس والديباج وكان يتطيب من المسك بعدة من المثاقيل كل يوم وكان يشم رائحة طيبه من مكان بعيد وكان يركب الحمر بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ويدخل إلى دهليز القاعة المعروفة بلباس الخطباء بالجامع العتيق بمصر فيجلس هناك ويستدعي الناس

للمصادرة وأقام كذلك مدة إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين على يد المقداد الوالي بمصر ثم صلب عند الجسر ذكر أنه لما قبض على دار الراهب وجد فيها مكان فيه ثمانمائة طراحة جدد لم تستعمل قدرت إلى السقف هذا نوع واحد قليل الاستعمال فكيف ما عداه من الديباج وأنواع المتاع الفاخر وكان الآمر سيء الرأي جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة وكان أخذهم لها بالسيف ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحد عدده ولا يحصى وعوقب من بقي من أهلها واستصفيت أموالهم ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الأمر فيها وفي هذه السنة ملكوا عرقة وكان نزولهم عليها أول شعبان من السنة المذكورة وفيها ملكوا بانياس وفيها تسلموا جبيل بالأمان وتسلموا قلعة تبنين يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكان الوالي بها من جهة الأتابك ظهير الدين طغتكين المذكور في حرف التاء

301 في ترجمة تتش بن ألب أرسلان وكان يومئذ
صاحب دمشق وما والاها ولما ملكوا صور ضربوا
السكة باسم الآمر المذكور مدة ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك
وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال
سنة ثلاث وخمسمائة بالسيف وأخذوا صيدا لعشر بقين من
جمادى الآخرة سنة أربع وخمسمائة 273 وفي أيام الآمر
أيضا سنة أربع وخمسمائة وقيل سنة إحدى عشرة والله
أعلم قصد بردويل الافرنجي الديار المصرية ليأخذها
وانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها
ومساجدها وأبواب البلد وقتل بها رجلا مقعدا وابنته
فذبحها على صدره ورحل عنها وهو مريض فهلك في
الطريق قبل وصوله إلى العريش فشق أصحابه بطنه
ورموا حشوته هناك فهي ترجم إلى اليوم ورجلوا بجثته
فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التي في وسط الرمل على
طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور والحجارة
الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وإنما هو هذه
الحشوة وكان بردويل صاحب البيت المقدس وعكا ويافا
وعدة بلاد من ساحل الشام وهو الذي أخذ هذه البلاد
المذكورة من المسلمين وفي هذه السنة أيضا خرج
المهدي محمد بن تومرت المقدم ذكره من مصر وصاحبها
الآمر المذكور إلى بلاد المغرب في زي الفقهاء وجرى له
هناك ما سبق شرحه في ترجمته وكانت ولادة الآمر يوم
الثلاثاء ثالث عشر المحرم وقيل ثاني المحرم سنة تسعين

وأربعمائة بالقاهرة وتولى وعمره خمس سنين ولما
انقضت أيامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث
ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل إلى مصر
وعدى على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر فكمن له
قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها
إلى فرن هناك فلما مر بهم وثبوا
302 عليه فعلبوا عليه بأسيافهم وكان قد جاوز
الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته
وشيعته فحمل في النيل في زورق ولم يمت وأدخل القاهرة
وهو حي وجيء به إلى القصر من ليلته فمات ولم يعقب
وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة
المقدم ذكره وانتقل الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد
المقدم ذكره رحمهم الله تعالى وكان قبيح السيرة ظلم للناس
وأخذ أموالهم وسفك دماءهم وارتكب المحذورات
واستحسن القبائح المحظورات فابتهج الناس بقتله وكان
ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الخط والمعرفة
والعقل وأما المأمون ابن البطائحي الوزير المذكور فهو
الذي بنى الجامع الأقمر بالقاهرة سنة خمس عشرة
وخمسمائة وكان الأفضل ابن أمير الجيوش قد شرع في
عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على
بركة حبش في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يكمله
فأكمله المأمون بعده في مدة وزارته والله أعلم بالصواب
744 قطب الدين مودود قطب الدين مودود بن عماد

الدين زنكي بن آق سنقر المعروف بالأعرج صاحب الموصل وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام وذكر أولاده الثلاثة وهم سيف الدين غازي الذي تولى السلطنة بعده وعز الدين مسعود وعماد الدين زنكي صاحب سنجار واستوعبت في

303 ترجمة غازي ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين المذكور وأنه قصد الموصل ثم قرر أمر غازي المذكور فيها ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم وفي تلك السفرة بنى نور الدين الجامع النوري داخل الموصل وهو مشهور هناك يقام فيه الجمعة وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الأصبهاني في البرق الشامي عند ذكره لوصول نور الدين إلى الموصل أنه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها ما ينفر القلوب منها وقالوا ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره ولم يتم على مراده أمره فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدين عمر الملا وكان من كبار الصالحين بابتياع الخربة وبنائها جامعا وأنفق فيها أموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر المقدم ذكره أيضا وكان حسن السيرة عادلا في حكمه وفي دولته عظم شأن جمال الدين محمد الوزير الأصبهاني المعروف بالجواد المقدم ذكره وهو الذي قبض عليه حسبما سبق شرحه وكان مدبر دولته وصاحب رأيه

الأمير زين الدين علي كجك والد مظفر الدين صاحب إربل وكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة وقد تقدم أيضا ذكره في ترجمة ولده مظفر الدين في حرف الكاف ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته ونفاذ كلمته إلى أن توفي في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وقيل في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وذكر أسامة بن منقذ في كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد أن قطب الدين المذكور توفي سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وليس بصحيح فإن أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب الدين وكانت وفاته بالموصل ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل وخلف عدة أولاد وأكثرهم ملك البلاد وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته رحمهم الله تعالى

304 745 مؤرج السدوسي أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة السدوسي النحوي البصري أخذ العربية عن الخليل بن أحمد وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما وكان يقول قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية وإنما كانت معرفتي قريحة وأول ما

تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة
ودخل الأخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب فقال
له محمد من أين جئت فقال الأخفش من عند القاضي يحيى
بن أكثم قال فما جرى عنده قال سألني عن الثقة المأمون
المقدم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو ومن الذي كان
يوثق بعلمه فقلت النضر بن شميل وسيبويه ومؤرج
السدوسي وكان الغالب على مؤرج المذكور اللغة والشعر
وله عدة تصانيف منها كتاب الأنواء وهو كتاب حسن
وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب
المعاني وغير ذلك واختصر نسب قريش في مجلد لطيف
سماه حذف نسب قريش وكان قد رحل مع المأمون من
العراق إلى خراسان وسكن مدينة مرو وقدم نيسابور وأقام
بها وكتب عنه مشايخها وكان له شعر فمن ذلك ما أنشده
هارون بن علي بن يحيى المنجم في كتابه المسمى ب
البارع وهو ( روعت بالبين حتى ما أراع له *
وبالمصائب من أهلي وجيراني )
305 ( لم يترك الدهر لي علقا أضن به * إلا
اصطفاه بنأي أو بهجران ) ثم قال ابن المنجم المذكور
وهذان البيتان من أملح ما قيل في معناها ومثلهما في
معناهما لبعض المحدثين ( وفارقت حتى ما أراع من
النوى * وإن غاب جيران علي كرام ) ( فقد جعلت نفسي
على اليأس تنطوي * وعيني على هجر الصديق تنام )
ومن هاهنا أخذ ابن التعاويذي المقدم ذكره قوله ( وها أنا

لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح ) وهذا البيت من جملة قصيدة يذكر فيها توجعه لذهاب بصره فمنها قوله مشيرا إلى زوجته ( وباكية لم تشك فقدا ولا رمى * بجيرتها الأدنين نأي مطوح ) ( رمتها يد الأيام في ليث غابها * بفادح خطب والحوادث تفدح ) ( رأت جللا لا الصبر يجمل بالفتى * على مثله يوما ولا الحزن يقبح ) ( فلا غرو أن تبكي الدماء لكاسب * لها كان يسعى في البلاد ويكدح ) ( عزيز عليها أن تراني جاثما * وما لي في الأرض البسيطة مسرح ) ( وأن لا أقود العيس تنفح في البرى * وجرد المذاكي في الأعنة تمرح ) ( أظل حبيسا في قرارة منزل * رهين أسى أمسي عليه وأصبح ) ( مقامي منه مظلم الجو قاتم * ومسعاي ضنك وهو صمحان أفيح ) ( أقاد به قود الجنيبة مسمحا * وما كنت لولا غدرة الدهر أسمح ) ( كأني ميت لا ضريح لجنبه * وما كل ميت لا أبالك يضرح )

306 ( وها أنا لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح ) ( فلله نصل فل مني غراره * وعود شباب عاد وهو مصوح ) ( وسقيا لأيام ركبت بها الهوى * جموحا ومثلي في هوى الغيد يجمح ) ( وماضي صبا قضيت منه لبانتي * خلاسا وعين الدهر زرقاء تلمح ) ( ليالي لي عند الغواني مكانة * فألحاظها ترنو إلي وتطمح ) ( وليلى بها أضعاف ما بي من الهوى * أعرض بالشكوى لها فتصرح ) وهي طويلة طنانة يمدح بها

الإمام الناصر لدين الله خليفة بغداد  وقال المرزباني وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدي ما مثاله أهدى أبو فيد مؤرج السدوسي إلى جدي محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه يمدحه  ( سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج * وأمنحه حسن الثناء مع الود )  ( أغر سدوسي نماه إلى العلى * أب كان صبا بالمكارم والمجد )  ( أتينا أبا فيد نؤمل سيبه * ونقدح زندا غير كاب ولا صلد )  ( فأصدرنا بالري والبذل واللهى * وما زال محمود المصادر والورد )  ( كساني ولم أستكسه متبرعا * وذلك أهنى ما يكون من الرفد )  ( كسانيه فضفاضا إذا ما لبسته * تروحت مختالا وجرت عن القصد )  ( كساء جمال إن أردت جمالة * وثوب شتاء إن خشيت من البرد )  ( ترى حبكا فيه كأن اطرادها * فرند حديث صقله سل من غمد )  ( سأشكر ما عشت السدوسي بره * وأوصي بشكر للسدوسي من بعدي )  وأخبار مؤرج كثيرة  وقال ابن النديم وجدت بخط عبد الله بن المعتز مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أصحاب الخليل بن أحمد وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه أبو نواس وهذا إنما يستقيم على قول من ذهب إلى أن أبا نواس
307 توفي سنة خمس وتسعين ومائة وقد سبق الخلاف فيه  ورأيت في كتاب الأنوار في أوله ما مثاله قال أبو علي إسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي قرأنا هذا الكتاب على المؤرج بجرجان ثم قدمنا مع المأمون العراق

سنة أربع ومائتين فخرج المؤرج إلى البصرة ثم مات بها رحمه الله تعالى وهذا خلاف للأول والله أعلم بالصواب وأما مؤرج فلا خلاف أنه مات في هذه السنة وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وغيره وفيد بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو في الأصل ورد الزعفران وقيل هو الزعفران بعينه ومؤرج بضم الميم وفتح الواو المهموزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم وهو اسم فاعل من قولهم أرجت بين القوم إذا أغريت بينهم وقد تقدم الكلام على السدوسي في ترجمة قتادة في حرف القاف وقيل إن اسمه مرثد ومؤرج لقب له ومرثد بفتح الميم والثاء المثلثة وراء ساكنة وفي الآخر دال مهملة قال الجوهري في كتاب الصحاح يقال رثدت المتاع نضدته ووضعت بعضه على بعض أو إلى جنب بعض ثم قال بعد ذلك تركت بني فلان مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل والمرثد اسم من أسماء الأسد وكان مؤرج يقول اسمي وكنيتي غريبان اسمي مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم و أرشت وأنا أبو فيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا إذا مات والله أعلم بالصواب

308 746 موسى الكاظم أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد

الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين  قال الخطيب
في تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته
واجتهاده  روي أنه دخل مسجد رسول الله فسجد سجدة في
أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده عظم الذنب عندي
فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة
فجعل يرددها حتى أصبح  وكان سخيا كريما وكان يبلغه
عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار
وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي
دينار ثم يقسمها بالمدينة  وكان يسكن المدينة فأقدمه
المهدي بغداد وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وهو يقول يا محمد ( فهل عسيتم إن توليتم
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ) ( محمد 22 )
قال الربيع فأرسل إلي ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ
هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال علي بموسى بن
جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال يا أبا الحسن
إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن تخرج علي أو
على أحد من أولادي فقال والله
309 لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت
أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة قال
الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو في الطريق
خوف العوائق  وأقام بالمدينة إلى أيام هارون الرشيد فقدم
هارون منصرفا من عمرة شهر رمضان سنة تسع

وسبعين ومائة فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه  وذكر أيضا أن هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي زائرا وحوله قريش ورؤساء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فقال موسى السلام عليك يا أبت فتغير وجه هارون الرشيد وقال هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا انتهى كلام الخطيب  وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتا ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي في الدخول عليه فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ثم قال يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت

المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك لك قال فمضيت إلى الحبس لأخرجه فلما رآني موسى
310 وثب إلي قائما وظن أني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرني بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا فلك كل ما تحب وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق لك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فإني أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول قال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى ولـه أخبار ونوادر كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين بالمدينة وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل سنة ست وثمانين ببغداد وقيل إنه توفي مسموما وقال الخطيب توفي في الحبس ودفن في مقابر الشونيزيين خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع

الآلات والفرش ما لا يحد وهو في الجانب الغربي وقد سبق ذكر أبيه وأجداده وجماعة من أحفاده رضي الله عنهم وأرضاهم وكان الموكل به مدة حبسه السندي بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور

311 747 كمال الدين ابن يونس أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي تفقه بالموصل على والده ثم توجه إلى بغداد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السديد السلماسي المقدم ذكره وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني فقرأ الخلاف والأصول وبحث الأدب على الكمال أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المقدم ذكره فتميز ومهر وكان قد قرأ أولا على الشيخ أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وهو بالموصل ثم أصعد إلى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى في موضعه بالمسجد المعروف بالأمير زين الدين صاحب إربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة ويعرف الآن بالمدرسة الكمالية لأنه نسب إلى كمال الدين المذكور لطول إقامته به ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء وتبحر في جمع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد

وتفرد بعلم الرياضة ولقد رأيته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وترددت إليه دفعات عديدة لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الأكيدة ولم يتفق لي الأخذ عنه لعدم الإقامة وسرعة الحركة إلى الشام وكان الفقهاء يقولون إنه يدري أربعة

312 وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك المذهب وكان فيه أوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هي عليه من الإشكال المشهور وكان يتقن فني الخلاف العراقي والبخاري وأصول الفقه وأصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي إلى الموصل وكان بها إذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الإرشاد للعميدي لما وقف عليها حلها في ليلة واحدة وأقرأها على ما قالوه وكان يدري فن الحكمة المنطق والطبيعي والإلهي وكذلك الطب ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي المجسطي لفظة يونانية معناها بالعربي الترتيب ذكر ذلك الوكري في كتابه وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والأرثماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها وبالجملة فلقد كان كما

قال الشاعر ( وكان من العلوم بحيث يقضى * له في كل فن بالجميع ) واستخرج في علم الأوفاق طرقا لم يهتد إليها أحد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثا تاما مستوفى حتى إنه كان يقريء كتاب سيبويه والإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي والمفصل للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد جيدة وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والأشعار والمحاضرات شيئا كثيرا وكان أهل الذمة يقرءون عليه التوراة والإنجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحا يعترفون

313 أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل إلى إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وقبلها في خمس وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث وكنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف فبينما أنا يوما عنده إذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا في الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين في أثناء الحديث فقال له الأثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك فقال نعم فقال كيف كان إقبال الديوان العزيز عليه فقال

ذلك الفقيه ما أنصفوه على قدر استحقاقه فقال الأثير ما هذا إلا عجب والله ما دخل إلى بغداد مثل الشيخ فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له يا سيدنا كيف تقول كذا فقال يا ولدي ما دخل إلى بغداد مثل أبي حامد الغزالي ووالله ما بينه وبين الشيخ نسبة وكان الأثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه يقرأ عليه والناس يوم ذاك يشتغلون في تصانيف الأثير ولقد شاهدت هذا بعيني وهو يقرأ عليه كتاب المجسطي ولقد حكى لي بعض الفقهاء أنه سأل الشيخ كمال الدين عن الأثير ومنزلته في العلوم فقال ما أعلم فقال وكيف هذا يا مولانا وهو في خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك فقال لأني مهما قلت له تلقاه بالقبول وقال نعم يا مولانا فما جاذبني في مبحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولا شك أنه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأدبا وكان معيدا عنده في المدرسة البدرية وكان يقول ما تركت بلادي وقصدت الموصل إلا للاشتغال على الشيخ

314 وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح المقدم ذكره يبالغ في الثناء على فضائله وتعظيم شأنه وتوحده في العلوم فذكره يوما وشرع في وصفه على عادته فقال له بعض الحاضرين يا سيدنا على من اشتغل ومن كان شيخه فقال هذا الرجل خلقه الله تعالى عالما إماما في فنونه لا يقال على من اشتغل ولا من شيخه فإنه أكبر من هذا وحكى

لي بعض الفقهاء بالموصل أن ابن الصلاح المذكور سأله
أن يقرأ عليه شيئا من المنطق سرا فأجابه إلى ذلك وتردد
إليه مدة فلم يفتح عليه فيه بشيء فقال له يا فقيه المصلحة
عندي أن تترك الاشتغال بهذا الفن فقال له ولم ذاك يا
مولانا فقال لأن الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل
من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد فكأنك تفسد عقائدهم
فيك ولا يحصل لك من هذا الفن شيء فقبل إشارته وترك
قراءته ومن يقف على هذه الترجمة فلا ينسبني إلى
المغالاة في حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد
وعرف ما كان عليه الشيخ عرف أني ما أعرته وصفا
ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل ولقد ذكره أبو
البركات المبارك بن المستوفي المقدم ذكره في تاريخ إربل
فقال هو عالم مقدم ضرب في كل علم وهو في علم
الأوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار إليه حل
اقليدس والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر بن
محمد بن المظفر الطوسي الفارابي يعني صاحب
الاصطرلاب الخطي المعروف بالعصا ثم قال ابن
المستوفي وردت عليه مسائل من بغداد في مشكلات هذا
العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد أن
احتقرها وهو في الفقه والعلوم
315 الإسلامية نسيج وحده ودرس في عدة مدارس
بالموصل وتخرج عليه خلق كثير في كل فن ثم قال
أنشدنا لنفسه وأنفذها إلى صاحب الموصل يشفع عنده )

لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف ( بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف ) ( ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما * تمكن في أمصار فرعون يوسف ) قلت أنا ولقد أنشدني هذه الأبيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وبها رجل فاضل في علوم الرياضة فأشكل عليه مواضع في مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها في درج وسيرها إلى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه ثم كتب في آخر الجواب فليمهد العذر في التقصير في الأجوبة فإن القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه وقال لي صاحب المسائل المذكورة ما سمعت مثل هذا الكلام إلا للأوائل المتقنين لهذه العلوم ما هذا من كلام أبناء هذا الزمان وحكى لي الشيخ الفقيه الرياضي علم الدين قيصر بن أبي القاسم عبد الغني بن مسافر الحنفي المصري المعروف بتعاسيف وكان إماما في علوم الرياضة قال لما أتقنت علوم الرياضة بالديار المصرية ودمشق تاقت نفسي إلى الاجتماع بالشيخ كمال الدين لما كنت أسمعه من تفرده بهذه العلوم فسافرت إلى الموصل

قصد الاجتماع به فلما حضرت في خدمته وجدته على حلية الحكماء المتقدمين وكنت
316 قد طالعت أخبارهم فسلمت عليه وعرفته قصدي له للقراءة عليه فقال لي في أي العلوم تريد تشرع فقلت في الموسيقى فقال مصلحة هو فلي زمان ما قرأه أحد علي فأنا أوثر مذاكرته وتجديد العهد به فشرعت فيه ثم في غيره حتى شققت عليه أكثر من أربعين كتابا في مقدار ستة أشهر وكنت عارفا بهذا الفن لكن كان غرضي الانتساب في القراءة إليه وكان إذا لم أعرف المسألة أوضحها لي وما كنت أجد من يقوم مقامه في ذلك وقد أطلت الشرح في نشر علومه ولعمري لقد اختصرت ولما توفي أخوه الشيخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى الشيخ المدرسة العلائية موضع أخيه ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة وكان مواظبا على إلقاء الدروس والإفادة وحضر في بعض الأيام دروسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالس وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماجوج بن يوسف الصنهاجي اللزني النحوي البجائي حاضرا فأنشد على البديهة قوله ( كمال كمال الدين للعلم والعلى * فهيهات ساع في مساعيك يطمع ) ( إذا اجتمع النظار في كل موطن * فغاية كل أن تقول ويسمعوا ) ( فلا تحسبوهم من غناء تطيلسوا * ولكن حياء واعترافا تقنعوا ) وللعماد المذكور فيه أيضا ( تجر

الموصل الأذيال فخرا * على كل المنازل والرسوم ) (
بدجلة والكمال هما شفاء * لهيم أو لذي فهم سقيم ) ( فذا
بحر تدفق وهو عذب * وذا بحر ولكن من علوم ) وكان
الشيخ سامحه الله تعالى يتهم في دينه لكون العلوم العقلية
غالبة
317 عليه وكانت تعتريه غفلة في بعض الأحيان
لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد
المذكور ( أجدك أن قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل
لي وأصبح مؤنسي ) ( وعاطيته صهباء من فيه مزجها *
كرقة شعري أو كدين ابن يونس ) وقد خرجنا عن
المقصود إلى ما لا حاجة بنا إليه وكانت ولادته يوم
الخميس خامس صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
بالموصل وتوفي بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين
وستمائة ودفن في تربتهم المعروفة بهم عند تربة عناز
خارج باب العراق وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد
في حرف الهمزة وأخيه عماد الدين في حرف الميم
وسيأتي ذكر والده في حرف الياء إن شاء الله تعالى
رحمهم الله أجمعين ولما كنت أتردد إلى خدمته بالموصل
أوقع الله في نفسي أنه إن رزقت ولدا ذكرا سميته باسمه ثم
سافرت في بقية السنة المذكورة إلى الشام وأقمت به عشر
سنين ثم سافرت إلى الديار المصرية في سنة ثلاث
وثلاثين وستمائة وتقلبت الأحوال ثم حصل التأهل فرزقني
الله ولدي الأكبر في بكرة يوم السبت حادي عشر صفر

سنة إحدى وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة فسميته موسى وعجبت من موافقته للشيخ في الولادة في الشهر والسنة فكان بين مولدهما سنة وذكرت ذلك للشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المحدث فعجب من هذا الاتفاق وجعل يكرر التعجب ويقول والله ان هذا لشيء غريب 274 وتوفي الشيخ رضي الدين القزويني مدرس المدرسة النظامية المذكور

318 في أول هذه الترجمة في الثالث والعشرين من المحرم سنة تسعين وخمسمائة وكانت ولادته في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بقزوين وموته بها أيضا ولولا خوف الإطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال الدين ما يستغرق الوصف وقد تقدم الكلام على الصنهاجي وأما اللزني فهو بفتح اللام وسكون الزاي وبعدها نون هذه النسبة إلى لزنة وهي قبيلة من البربر تسكن بالقرب من بجاية من عمل إفريقية 275 وتوفي علم الدين تعاسيف المذكور يوم الأحد ثالث عشر رجب من سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق ودفن خارج باب شرقي ثم نقل إلى باب الصغير ومولده في سنة أربع وسبعين وخمسمائة بأصفون من شرقي صعيد مصر رحمه الله تعالى 748 موسى بن نصير أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الأندلس كان من التابعين رضي الله عنهم وروى عن تميم الداري رضي الله عنه

319 وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى
لم يهزم له جيش قط 276 وكان والده نصير على حرس
معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده مكينة ولما خرج
معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج
معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك
يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشكرك بكفر من هو
أولى بشكري فقال ومن هو قال الله عز وجل فقال وكيف
لا أم لك قال وكيف لا أعلمك هذا فأعض وأمص قال
فأطرق معاوية مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه وكان
عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على
مصر وإفريقية فبعث إليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك
أيام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير إلى إفريقية
وذلك في سنة تسع وثمانين للهجرة وقال الحافظ أبو عبد
الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس إن موسى ابن نصير
تولى إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فأرسله إليها فلما
قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه أن بأطراف البلاد
جماعة خارجين عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة
ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان إلى جهة أخرى
فأتاه بمائة ألف رأس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين
ألف رأس وقال أبو شبيب الصدفي لم يسمع في الإسلام
بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن إفريقية
خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط
شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين

وخرج بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق
بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام
على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم
يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين
فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير
320 الله عز وجل فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى
غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا
عظيما وسار حتى انتهى إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد
فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له
الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة
وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال إنه من
الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر
بالأسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم
وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر
القرآن وفرائض الإسلام ورجع إلى إفريقية ولم يبق بالبلاد
من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له
القواعد كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد
الأندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب إلا قدر
يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة إلى
الجزيرة الخضراء من بر الأندلس وصعد إلى جبل يعرف
اليوم بجبل طارق لأنه نسب إليه لما حصل عليه وكان
صعوده إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين
وتسعين للهجرة في اثني عشر ألف فارس من البربر خلا

اثنى عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما في
المركب وقت التعدية وأنه رأى النبي والخلفاء الأربعة
رضي الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره
رسول الله بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد
ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الخاء في
تاريخ الأندلس وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد
الأندلس ملك يقال له لذريق ولما احتل طارق بالجبل
المذكور كتب إلى موسى بن نصير إني فعلت ما أمرتني
به وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول فلما وصل كتابه
إلى موسى ندم على تأخره
321 وعلم أنه إن فتح نسب الفتح إليه دونه فأخذ في
جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم
يدركه إلا بعد الفتح وكان لذريق المذكور قد قصد عدوا
له واستخلف في المملكة شخصا يقال له تدمير وإلى هذا
الشخص تنسب بلاد تدمير بالأندلس وهي مرسية وما
والاها وهي خمسة مواضع تسمى بهذا الاسم واستولى
الفرنج على مرسية سنة اثنتين وخمسين وستمائة فلما نزل
طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق
الملك إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم
من الأرض فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في
سبعين ألف فارس ومعه العجل يحمل الأموال والمتاع
وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر
والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه

فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته المحصنة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ فيها بنفسي واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا

322 بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال

والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته
وإظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من
دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي إنجادكم
على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني أول
مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل
بنفسي على طاغية قومه لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى
فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولن يعوزكم
بطل عاقل تسندون أمركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه
فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا
المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون فلما
فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في قتال
لذريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت
نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا قد
قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر إليه فأنا
معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ
لذريق وكان قد نزل بمتسع من الأرض فلما تراءى
الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس إلى
الصبح فلما أصبح الفريقان تلببوا وعبوا كتائبهم وحمل
لذريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله
وهو مقبل في غاية من البنود والأعلام
323 وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق
وأصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض
وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا

الرماح فلما نظر إليهم لذريق قال أما والله إن هذه الصور التي رأينا ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب ونتكلم هاهنا على بيت الحكمة ما هو ثم نتكلم على حديث هذه الواقعة وأصل خبر بيت الحكمة أن اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون ببلاد المشرق قبل عهد الإسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس لكونها طرفا في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يوم ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الأرض بعد الطوفان كان صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال جناحاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر قلت وجرى في مجلس الحافظ أبي طاهر السلفي نادرة تصلح أن نذكرها هاهنا وهي أن أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الجمش البلبيسي كان في مجلسه وعبد العزيز الشريشي يقرأ حديث عمرو بن العاص خلقت الدنيا على صورة طير الحديث المذكور فقال الشريشي لأبي إسحاق يمازحه اسمع يا أبا إسحاق وشر ما في الطير ذنبه فقال أبو إسحاق هيهات ما عرفت أنت ما كان ذلك الطائر المشبه كان طاووسا وما فيه أحسن من

ذنبه وكانت اليونان لا ترى فناء الأمم بالحروب لما ترى فيه من الإضرار والاشتغال
324 عن العلوم التي كان أمرها عندهم من أهم الأمور فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس إلى الأندلس فلما صاروا إليها أقبلوا على عمارتها فشقوا الأنهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنات والكروم وشيدوا الأمصار وملؤوها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها إن الطائر الذي صورت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله في ذنبه فاغتبطوا بها أتم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة طليطلة لأنها وسط البلاد وكان أهم الأمور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الأمم فنظروا فإذا ليس ثم من يحسدهم على أرغد العيش إلا أرباب الشظف والشقاء وهم يوم ذاك طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا أن يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك أرصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الأوضاع ازدادوا منهم نفورا وكثر تحذيرهم من مخالطتهم في نسب أو مجاورة حتى انبث ذلك في طبائعهم وصار بعضهم مركبا في غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس لهم وبغضهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا ولا بربريا إلا مبغضا أندلسيا إلا

أن البربر أحوج إلى أهل الأندلس من أهل الأندلس إلى
البربر لكثرة وجود الأشياء بالأندلس وعدمها ببلاد البربر
وكان بنواحي غرب جزيرة الأندلس ملك يوناني بجزيرة
يقال لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها
ملوك الأندلس وكانت جزيرة الأندلس كثيرة الملوك لكل
بلدة أو بلدتين ملك تناصفا منهم في ذلك فخطبها كل واحد
منهم وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم وإسخاط
325 الباقين فتحير في أمره وأحضر ابنته المذكورة
وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم وإناثهم
ولذلك قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء
من أهل الأرض على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين
وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال لها يا بنية إني قد
أصبحت في حيرة من أمري قالت وما حيرك قال قد
خطبك جميع ملوك الأندلس ومتى أرضيت واحدا أسخطت
الباقين فقالت اجعل الأمر إلي تخلص من اللوم قال وما
تصنعين قالت أقترح لنفسي أمرا من فعله كنت زوجته
ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال وما الذي تقترحين
قالت أقترح أن يكون ملكا حكيما قال نعم ما اخترتيه
لنفسك وكتب في أجوبة الملوك الخطاب إني جعلت الأمر
إليها فاختارت من الأزواج الملك الحكيم فلما وقفوا على
الأجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيما وكان في
الملوك رجلان حكيمان فكتب كل واحد منهما إليه أنا
الرجل الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقي

الأمر على إشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به فأيهما سبق إلى الفراغ مما التمسته تزوجت به قال وما الذي تقترحين عليهما قالت إننا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون إلى رحى تدور بها وإني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ طلسما يحصن به جزيرة الأندلس من البربر فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب إلى الملكين بما قالته ابنته فأجابا إلى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد في عمل ما ندب إليه من ذلك فأما صاحب الرحى فإنه عمد إلى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد

326 بعضها في بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفروج التي بين الحجارة بما اقتضته حكمته وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة وآثارها باقية إلى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الأندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الإسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة إلى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب إليها الماء العذب من موضع عال في الجبل بالبر الكبير وسلطه في ساقية محكمة البناء وبني بجزيرة الأندلس رحى على هذه الساقية وأما

صاحب الطلسم فإنه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنه أعمل أمره وأحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صور من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربري له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم في رأسه لجعودتها متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه في رجليه نعل وهو قائم في رأس البناء على مستدق بمقدار رجليه فقط وهو شاهق في الهواء طوله نيف عن ستين ذراعا أو سبعين وهو محدد الأعلى إلى أن ينتهي إلى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه مشيرا إلى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربري حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للرحى والطلسم يتسابقان إلى التمام من عملهما إذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل عمل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى

327 يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم اليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة

من أوله وأدار الرحى واشتهر ذلك واتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الأندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت بابا وأقفلوه وتقدموا إلى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقي على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما كان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلا شيء وأريد أن أفتحه لأنظر ما فيه فإنه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت لم يعمل عبثا ولا أقفل سدى بل المصلحة أن تلقي عليه قفلا كما فعل من تقدمك من الملوك وكانوا آباءك وأجدادك ولم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال إن نفسي تنازعني إلى فتحه ولا بد لي منه فقالوا إن كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من

أموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الأقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيئا إلا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب
328 هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدون بالسيوف المحلاة معتقلون بالرماح فأمر بنشر ذلك الرق فإذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت إلى جزيرة الأندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لذريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث إلا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الأندلس انتهى الكلام على بيت الحكمة ونعود الآن إلى تتمة حديث لذريق وجيش طارق بن زياد فلما رأى طارق لذريق قال لأصحابه هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق فخلص إليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على

سريره فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك جزيرة الأندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال طارق أيها الأمير والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسي يعني البحر الشمالي الذي تحت بنات نعش فلم يزل طارق

329 يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية وهي على ساحل البحر المحيط ثم رجع قال الحميدي في جذوة المقتبس إن موسى بن نصير نقم على طارق إذ غزا بغير إذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد بإطلاقه فأطلقه وخرج معه إلى الشام وكان خروج موسى من الأندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه وتعالى على يديه وما معه من الأموال في سنة أربع وتسعين للهجرة وكان معه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام التي وجدت في طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث إنها حملت على بغل قوي فما سار قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان

وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق ويقال إن الوليد كان قد نقم عليه أمرا فلما وصل إليه وهو بدمشق أقامه في الشمس يوما كاملا في يوم صائف حتى خر مغشيا عليه وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه مع أني تركت الأكثر وأتيت بالمقصود وقال الليث بن سعد ان موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى الوليد ابن عبد الملك إنها ليست الفتوح ولكنها الجنة ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين حج معه موسى بن نصير ومات في الطريق بوادي القرى وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة تسع عشرة للهجرة رحمه الله تعالى

330 749 الملك الأشرف موسى الأيوبي أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب الملقب الملك الأشرف مظفر الدين أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها سيره إليها والده من الديار المصرية في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ثم أضيفت إليه حران وكان محبوبا إلى الناس مسعودا مؤيدا في الحروب من يومه لقي نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل المذكور في حرف الهمزة وكان يوم ذاك من الملوك المشاهير الكبار وتواقعا في مصاف فكسره وذلك في سنة ستمائة يوم

السبت تاسع عشر شوال بموضع يقال له بين النهرين من أعمال الموصل وهي وقعة مشهورة فلا حاجة إلى تفصيلها ولما توفي أخوه الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحي أخذ الملك الأشرف مملكته مضافة إلى ملكه وتوفي الملك الأوحد في شهر ربيع الأول سنة تسع وستمائة وكانت وفاته بملازكرد من أعمال خلاط ودفن بها وكان الملك الأوحد قد ملك خلاط في سنة أربع وستمائة فاتسعت حينئذ مملكته وبسط العدل على الناس وأحسن إليهم إحسانا لم يعهدوه ممن كان قبله وعظم وقعه في قلوب الناس وبعد صيته وكان قد ملك نصيبين الشرق في سنة ست وستمائة وأخذ سنجار سنة سبع عشرة في رابع جمادى الأولى ورأيت في موضع آخر أنه أخذها في مستهل صفر من السنة والله أعلم وكذلك الخابور وملك معظم بلاد الجزيرة وكان يتنقل

331 فيها وأكثر إقامته بالرقة لكونها على الفرات ولما مات ابن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الغين عزم عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب الروم على قصد حلب فسير أرباب الأمر بحلب إلى الملك الأشرف وسألوه الوصول إليهم لحفظ البلد فأجابهم إلى سؤالهم وتوجه إليهم وأقام بالياروقية بظاهر حلب مدة ثلاث سنين وجرت له

مع صاحب الروم وابن عمه الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وقائع مشهورة لا حاجة إلى الإطالة في شرحها ولما أخذت الفرنج دمياط في سنة ست عشرة وستمائة حسبما شرحناه في ترجمة الملك الكامل توجهت جماعة من ملوك الشام إلى الديار المصرية لإنجاد الملك الكامل وتأخر عنه الملك الأشرف لمنافرة كانت بينهما فجاءه أخوه الملك المعظم المقدم ذكره في حرف العين بنفسه وأرضاه ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه فصادف عقيب وصوله إليها بأشهر كما ذكرناه في ترجمة الكامل محمد انتصار المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم وكانوا يرون ذلك بسبب يمن غرته وكان وصوله إليها في المحرم سنة ثماني عشرة وستمائة واستناب أخاه الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل في خلاط فعصى عليه فقصده في عساكره وأخذها منه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وستمائة ولما مات الملك المعظم في التاريخ المذكور في ترجمته قام بالأمر من بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود فقصده عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه فاستنجد بعمه الملك الأشرف وكان يومئذ ببلاد الشرق فوصل إليه واجتمع به في دمشق ثم خرج منها متوجها إلى أخيه الملك الكامل واجتمع به وجرى الاتفاق بينهما على أخذ دمشق من الملك الناصر وتسليمها إلى الملك الأشرف ويبقى للملك

الناصر الكرك والشوبك ونابلس وبيسان وتلك النواحي ويتزل الملك الأشرف عن حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ويسلمها إلى الملك الكامل فاستتب الحال على ذلك

332 وتسلم الملك الكامل دمشق لاستقبال شعبان من السنة بنوابه ورحل الناصر إلى بلاده التي بقيت عليه يوم الجمعة ثاني عشر شعبان ثم دخل الملك الكامل إلى دمشق في سادس عشر الشهر المذكور وعاد وخرج إلى مكانه الذي كان فيه ثم دخل هو والأشرف إلى القلعة في ثامن عشر شعبان ثم سلمها إلى أخيه الملك الأشرف على ما تقرر بينهما في أواخر شعبان من سنة ست وعشرين وستمائة وانتقل الملك الكامل إلى بلاده التي تسلمها بالشرق ليكشف أحوالها ويرتب أمورها واجتزت في التاريخ المذكور بحران وهو بها وانتقل الأشرف إلى دمشق واتخذها دار إقامة وأعرض عن بقية البلاد ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خلاط وحاصرها وضايقها أشد مضايقة وأخذها في جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين من نواب الملك الأشرف وهو مقيم بدمشق ولم يمكنه في ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لأعذار كانت له ثم عقيب ذلك دخل إلى بلاد الروم باتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقباذ أخي عز الدين كيكاوس المذكور وتعاقد على قصد خوارزم شاه وضرب المصاف معه فإن صاحب الروم أيضا كان يخاف على بلاده منه لكونه

مجاوره فتوجها نحوه في جيش عظيم من جهة الشام والشرق في خدمة الملك الأشرف وعسكر صاحب الروم والتقوا بين خلاط وأرزنكان بموضع يقال له يا للرحمان في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وانكسر خوارزم شاه وهي واقعة مشهورة وعادت خلاط إلى الملك الأشرف وقد خربت ثم رجع إلى الشام وتوجه إلى الديار المصرية وأقام عند أخيه الملك الكامل مدة ثم خرج في خدمته قاصدين آمد ونزلوا عليها وفتحوها في مدة يسيرة وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة وأضافها الملك الكامل إلى ممالكه ببلاد الشرق ورتب فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور في ترجمة

333 والده وفي خدمته الطواشي شمس الدين صواب الخادم العادلي ثم عاد كل واحد إلى بلاده ثم كانت واقعة ببلاد الروم والدربندات في أواخر سنة إحدى وثلاثين وستمائة وهي مشهورة ورجع الكامل والأشرف ومن معهما من الملوك بغير حصول مقصود ولما رجعا خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق فأخذها وأخرجها ثم عاد الكامل والأشرف وأتباعهما ومن معهما من الملوك إلى بلاد الشرق واستنقذوها من نواب صاحب الروم ثم رجعوا إلى دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق وفي تلك الوقعة رأيت الكامل والأشرف وكانا يركبان معا ويلعبان بالكرة

في الميدان الأخضر الكبير كل يوم وكان شهر رمضان فكانا يقصدان بذلك تعبير النهار لأجل الصوم ولقد كنت أرى من تأدب كل واحد منهما مع الآخر شيئا كثيرا ثم وقعت بينهما وحشة وخرج الأشرف عن طاعة الكامل ووافقته الملوك بأسرها وتعاهد هو وصاحب الروم وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص وأصحاب الشرق على الخروج على الملك الكامل ولم يبق مع الملك الكامل سوى ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك فإنه توجه إلى خدمته بالديار المصرية فلما تحالفوا وتحزبوا واتفقوا وعزموا على الخروج على الملك الكامل مرض الملك الأشرف مرضا شديدا وتوفي يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بقلعتها ثم نقل إلى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي من جامع دمشق وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالديار المصرية بالقاهرة وقيل بقلعة الكرك رحمه الله تعالى وقد ذكرت في ترجمة أخيه الملك المعظم عيسى ما ذكره سبط ابن الجوزي في مولدهما وتوفي أخوه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين في رجب سنة خمس وأربعين وستمائة بميافارقين هذه خلاصة أحواله وكان سلطانا كريما حليما واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء لا يوجد في خزانته شيء من المال مع اتساع مملكته ولا تزال

334 عليه الديون للتجار وغيرهم ولقد رأى يوما
في دواة كاتبه وشاعره الكمال أبي الحسن علي بن محمد
المعروف بابن النبيه المصري قلما واحدا فأنكر عليه ذلك
فأنشده في الحال دوبيت ( قال الملك الأشرف قولا رشدا
* أقلامك يا كمال قلت عددا ) ( جاوبت لعظم كتب ما
تطلقه * تحفى فتقط فهي تفنى أبدا ) ويقال إنه طرب ليلة
في مجلس أنسه على بعض الملاهي فقال لصاحب الملهى
تمن علي فقال تمنيت مدينة خلاط فأعطاها له وكان نائبه
بها الأمين حسام الدين المعروف بالحاجب علي بن حماد
الموصلي فتوجه ذلك الشخص إليه ليتسلمها منه فعوضه
الحاجب عنها جملة كثيرة من المال وصالحه عنها وكان
له في ذلك غرائب وكان يميل إلى أهل الخير والصلاح
ويحسن الاعتقاد فيهم وبنى بدمشق دار حديث فوض
تدريسها إلى الشيخ تقي الدين عثمان المعروف بابن
الصلاح المقدم ذكره وكان بالعقيبة ظاهر دمشق خان
يعرف بابن الزنجاري قد جمع أنواع أسباب الملاذ
ويجري فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف
فقيل له عنه إن مثل هذا لا يليق أن يكون في بلاد المسلمين
فهدمه وعمره جامعا غرم عليه جملة مستكثرة وسماه
الناس جامع التوبة كأنه تاب إلى الله تعالى وأناب مما كان
فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة أحببت ذكرها وهي أنه
كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد إمام يعرف
بالجمال السبتي أعرفه شيخا حسنا ويقال كان في صباه

يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما
كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى
صار معدودا في الأخيار فلما احتاج الجامع المذكور إلى
خطيب ذكر للملك الأشرف جماعة وشكر الجمال المذكور
فتولى خطابته فلما توفي تولى موضعه العماد الواسطي
الواعظ وكان يتهم باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق
يومئذ الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل بن
أيوب فكتب إليه الجمال عبد
335 الرحيم المعروف بابن زويتينة الرحبي أبياتا
وهي ( يا مليكا أوضح الحق لدينا وأبانه * ) ( جامع
التوبة قد قلدني منه أمانه * ) ( قال قل للملك الصالح *
أعلى الله شانه ) ( يا عماد الدين يا من * حمد الناس
زمانه ) ( كم إلى كم أنا في ضر وبؤس وإهانه ) ( لي
خطيب واسطي * يعشق الشرب ديانه ) ( والذي قد كان
من قبل * يغني بجغانه ) ( فكما نحن فما زلنا * وما
نبرح حانه ) ( ردني للنمط الأول * واستبق ضمانه )
وهذه الأبيات في بابها في غاية الظرف وكان ابن
الزويتنية المذكور قد
336 وصل إلى الديار المصرية في رسالة من عند
صاحب حمص وأنشدني هذه الأبيات وحكى السبب
الحامل عليها وذلك في بعض شهور سنة سبع وأربعين
وستمائة ومدح الملك الأشرف أعيان شعراء عصره
وخلدوا مدائحه في دواوينهم فمنهم شرف الدين محمد بن

عنين وقد سبق ذكره والبهاء أسعد السنجاري وقد سبق ذكره أيضا والشرف راجح الحلي وقد ذكرته في ترجمة الملك الظاهر 277 والكمال ابن النبيه المذكور وكانت وفاته سنة تسع عشرة وستمائة بمدينة نصيبين الشرق وعمره تقديرا مقدار ستين سنة كذا أخبرني صهره بالقاهرة 278 والمهذب محمد بن أبي الحسين بن يمن بن علي بن أحمد بن محمد بن عثمان ابن عبد الحميد الأنصاري المعروف بابن الأردخل الموصلي الشاعر المشهور ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل وتوفي في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة بميافارقين رحمه الله تعالى وغير هؤلاء خلق كثير والله أعلم بالصواب

337 750 موسى بن عبد الملك الأصبهاني أبو عمران موسى بن عبد الملك بن هشام الأصبهاني صاحب ديوان الخراج كان من جلة الرؤساء وفضلاء الكتاب وأعيانهم تنقل في الخدم في أيام جماعة من الخلفاء وكان إليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل وكان مترسلا وله ديوان رسائل وقد سبق طرف من خبره مع أبي العيناء في ترجمته وما دار بينهما من المحاورة في قضية نجاح بن سلمة وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله ( لما وردنا القادسية * حيث مجتمع الرفاق ) ( وشممت من أرض الحجاز * نسيم أنفاس العراق ) ( أيقنت لي ولمن أحب * بجمع شمل واتفاق ) ( وضحكت من فرح اللقاء

* كما بكيت من الفراق ) ( لم يبق لي إلا تجشم * هذه السبع الطباق ) ( حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقي ) يروى لما وردنا الثعلبية وكلتاهما من منازل الحاج على طريق العراق والثعلبية منسوبة إلى ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبي في جمهرة النسب

338 ولهذه الأبيات حكاية مستطرفة أحببت ذكرها هاهنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وغيره من أرباب تواريخ المغاربة وهي أن أبا علي الحسن بن الأشكري المصري قال كنت رجلا من جلاس الأمير تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه جدا وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور في حرف التاء قال فأرسلني إلى بغداد فابتعت له جارية رائقة فائقة الغناء فلما وصلت إليه دعا جلساءه قال وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت ( وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه ) ( يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه ) ( فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا إليه وصده سجانه ) ( فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه ) وهذه الأبيات ذكرها صاحب الأغاني للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسني قال ابن الأشكري فأحسنت الجارية ما شاءت فطرب الأمير تميم ومن حضر ثم غنت ( سيسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره

) ( ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت
عليه مآزره ) قال فطرب الأمير تميم ومن حضر طربا
شديدا قال ثم غنت ( أستودع الله في بغداد لي قمرا *
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه ) وهذا البيت لمحمد بن
زريق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة
339 قال الراوي فاشتد طرب الأمير تميم وأفرط
جدا ثم قال لها تمني ما شئت فقالت أتمنى عافية الأمير
وسلامته فقال والله لا بد أن تتمني فقالت على الوفاء أيها
الأمير بما أتمنى قال نعم فقالت أتمنى أن أغني بهذه النوبة
ببغداد قال فانتقع لون الأمير تميم وتغير وجهه وتكدر
المجلس وقام وقمنا قال ابن الأشكري فلقيني بعذ خدمه
وقال لي ارجع فالأمير يدعوك فوجدته جالسا ينتظرني
فسلمت وقمت بين يديه فقال لي ويحك رأيت ما امتحنا به
فقلت نعم أيها الأمير فقال لا بد من الوفاء لها ولا أثق في
هذا بغيرك فتأهب لتحملها إلى بغداد فإذا غنت هناك
فاصرفها فقلت سمعا وطاعة قال ثم قمت فتأهبت وأمرها
بالتأهب وأصحبها جارية سوداء له تعادلها وتخدمها وأمر
بناقة ومحمل فأدخلت فيه وجعلتها معي وصرت إلى مكة
مع القافلة وقضينا حجنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا
فلما وردنا القادسية أتتني السوداء وقالت لي تقول لك
سيدتي أين نحن فقلت لها نزول بالقادسية فانصرفت إليها
وأخبرتها فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء
وغنت الأبيات المذكورة قال فتصايح الناس من أقطار

القافلة أعيدي بالله أعيدي قال فما سمع لها كلمة  قال ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد  فلما كان وقت الصباح وإذا بالسوداء قد أتتني مذعورة فقلت مالك قالت إن سيدتي ليست بحاضرة فقلت ويلك وأين هي قالت والله ما أدري قال فلم أحس لها أثرا بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي منها وانصرفت إلى الأمير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتم له غما شديدا ثم ما زال بعد ذلك ذاكرا لها واجما عليها  والقادسية بفتح القاف وبعد الألف دال مهملة مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وهي قرية فوق الكوفة

340 وعندها كانت الوقعة المشهورة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه  والياسرية بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة مكسورة وراء مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد ذكرنا أين هي فلا حاجة إلى الإعادة  وحكى إسحاق بن إبراهيم أخو زيد بن إبراهيم أنه كان يتقلد بلاد السيروان نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور فاجتاز به إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر المقدم ذكره وهو يريد خراسان والمأمون يوم ذاك بها وقد بايع بالعهد علي بن موسى الرضا وهي قضية مشهورة وقد امتدحه إبراهيم المذكور بقصيدة ذكر فيها آل علي وأنهم أحق بالخلافة من

غيرهم قال إسحاق بن إبراهيم المذكور فاستحسنت
القصيدة وسألت إبراهيم بن العباس أن ينسخها ففعل
ووهبته ألف درهم وحملته على دابة وتوجه إلى خراسان
ثم تراخت الأيام إلى زمن المتوكل فتولى إبراهيم المذكور
موضع موسى بن عبد الملك المذكور وكان يحب أن
يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة
فعملت وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع
فلا يقبله ونحتكم إلى الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم
ويسمعني في خلال ذلك غليظ الكلام إلى أن أوجب الكتاب
اليمين على باب من الأبواب فحلفت فقال ليست يمين
السلطان عندك يمينا لأنك رافضي فقلت له تأذن لي في
الدنو منك فأذن لي فقلت له ليس لي مع تعريضك بمهجتي
للقتل صبر وهذا المتوكل إن كتبت إليه بما أسمعه منك لم
آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض
والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من
العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن
هو ذاك قلت أنت وخطك عندي به فأخبرته بالشعر الذي
عمله في المأمون وذكر فيه علي بن موسى فوالله ما هو
إلا أن قلت له ذلك حتى سقط في يده ثم قال لي
341 أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا
والله أو توثق لي بما أسكن إليه أنك لا تطالبني بشيء مما
جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في
حساب فحلف لي على ذلك بما سكنت إليه وخرق العمل

المعمول فأحضرت له الدفتر فوضعه في خفه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة ولموسى المذكور أخبار كثيرة أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وتوفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والسيروان بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء والواو وبعد الألف نون وهي كورة ماسبذان من أعمال الجبل وماسبذان بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة والجميع مفتوح وبعد الألف نون وهي قرية كان يسكنها المهدي بن المنصور أبي جعفر والد هارون الرشيد وبها توفي وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة الشاعر المقدم ذكره ( وأكرم قبر بعد قبر محمد * نبي الهدى قبر بماسبذان ) ( عجبت لأيد هالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان ) والسيروان اسم لأربعة مواضع هذا أحدها وبلاد الجبل عبارة عن عراق العجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان وبلاده المشهورة أصبهان وهمذان والري وزنجان

342 751 أبو منصور الجواليقي أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي البغدادي الأديب اللغوي كان إماما في فنون الأدب وهو من مفاخر بغداد قرأ الأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى ولازمه وتتلمذ له حتى برع في فنه وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط صنف

التصانيف المفيدة وانتشرت عنه مثل شرح أدب الكاتب والمعرب ولم يعمل في جنسه أكبر منه وتتمة درة الغواص تأليف الحريري صاحب المقامات سماه التكملة فيما يلحن فيه العامة إلى غير ذلك وكان يختار في بعض مسائل النحو مذاهب غريبة وكان في اللغة أمثل منه في النحو وخطه مرغوب فيه يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة فيه وكان إماما للإمام المقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس وألف له كتابا لطيفا في علم العروض وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى واقعة عنده وهي أنه لما حضر إليه للصلاة به ودخل عليه أول دخلة فما زاده على أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال ابن التلميذ وكان حاضرا قائما بين يدي المقتفي وله إدلال الخدمة والصحبة ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين

343 يا شيخ فلم يلتفت ابن الجواليقي إليه وقال للمقتفي يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا في صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لأن الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله إلا الإيمان فقال له صدقت وأحسنت فيما فعلت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه

وسمع ابن الجواليقي من شيوخ زمانه وأكثر أخذ الناس عنه علما جما وينسب إليه من الشعر شيء قليل فمن ذلك ما رأيته منسوبا إليه في بعض المجاميع ولم أتحققه له وهو ( ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت خلف الورد وقفة حائم ) ( حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم ) ثم وجدت هذين البيتين لابن الخشاب من جملة أبيات وحكى ولده أبو محمد إسماعيل وكان أنجب أولاده قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فأنشده ( وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصليني به النارا ) ( فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة * إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا ) قال إسماعيل فلما سمعهما والدي قال يا بني هذا شيء من معرفة علم النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدي من أن يسأل عن شيء ليس عنده منه علم وقام وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيت المسئول عنه أن الشمس إذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لأنه يكون آخر فصل الخريف وإذا كانت في آخر الجوزاء

344 كان الليل في غاية القصر لأنه آخر فصل الربيع فكأنه يقول إذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وإن زارني كان الليل عندي في غاية القصر والله أعلم ولبعض شعراء عصره فيه وفي المغربي مفسر المنامات وذكرها في الخريدة لحيص بيص هكذا وجدتها في مختصر الخريدة للحافظ ( كل الذنوب ببلدتي مغفورة * إلا اللذين تعاظما أن يغفرا ) ( كون الجواليقي فيها ملقيا * أدبا وكون المغربي معبرا ) ( فأسير لكنته يمل فصاحة * وغفول يقظته يعبر عن كرى ) ونوادره كثيرة وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة وتوفي يوم الأحد منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى بعد أن صلى عليه قاضي القضاة الزينبي بجامع القصر والجواليقي نسبة إلى عمل الجوالق وبيعها وهي نسبة شاذة لأن الجموع لا ينسب إليها بل ينسب إلى آحادها إلا ما جاء شاذا مسموعا في كلمات محفوظة مثل قولهم رجل أنصاري في النسبة إلى الأنصار والجواليق في جمع جوالق شاذ لأن الياء لم تكن موجودة في مفرده والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتح الجيم وهو باب مطرد قالوا رجل حلاحل إذا كان وقورا وجمعه حلاحل وشجر عدامل إذا كان قديما وجمعه عدامل ورجل عراعر وهو السيد وجمعه عراعر ورجل علاكد إذا كان شديدا وجمعه علاكد وله نظائر كثيرة وهو

اسم أعجمي معرب والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة عربية ألبتة

345 752 رضي الدين النيسابوري أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الأصل النيسابوري الدار المحدث الملقب رضي الدين كان أعلى المتأخرين إسنادا لقي جماعة من الأعيان وأخذ عنهم وسمع صحيح مسلم من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي المقدم ذكره وهو آخر من بقي من أصحابه وسمع صحيح البخاري من أبي بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه ابن أحمد الشاذياخي وسمع الموطأ رواية أبي مصعب إلا ما استثني منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسندي وسمع تفسير القرآن الكريم تصنيف أبي إسحاق الثعلبي من أبي العباس محمد الطوسي المعروف بعباسة وسمع أيضا من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار ابن محمد الخواري وأم الخير فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن زعبل وحدث بالكثير ورحل إليه من الأقطار ولنا منه إجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة وإنما ذكرته لشهرته وتفرده في آخر عصره وكانت ولادته سنة أربع عشرين وخمسمائة ظنا وتوفي ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة

بنيسابور ودفن من الغد رحمه الله تعالى  ثم بعد إثبات هذه
الترجمة على هذه الصورة بسنين رأيت بخط الشيخ المؤيد
346        المذكور في إجازة وقد رفع نسبه فقال كتبه
المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن ابن محمد بن أبي
صالح الطوسي 753  الألوسي  أبو سعيد المؤيد بن محمد
بن علي بن محمد الألوسي الشاعر المشهور كان من
أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة
من رؤساء العراق وله ديوان شعر وكان منقطعا إلى
الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة
ذكره محب الدين ابن النجار في تاريخ بغداد فقال هو
عطاف بن محمد ابن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف
بالمؤيد ولد بألوس قرية بقرب الحديثة ونشأ بدجيل ودخل
بغداد وصار جاووشا في أيام المسترشد بالله وهجاه ابن
الفضل الشاعر بأبيات ثم إن المؤيد نظم الشعر فأكثر منه
حتى عرف به ومدح وهجا وكان قد لجأ إلى خدمة
السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وقد تقدم ذكره قال
وتفسح في ذكر الإمام المقتفي وأصحابه بما لا ينبغي
فقبض عليه وسجن  وذكره العماد الكاتب في كتاب
الخريدة فقال ترفع قدره وأثرى حاله ونفق شعره وكان له
قبول حسن واقتنى أملاكا وعقارا وكثر رياشه وحسن
معاشه ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه وبقي
في حبس الإمام المقتفي أكثر من عشر سنين إلى أن خرج
في أول خلافة الإمام المستنجد

347 سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولقيته حينئذ وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوسا وكان زيه زي الأجناد وسافر إلى الموصل وله شعر حسن غزل وأسلوب مطرب بنظم معجب وقد يقع له من المعاني المبتكرة ما يندر فمن ذلك قوله في صفة القلم ( ومثقف يغني ويفني دائما * في طوري الميعاد والإيعاد ) ( قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الأغماد ) ( وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وهيبة الآساد ) قلت أنا ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره والله أعلم بالصواب ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى ولبعضهم في القلم أيضا وهو في هذا المعنى ( وأرقش مرهوب الشباة مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع ) ( تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له أفلاكها وتطيع ) ( حمى الملك مفطوما كما كان يحتمي * به الأسد في الآجام وهو رضيع ) ولبعضهم أيضا في هذا المعنى ( له قلم كقضاء الإله * بالسعد طورا وبالنحس ماضي ) ( فما فارق الأسد في حالتيه * يبيسا وذا ورقات غضاض ) ( ففي كف ليث الوغى في الندى * وفي وجه ليث الشرى في الغياض ) ومعنى البيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم في وصف طنبور ( وطنبور مليح الشكل يحكي * بنغمته الفصيحة عندليبا ) ( روى لما ذوى نغما فصاحا * حواها في تقلبه قضيبا ) ( كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون إذا نشا شيخا أديبا )

348 وهذه معنى مطروق أكثرت الشعراء استعماله فمن ذلك قول بعضهم وهو أبو محمد عبد الله بن قاضي ميلة ( جاءت بعود يناغيها ويسعدها * انظر بدائع ما يأتي به الشجر ) ( غنت عليه ضروب الطير ساجعة * حينا فلما ذوى غنى به البشر ) ( فلا يزال عليه الدهر مصطخب * يهيجه الأعجمان الطير والوتر ) ولبعضهم في المعنى أيضا ( وعود له نوعان من لذة المنى * فبورك جان يجتنيه وغارس ) ( تغنت عليه وهو رطب طيورها * وغنت عليه قينة وهو يابس ) ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرت عدة مقاطيع في هذا المعنى ولبهاء الدين زهير المقدم ذكره من قصيدة يمدح بها اقسيس بن الملك الكامل ( وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي أغصان ) 279 ثم قال العماد في بقية الترجمة وكان ولده محمد ذكيا له شعر حسن هاجر إلى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين وكان يومئذ بصرخد فمرض فأنفذه إلى دمشق فمات في الطريق بقرية يقال لها رشيدة انتهى كلام العماد ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له رحمه الله تعالى ( فيا بردها من نفحة حاجرية * على حر صدر ليس تخبو سمائمه ) ( ويا حسنه طيفا وشى نور وجهه * بطيفي فغطاني من الشعر فاحمه ) ( يجول وشاحاه على غصن بانة * سقاها الحيا فاخضر واهتز ناعمه )

349 ( فلما رمى في شملنا الصبح بالنوى * ولم يبق منها غير معنى ألازمه ) ( وقفت بحزوى وهي منها معالم * قواء وجسمي قد تعفت معالمه ) ( وقوف بناني في يميني ولم أقف * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ) ( ولم يبق لي رسما بجسمي صدودها * فيشجى بدمعي كلما انهل طاسمه ) ( ولا مقلة أبقت فتغرم نظرة * بثانية والمتلف الشيء غارمه ) ( فلله وجدي في الركاب كأنه * دموعي وقد حنت بليل روازمه ) ( وقد مد من كف الثريا هلالها * فقبلته حتى تهاوت مناظمه ) وهي قصيدة طويلة أجاد فيها وقد وازن بها قصيدة المتنبي في سيف الدولة ابن حمدان التي أولها ( وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه ) وقد استعمل في قصيدته أنصاف أبيات من قصيدة المتنبي على وجه التضمين وأكثر شعره جيد وله أيضا من جملة أبيات قالها وهو محبوس ( رحلوا فأفنيت الدموع تشوقا * من بعدهم وعجبت إذ أنا باقي ) ( وعلمت أن العود يقطر ماؤه * عند الوقود لفرقة الأوراق ) ( وأبيت مأسورا وفرحة ذكركم * عندي تعادل فرحة الإطلاق ) ( لا تنكر البلوى سواد مفارقي * فالحرق يحكم صنعة الحراق ) وكانت ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بألوس ونشأ بها وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وكان خروجه من بغداد سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى

350 ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة أحببت ذكرها وهو ما أخبرني به بعض مشايخ العراق الفضلاء أن المستنجد رأى في منامه في حياة والده المقتفي كأن ملكا نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات فلما استيقظ طلب معبر الرؤيا فقص عليه ما رآه فقال له تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الأمر كذلك وكان ذلك قبل وفاة والده بمدة والألوسي بضم الهمزة واللام وبعدها واو ساكنة ثم سين مهملة هذه النسبة إلى ألوس وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات هكذا ذكره عز الدين بن الأثير المقدم ذكره فيما استدركه على الحافظ ابن السمعاني لأنه قال ألوس موضع بالشام في الساحل عند طرسوس وهو بغدادي الدار والمنشأ لأنه دخل بغداد في صباه وقيدها ابن النجار الآلسي ومد الهمزة وضم اللام والله أعلم 754 المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد ويقال الأسد بالسين الساكنة ابن عمران بن عمرو مزيقياء ابن عامر ماء السماء بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد الأزدي العتكي البصري قال الواقدي كان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله

351 ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل

المخزومي رضي الله عنه فقاتلهم فهزمهم وأثخن فيهم القتل وتحصن فلهم في حصن لهم وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل مائة من رؤسائهم وسبى ذراريهم وبعثهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم أبو صفرة غلام ولم يبلغ فأعتقهم أبو بكر رضي الله عنه وقال اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف هذا الحديث باطل أخطأ فيه الواقدي لأن أبا صفرة لم يكن في هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط وإنما وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو شيخ أبيض الرأس واللحية فأمره أن يخضب فخضب وكيف يكون غلاما في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر ولده قبل وفاة النبي بسنتين وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي بثلاثين سنة أو أكثر وكان المهلب المذكور من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز استقصى أبو العباس المبرد في كتابه الكامل أكثرها فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روي أنه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي وهو يومئذ بمكة فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال أو ما تعرفه قال لا قال هذا

سيد أهل العراق قال فهو المهلب بن أبي صفرة قال نعم فقال المهلب من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا سيد قريش فقال فهو عبد الله بن صفوان قال نعم

352 قال ابن قتيبة في المعارف ولم يكن يعاب بشيء إلا بالكذب وفيه قيل راح يكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وأنا أقول كان المهلب أتقى الناس لله عز وجل وأشرف وأنبل من أن يكذب ولكنه كان محربا وقد قال النبي الحرب خدعة وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها عن غيرها يرهب بها الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون راح يكذب وقد كان النبي إذا أراد حربا ورى بغيرها وقال أبو العباس المبرد في الكامل في شرح أبيات رمي فيها المهلب بالكذب ما صورته وقوله الكذاب لأن المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله من قوله كل كذب يكتب كذبا إلا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به أمر المسلمين ويضعف به من أمر الخوارج وكان حي من الأزد يقال لهم الندب إذا رأوا المهلب رائحا قالوا قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم ( أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول ) وذكر المبرد في كتاب الكامل في أواخره في فصل قتال الخوارج وما جرى بين المهلب والأزارقة وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فإذا أراد

الضرب والطعن لم يكن له معين أو معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها وأخبار المهلب كثيرة وتقلبت به الأحوال وآخر ما ولي خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره فإنه كان أمير العراقين وضم إليه عبد الملك بن مروان خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب المذكور وعلى سجستان

353 عبيد الله بن أبي بكرة فورد المهلب خراسان واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد أصيب بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإنه كان معه في تلك الغزوة وفي تلك الغزوة تلك قلعت عين سعيد أيضا وفيها قلعت أيضا عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم والجود وفي ذلك يقول المهلب ( لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي * وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي ) ( إذا جاء أمر الله أعيا خيولنا * ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس ) وقيل إن المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك ولما حضره أجله عهد إلى ولده يزيد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وأوصاه بقضايا وأسباب ومن جملة ما قال له يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفي في ذي

الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية يقال لها زاغول
من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان رحمه الله تعالى
وله كلمات لطيفة وإشارات مليحة تدل على مكارمه
ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك قوله
الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو
أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها
ما يقال في غدا إذا مت وقد قيل إن هذا الكلام لولده يزيد
والله أعلم وكان المهلب يقول لبنيه يا بني أحسن ثيابكم ما
كان على غيركم وقد أشار إلى هذا أبو تمام الطائي فيما
كتبه إلى من يطلب منه كسوة ( فأنت العليم الطب أي
وصية * بها كان أوصى في الثياب المهلب )
354 وقد ذكر الطبري في تاريخه أنه توفي سنة
اثنتين وثمانين والله أعلم والكلام على وفاته مذكور في
ترجمة ابنه يزيد فلينظر هناك فإنه مستوفى ولما حضرته
الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت ثم
قال أترونكم كاسريها مجمعة قالوا لا قال أفترونكم
كاسريها مفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم مات ولما
مات رثاه الشعراء وأكثروا وفي ذلك يقول نهار بن توسعة
الشاعر المشهور ( ألا ذهب الغزو المقرب للغنى *
ومات الندى والجود بعد المهلب ) ( أقاما بمرو الروذ لا
يبرحانها * وقد قعدا من كل شرق ومغرب ) وخلف
المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجوادا أمجادا وقال ابن
قتيبة في كتاب المعارف ويقال إنه وقع إلى الأرض من

صلب المهلب ثلثمائة ولد وقد تقدم في حرف الراء ذكر حفيديه روح ويزيد ابني حاتم بن قبيصة بن المهلب وسيأتي ذكر يزيد في حرف الياء إن شاء الله تعالى 280 ومن سراة أولاده أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج وله معهم وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته وتوجه صحبة أبيه إلى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان وتوفي بها في حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين في شهر رجب ورثاه أبو أمامة زياد الأعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر وهو ابن عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحائية السائرة التي أولها ( قل للقوافل والغزاة إذا غزوا * للباكرين وللمجد الرائح ) ( إن السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح ) ( فإذا مررت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح ) ( وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح ) ( واظهر ببزته وعقد لوائه * واهتف بدعوة مصلتين شرامح )

355 ( آب الجنود معاقبا أو قافلا * وأقام رهن حفيرة وضرائح ) ( وأرى المكارم يوم زيل بنعشه * زالت بفضل فواضل ومدائح ) ( رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت * منا القلوب لذاك غير صحائح ) ( الآن لما كنت أكرم من مشى * وافتر نابك عن شباة القارح ) ( وتكاملت فيك المروءة كلها * وأعنت ذلك بالفعال الصالح

) ( وكفى بنا حزنا ببيت حله * أخرى المنون فليس عنه بنازح ) ( فعفت منابره وحط سروجه * عن كل طامحة وطرف طامح ) ( وإذا يناح على امريء فلتعلمن * أن المغيرة فوق نوح النائح ) ( تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا * والباكيات برنة وتصايح ) ( مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح ) ( وإذا الأمور على الرجال تشابهت * وتنوزعت بمغالق ومفاتح ) ( فتل السحيل بمبرم ذي مرة * دون الرجال بفضل عقل راجح ) ( وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت * تبكي على طلق اليدين مسامح ) ( كان الربيع لهم إذا انتجعوا الندى * وخبت لوامع كل برق لائح ) ( كان المهلب بالمغيرة كالذي * ألقى الدلاء إلى قليب المائح ) ( فأصاب جمة ما استقى فسقى له * في حوضه بنوازع وموانح ) ( أيام لو يحتل وسط مفازة * فاضت معاطشها بشرب سائح ) ( إن المهلب لن يزال لها فتى * يمري قوادم كل حرب لاقح ) ( بالمقربات لواحقا آطالها * تجتاب سهل سباسب وصحاصح ) ( متلببا تهفو الكتائب حوله * ملح المتون من النضيح الراشح ) ( ملك أغر متوج يسمو له * طرف الصديق بغض طرف الكاشح ) ( رفاع ألوية الحروب إلى العدا * بسعود طير سوانح وبوارح )

356 وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها ولولا خوف الإطالة لأثبتها كلها وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا وقد ذكرها أبو على القالي المقدم ذكره في حرف

الهمزة في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه وتكلم علي بعض أبياتها وقال إنها قد تنسب إلى الصلتان العبدي الشاعر المشهور ولكن الأصح أنها لزياد الأعجم والبيت الثاني منها تستشهد به النحاة في كتبهم على جواز تذكير المؤنث إذا لم يكن له فرج حقيقي وهو أشهر بيت في هذه القصيدة لكثرة استعمالهم له وقد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال ( احملاني إن لم يكن لكما عقر * إلى جنب قبره فاعقراني ) ( وانضحا من دمي عليه فقد كان * دمي من نداه لو تعلمان ) 281 وصاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي الحسيني نقيب مشهد باب التبن ببغداد وهما من جملة قصيدة يرثى بها النقيب الطاهر والد عبيد الله ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال أيضا إن الشريف أبا محمد المذكور توفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفي على ما ذكره العماد في الخريدة وجدت هذين البيتين في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني لأحمد بن محمد الخثعمي وكنيته أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال إنه الحسن وكان يتشيع ويهاجي البحتري وكان المغيرة بن المهلب المذكور قد مزق قباء ديباجا كان على زياد الأعجم فقال زياد في ذلك ( لعمرك ما الديباج مزقت وحده * ولكنما مزقت عرض المهلب )

357 فبلغ ذلك المهلب فأرضاه واستعطفه وذكر أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في كتاب تاريخ ولاة خراسان أن رجلا سمع من زياد الأعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعها المهلب فجاء إلى المهلب فأنشده إياها فأعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الأعجم فأنشده إياها فقال له قد أنشدنيها رجل قبلك فقال إنما سمعها مني فأعطاه مائة ألف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة وهو الأخنس الطائي يمدح المهلب ( نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل ) ( فما زال بي معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي ) والوزير أبو محمد المهلبي المقدم ذكره في حرف الحاء من نسله أيضا رحمهم الله أجمعين وفي أوائل هذه الترجمة أسماء تحتاج إلى الضبط والكلام عليها فأما العتيك والأزد فقد تقدم الكلام عليهما وأما مزيقياء فهو بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وفتح الياء الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور وكان من ملوك اليمن وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا أمسى مزقهما وخلعهما وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره وهو الذي انتقل من اليمن إلى الشام لقصة يطول شرحها والأنصار من ولده وهم الأوس والخزرج وحكى أبو عمر ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه

القصد الأمم في أنساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف
الحجم أن الأكراد من نسل عمرو مزيقياء
358 المذكور وأنهم وقعوا إلى أرض العجم فتناسلوا
بها وكثر ولدهم فسموا الكرد وقال بعض الشعراء في ذلك
وهو يعضد ما قاله أبو عمر ابن عبد البر ( لعمرك ما
الأكراد أبناء فارس * ولكنه كرد بن عمرو بن عامر )
وأما أبوه عامر فإنما لقب بماء السما لجوده وكثرة نفعه
فشبه بالغيث وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك
الحيرة فإن أباه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي وماء
السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط
وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها وأما دبا بفتح
الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة وهو
اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الأزد
إليه لما نزلوه وكان الأزد عند تفرقهم حسبما ذكرناه في
أول هذه الترجمة أضيفت كل طائفة إلى شيء يميزها عن
غيرها فقيل أزددبا وأزد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة
ومرجع الكل إلى الأزد المذكور فلا يظن ظان أن الأزد
مختلف باختلاف المضافين إليه وقد قال الشاعر وهو
النجاشي واسمه قيس بن عمرو بن مالك ابن حزن بن
الحارث بن كعب بن الحارث الحارثي ( وكنت كذي
رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان ) (
فأما التي صحت فأزد شنوءة * وأما التي شلت فأزد عمان
) ولما هزم المهلب قطري بن الفجاءة المقدم ذكره بعث

إلى مالك بن بشير فقال إني موفدك إلى الحجاج فسر فإنما هو رجل مثلك وبعث إليه بجائزة فردها وقال إنما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال أدرك ما أمل وأمن ما خاف قال فكيف هو بجنده

359 قال والد رءوف قال كيف رصاهم عنه قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال كيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنقطع فيهم ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطري بن الفجاءة قال كادنا بمثل ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فأخبرني عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يؤمنوه وحماة السرح حتى يردوه قال أيهم أفضل قال ذلك إلى أبيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما أطلع الله أحدا على غيبه فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل أن يكون متقدما لكنه كذا وقع والله تعالى أعلم بصوابه وصحته 755 مهيار الديلمي أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيا فأسلم ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر وقد

وازن كثيرا من قصائده وذكر شيخنا ابن الأثير الجزري في تاريخه أنه أسلم في سنة أربع وتسعين وثلثمائة فقال له أبو القاسم ابن برهان يا مهيار قد انتقلت بأسلوبك في النار من زاوية إلى زاوية فقال وكيف ذاك قال كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب رسول الله في شعرك

360 وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وقال كنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات يعني ببغداد ويقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لي أسمع منه شيئا وذكره أبو الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتاب دمية القصر فقال في حقه هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر وكاتب تجلى تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما في قصيدة من قصائده بيت يتحكم عليه لو وليت وهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وأبيات من جملة قصائده وذكره أبو الحسن علي بن بسام في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبالغ في الثناء عليه وذكر شيئا من شعره ومن نظمه المشهور قصيدته التي أولها ( سقى دارها بالرقمتين وحياها * ملث يحيل الترب في الدار أموالها ) ومنها ( وكيف بوصل الحبل من أم مالك * وبين بلادينا زرود وحبلاها ) ( يراها بعين

الشوق قلبي على النوى * فيحظى ولكن من لعيني برؤياها
) ( فلله ما أصفى وأكدر حبها * وأبعدها مني الغداة
وأدناها ) ( إذا استوحشت عيني أنست بأن أرى * نظائر
تصبيني إليها وأشباها ) ( وأعتنق الغصن الرطيب لقدها
* وأرشف ثغر الكأس أحسبه فاها ) ( ويوم الكئيب
استشرفت لي ظبية * مولهة قد ضل بالقاع خشفاها ) (
يدله خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها )
( فما ارتاب طرفي فيك يا أم مالك * على صحة التشبيه
أنك إياها )
361 ( فإن لم تكوني خدها وجبينها * فإنك أنت
الجيد أو أنت عيناها ) ( ألوامه في حب دار عزيزة *
يشق على رجم المطامع مرماها ) ( دعوه ونجدا إنها
شأن قلبه * فلو أن نجدا تلعة ما تعداها ) ( وهبكم منعتم
أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها ) ( وليل
بذات الأثل قصر طوله * سرى طيفها آها لذكرته آها ) (
تخطت إلي الهول مشيا على الهوى * وأخطاره لا يصغر
الله ممشاها ) ( وقد كاد أسداف الدجى أن تضلها * فما
دلها إلا وميض ثناياها ) وله من أبيات ( إن التي علقت
قلبك حبها * راحت بقلب منك غير علوق ) ( عقدت
ضمان وفائها من خصرها * فوهى كلا العقدين غير وثيق
) ومن سائر شعره أيضا قوله رحمه الله تعالى ( بكر
العارض تحدوه النعامي * فسقاك الري يا دار أماما ) (
وتمشت فيك أنفاس الصبا * يتناجين بأنفاس الخزامي )

ومنها ( وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على
قلبي السلاما ) ( وترجل فتحدث عجبا * أن قلبا سار عن
جسم أقاما ) ( قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش
بالغضى لو كان داما ) ( نصل العام ولا ننساكم *
وقصارى الوجد أن نسلخ عاما ) ( حملوا ريح الصبا
نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما )
362 ( وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * إن أذنتم
لجفوني أن تناما ) وهي قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها
على هذا القدر طلبا للاختصار ومن رقيق شعره قصيدته
التي منها ( أرقت فهل لهاجعة بسلع * على الأرقين أفئدة
ترق ) ( نشدتك بالمودة يا ابن ودي * فإنك بي من ابن
أبي أحق ) ( أسل بالجزع دمعك إن عيني * إذا
استبررتها دمعا تعق ) ( وإن شق البكاء على المعافى *
فلم أسألك إلا ما يشق ) وله في القناعة وقد أحسن فيها كل
الاحسان ( يلحى على البخل الشحيح بماله * أفلا تكون
بماء وجهك أبخلا ) ( أكرم يديك عن السؤال فإنما * قدر
الحياة أقل من أن تسألا ) ( ولقد أضم إلي فضل قناعتي *
وأبيت مشتملا بها متزملا ) ( وأري العدو على
الخصاصة شارة * تصف الغنى فيخالني متمولا ) ( وإذا
امرؤ أفنى الليالي حسرة * وأمانيا أفنيتهن توكلا ) ومن
بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة ( وإذا رأوك تفرقت
أرواحهم * فكأنما عرفتك قبل الأعين ) ( وإذا أردت بأن

تفل كتيبة * لاقيتها فتسم فيها واكتن ) وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب
363 ( إذا صور الإشفاق لي كيف أنتم * وكيف إذا ما عن ذكري صرتم ) ( تنفست عن عتب فؤادي مفصح * به ولساني للحفاظ يجمجم ) ( وفي في ماء من بقايا ودادكم * كثيرا به من ماء وجهي أرقتم ) ( أضم فمي ضنا عليه وبينه * وبين انسكاب ريثما أتكلم ) وديوانه مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في إيراد محاسنه ويعجبني كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو ( بنا أنتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم ) وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفي تلك السنة توفي الرئيس أبو علي ابن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره في ترجمته رحمهما الله تعالى ورأيت في بعض التواريخ أنه توفي سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم وذكر الباخرزي المذكور في كتابه الدمية أيضا ولده الحسين بن مهيار ونسب إليه القصيدة الحائية التي من جملتها ( يا نسيم الريح من كاظمة * شد ما هجت البكا والبرحا ) وهي قصيدة طويلة وهي من مشاهير قصائد مهيار ولا أعلم من أين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي

والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما

364 @364@

365 & حرف النون &

366 @366@

367 756 نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم كان ديلميا وأصابه مولاه عبد الله بن عمر في غزاته وهو من كبار الصالحين التابعين سمع مولاه وأبا سعيد الخدري وروى عنه الزهري وأيوب السختياني ومالك بن أنس رضي الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار وقال مالك كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمعه من أحد وأهل الحديث يقولون رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في كتاب المهذب في باب الوليمة والنثر عن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسمع زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع حتى قلت لا فأخرج إصبعيه عن أذنيه ثم رجع إلى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صنع وفي هذا

الاثر إشكال تسأل عنه الفقهاء وهو أن ابن عمر كيف سد أذنيه
368 عن استماع صوت الزمارة ولم يأمر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسأله كل وقت هل انقطع الصوت أم لا وقد أجابوا عن الإشكال بأن نافعا حينئذ كان صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه من الاستماع ويرد على هذا الجواب سؤال آخر وهو أن الصحيح أن إخبار الصبي غير مقبول فكيف ركن ابن عمر إلى إخباره في انقطاع الصوت وهذا الأثر يعضد حجة من قال إن رواية الصبي مقبولة وفي ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه وأخبار نافع كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة رضي الله عنه 757 نافع المقريء أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعي المقريء المدني أحد القراء السبعة كان إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم وكان محتسبا فيه دعابة وكان أسود شديد السواد قال ابن أبي أويس قال لي مالك رضي الله عنه قرأت على نافع وقال الأصمعي قال لي نافع أصلي من أصبهان هكذا قاله الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان وكان قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله وكان له راويان ورش وقنبل وقد سبق ذكرهما في حرف العين وتوفي

369 نافع المذكور سنة تسع وخمسين وقيل غير
ذلك بالمدينة والأول أصح وقيل إن كنيته أبو الحسن وقيل
أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نعيم والله أعلم
بالصواب وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح
الواو والنون وبعدها هاء ساكنة وهو في الأصل اسم
الرجل القصير ثم سمي به الرجل وإن لم يكن قصيرا
وجعل علما عليه وكان جعونة حليف حمزة بن عبد
المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنهما وقيل حليف بني هاشم وشعوب بفتح الشين
المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها باء
موحدة وهو في الأصل اسم المنية والشجعي بكسر الشين
المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى
بني شجع وهم من بني عامر بن ليث ولم يتعرض
السمعاني إلى ذكر هذه النسبة 758 المطرزي أبو الفتح
ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه
الحنفي النحوي الأديب الخوارزمي كانت له معرفة تامة
بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب قرأ ببلده على أبيه
وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب
خوارزم وغيرها وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن
علي بن أبي سعد التاجر
370 وغيره وكان تام المعرفة بفنه رأسا في
الاعتزال داعيا إليه ينتحل مذهب الإمام أبي حنيفة رضي
الله عنه في الفروع فصيحا وكان في الفقه فاضلا وله عدة

تصانيف نافعة منها شرح المقامات للحريري وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الألفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الأزهري للشافعية وما أقصر فيه فإنه أتى جامعا للمقاصد وله المعرب في شرح المغرب وهو كبير وقليل الوجود وله الاقناع في اللغة ومختصر الاقناع ومختصر إصلاح المنطق والمصباح في النحو والمقدمة المشهورة في النحو أيضا وله غير ذلك وانتفع الناس به وبكتبه ودخل بغداد حاجا سنة إحدى وستمائة وكان معتزلي الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الأدب عنه وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت وله شعر فمن ذلك وفيه صناعة ( وزند ندى فواضله وري * وزند ربا فضائله نضير ) ( ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير ) وله أيضا ( وإني لأستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان أو أليف أغاني ) وله أيضا ( تعامى زماني عن حقوقي وإنه * قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا ) ( فإن تنكروا فضلي فإن رغاءه * كفى لذوي الأسماع منكم مناديا ) وله أشعار كثيرة يستعمل فيها التجانيس وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم وهو كما يقال خليفة الزمخشري فإنه توفي في تلك السنة بتلك البلدة كما سبق في ترجمته

371 وتوفي المطرزي يوم الثلاثاء الحادي
والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة بخوارزم
أيضا رحمه الله تعالى ورثي بأكثر من ثلثمائة قصيدة
عربية وفارسية والمطرزي بضم الميم وفتح الطاء
المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاي هذه النسبة إلى
من يطرز الثياب ويرقمها ولا أعلم هل كان يتعاطى ذلك
بنفسه ام كان في آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم
282 وتوفي شيخه الموفق بن أحمد الخطيب المذكور في
حادي عشر صفر الخير سنة ثمان وستين وخمسمائة
بخوارزم رحمه الله تعالى 759 نزار العبيدي أبو
المنصور نزار الملقب العزيز بالله ابن المعز بن المنصور
بن القائم بن المهدي العبيدي صاحب مصر وبلاد المغرب
قد تقدم ذكر والده وأجداده وولده وأحفاده ولي العهد
بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس
وستين وثلثمائة واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه وكان يوم
الجمعة حادي عشر الشهر المذكور وفيه الخلاف المذكور
في ترجمته وسترت وفاة أبيه وسلم عليه بالخلافة وكان
كريما شجاعا حسن العفو عند المقدرة وقصته مع أفتكين
التركي غلام معز الدولة مشهورة وعفا عنه لما ظفر به
وكان قد غرم في محاربته مالا جزيلا ولم يؤاخذه بما
صدر منه وقد سبق في ترجمة عضد الدولة بن بويه
372 المقدم ذكره في حرف الفاء طرف من خبره
فلا حاجة إلى إعادته وهي قضية تدل على حلمه وحسن

عفوه وذكر الأمير المختار المعروف بالمسبحي أنه الذي اختط أساس الجامع بالقاهرة مما يلي باب الفتوح وحفر وبني وبديء بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة في شهر رمضان ثم قال المسبحي أيضا وفي أيامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يبن مثله في شرق ولا غرب وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء بصيرا بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرى به وبصيد السباع ويعرف الجوهر والبز وكان أديبا فاضلا ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وأورد له شعرا قاله في بعض الأعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المآتم وهو ( نحن بنو المصطفى ذوو محن * يجرعها في الحياة كاظمنا ) ( عجيبة في الأنام محنتنا * أولنا مبتلى وخاتمنا ) ( يفرح هذا الورى بعيدهم * طرا وأعيادنا مآتمنا ) ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكى أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب إليه أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب وذكر أبو الحسن الروحي في كتاب تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء أن هذه
373 الواقعة كانت بين الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المرواني صاحب الأندلس

وبين العزيز المذكور وأن المستنصر كتب إلى العزيز يسبه ويهجوه فكتب إليه العزيز هذه الكلمات والله أعلم بالصواب وقد تقدم في ترجمة جده المهدي عبيد الله طرف من أخبار نسبهم والطعن فيه وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه وقد تقدم في ترجمة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز في أمر النسب وما أجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس وفي مبادي ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها مكتوب (
إنا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر في الجامع ) (
إن كنت فيما تدعي صادقا * فاذكر أبا بعد الأب الرابع )
( وإن ترد تحقيق ما قلته * فانسب لنا نفسك كالطائع ) (
أو لا دع الأنساب مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع
) ( فإن أنساب بني هاشم * يقصر عنها طمع الطامع )
وإنما قال فانسب لنا نفسك كالطائع لأن هذه القضية جرت في خلافة الطائع لله خليفة بغداد وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب ( بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه )
374 ( إن كنت أعطيت علم غيب * فقل لنا كاتب البطاقة ) وإنما كتب هذا لأنهم كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة ولأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي المقدم ذكره قصيدة رائية يمدح بها العزيز المذكور وهي من أجود مدائحه فيه وزادت مملكته على

مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له أبو الدواد محمد بن المسيب وهو أخو المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شانه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجها إلى الشام فابتدأت به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح برجوان المقدم ذكره وكان صاحب خزائنه بالقصر فأقام عنده وأصبح يوم الاثنين فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما بما خاطبهما به في أمر ولده الملقب الحاكم المقدم ذكره ثم إستدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ولم يزل العزيز المذكور في الحمام والأمر يشتد به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار وهو الثلاثاء الثامن والعشرون من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فتوفي في مسلخ الحمام هكذا قال المسبحي وقال صاحب تاريخ القيروان إن الطبيب وصف له دواء يشربه في

375 حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من
ساعته ولم ينكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده
الحاكم أبو علي المنصور المقدم ذكره وبلغ الخبر أهل
القاهرة فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقي الحاكم فدخل
البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها
ريدان الصقلبي المذكور في ترجمة برجوان فدخل القصر
بالقاهرة عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه في
عمارية وقد خرجت قدماه منها وأدخلت العمارية القصر
وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان ودفن عند أبيه
المعز في حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الآخرة
وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والأحوال مستقيمة
وقد نودي في البلد أن لا مؤنة ولا كلفة وقد أمنكم الله تعالى
على أموالكم وأرواحكم فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل
ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس
رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية
من أرض إفريقية وقال الفرغاني في تاريخه الصغير كان
مولد العزيز بالله يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من
المحرم من السنة المذكورة وقال المختار المسبحي
صاحب التاريخ المشهور قال لي الحاكم وقد جرى ذكر
والده العزيز يا مختار استدعاني والدي قبل موته وهو
عاري الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدناني وقبلني
وضمني إليه وقال واغمي عليك يا حبيب قلبي ودمعت
عيناه ثم قال امض يا سيدي والعب فأنا في عافية قال

فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه قال فبادر إلي برجوان وأنا على جميزة كانت في الدار فقال انزل ويحك الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسي وقبل لي الأرض وقال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى

376 وبركاته قال وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لي الأرض وسلموا علي بالخلافة وأخباره كثيرة والاختصار أولى رحمه الله تعالى 760

نصر الخبزأرزي أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخبزأرزي الشاعر المشهور كان أميا لا يتهجى ولا يكتب وكان يخبر خبز الأرز بمربد البصرة في دكان وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ينتاب دكانه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانا وكان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد وأقام بها دهرا طويلا وذكره الخطيب في تاريخه وقال قرأ عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريريء وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري وعد جماعة رووا عنه وذكره الثعالبي في كتاب

اليتيمة وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله ( خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * بأكرم من مولى تمشى إلى عبد )
377 ( أتى زائرا من غير وعد وقال لي * أجلك عن تعليق قلبك بالوجد ) ( فما زال نجم الوصل بيني وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد ) ( فطورا على تقبيل نرجس ناظر * وطورا على تعضيض تفاحة الخد ) وأورد له أيضا ( ألم يكفني ما نالني من هواكم * إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك ) ( شماتتكم بي فوق ما قد أصابني * وما بي دخول النار بي طنز مالك ) وذكر له أيضا ( كم أناس وفوا لنا حين غابوا * وأناس جفوا وهم حضار ) ( عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا * ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا ) ( لا تلمهم على التجني فلو لم * يتجنوا لم يحسن الإعتذار ) ومن شعره أيضا ( وكان الصديق يزور الصديق * لشرب المدام وعزف القيان ) ( فصار الصديق يزور الصديق * لبث الهموم وشكوى الزمان ) ومن شعره أيضا ( كم أقاسي لديك قالا وقيلا * وعدات تترى ومطلا طويلا ) ( جمعة تنقضي وشهر يولي * وأمانيك بكرة وأصيلا ) ( إن يفتني منك الجميل من الفعل * تعاطيت عنك صبرا جميلا )
378 ( والهوى يستزيد حالا فحالا * وكذا ينسلي قليلا قليلا ) ( ويك لا تأمن صروف الليالي * إنها تترك العزيز ذليلا ) ( فكأني بحسن وجهك قد صاحت * به اللحية الرحيل الرحيلا ) ( فتبدلت حين بدلت بالنور *

ظلاما وساء ذاك بديلا ) ( فكأن لم تكن قضيبا رطيبا *
وكأن لم تكن كثيبا مهيلا ) ( عندها يشمت الذي لم تصله
* ويكون الذي وصلت خليلا ) وله أيضا ( رأيت الهلال
ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر ) ( فلم أدر من
حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر ) ( ولولا
التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر ) (
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر )
وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري أنشدنا
أبو القاسم نصر ابن أحمد الخبزأرزي لنفسه ( بات
الحبيب منادمي * والسكر يصبغ وجنتيه ) ( ثم اغتدى
وقد ابتداء * صبغ الخمار بمقلتيه ) ( وهبت له عيني
الكرى * وتعوضت نظرا إليه ) ( شكرا لإحسان الزمان
* كما يساعدني عليه ) وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ما
مثاله حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري
قال خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر
379 وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد الله المفجع
وأبي الحسن السباك في بطالة عيد وأنا يومئذ صبي
أصحبهم فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد
الخبزأرزي وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة
عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره وهو يوقد السعف تحت
الطابق فزاد في الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند تزايد
الدخان فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين ابن لنكك متى
أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين إذا اتسخت ثيابي

وكانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المثنى فجلس أبو الحسين ابن لنكك وقال يا أصحابنا إن نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب ( لنصر في فؤادي فرط حب * أنيف به على كل الصحاب ) ( أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب ) ( فقمت مبادرا وظننت نصرا * أراد بذاك طردي أو ذهابي ) ( فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له إذا اتسخت ثيابي ) وأنفذ الأبيات إلى نصر فأملى جوابها فقرأناه فإذا هو قد أجاب ( منحت أبا الحسين صميم ودي * فداعبني بألفاظ عذاب ) ( أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب ) ( ظننت جلوسه عندي لعرس * فجدت له بتمسيك الثياب ) ( فقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبني إذا اتسخت ثيابي ) ( فإن كان الترفه فيه خير * فلم يكنى الوصي أبا تراب )

380 وحكى أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب الهدايا والتحف أن الخبزأرزي أهدى إلى ابن يزداد والي البصرة فصا وكتب معه ( أهديت ما لو أن أضعافه * مطرح عندك ما بانا ) ( كمثل بلقيس التي لم يبن * إهداؤها عند سليمانا ) ( هذا امتحان لك إن ترضه * بان لنا أنك ترضانا ) والشيء بالشيء يذكر وجدت في هذا الكتاب

نادرة طريفة فأحببت ذكرها وهي كان بأصبهان رجل
حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن
النعمان وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر
ومعنى تعرف بأم عمرو فلإفراط حبه إياها وصبابته بها
وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب
إليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به
واستعظموه وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة
يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة
عقله أن سماكا أهدى إلى أم عمرو جلودا بيضا لا كتابة
فيها وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند
من تهدى إليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين
لتكون هديته ضعف هدية سماك وأنفذها إلى التي يحب
فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت
عليه وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبدا
وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا في هذا المعنى
لتودعها الرقعة ففعل وكانت الأبيات ( لا عاد طوعك من
عصاكا * وحرمت من وصل مناكا ) ( فلقد فضحت
العاشقين * بقبح ما فعلت يداكا )
381 ( أرأيت من يهدي الجلود * إلى عشيقته
سواكا ) ( وأظن أنك رمت أن * تحكي بفعلك ذا سماكا )
( ذاك الذي أهدى الضياع * لأم عمرو والصكاكا ) (
فبعثت منتنة كأنك * قد مسحت بهن فاكا ) ( من لي
بقربك يا رقيع * ولست أهوى أن أراكا ) ( لكن لعلي أن

أقطع * ما بعثت على قفاكا ) ونقلت من هذا الكتاب أيضا أن اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن أذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع وكانت السنة مجدبة فضمه الطريق وغلاما حدثا على حمار له قال فحادثته فرأيته أديبا راوية للشعر خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة فسرنا بقية يومنا فأمسينا إلى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيئا نأكله فامتنع أن يكون عنده شيء فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين فأخذت واحدا ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال ما أقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب لي وجعلت له جعيلة على ذلك فمضى وجاءني بعد طويل وقال قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق كلام فدفعت إليه خمسين درهما فجاءني بمكوك فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف فأطرق مليا ثم قال تسمع أيدك الله أبياتا حضرت الساعة فقلت هاتها فأنشد ( يا سيدي شعري نفاية شعركا * فلذاك نظمي ما يقوم بنثركا ) ( وقد انبسطت إليك في إنشاد ما * هو في الحقيقة قطرة من بحركا )

382 ( آنستني وسررتني وبررتني * وجعلت أمري من مقدم أمركا ) ( وأريد أذكر حاجة إن تقضها *

أك عبد مدحك ما حييت وشكركا ) ( أنا في ضيافتك العشية ها هنا * فاجعل حماري في ضيافة مهركا )
فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما ودفعته إليه وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود وأخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتاريخ وفاته فيه نظر لأن الخطيب ذكر في تاريخه أن أحمد ابن منصور النوشري المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة لكن نقلت تاريخ وفاته على هذه الصورة من تاريخ ابن الأزرق الفارقي والله أعلم
والخبزأرزي بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة وفيها ست لغات الواحدة بضم الهمزة والراء وتشديد الزاي والأخرى بفتح الهمزة والباقي مثل الأولى والثالثة أرز بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة والخامسة رز بضم الراء وتشديد الزاي والسادسة رنز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي وإنما نسب نصر المذكور هذه النسبة لأنه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره في أول هذه الترجمة ابن لنكك بفتح اللام وسكون النون وكافين متواليين وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي أعيرج تصغير أعرج لأن كلمة لنك معناها

أعرج وعادة العجم إذا صغروا اسما ألحقوا في أخره كافا
ومربد البصرة بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء
الموحدة وبعدها دال مهملة وهو اسم موضع بالبصرة
مشهور وهو في الأصل اسم لكل مكان تحبس فيه الإبل
وغيرها ثم صار علما على الموضع المذكور
383 761 أبو المرهف النميري أبو المرهف
نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن
حميد بن أثال بن ورد بن عطاف بن بشر بن جندل بن
عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل ابن قطن بن
ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن
صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن
عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن
معد بن عدنان النميري الضرير الشاعر المشهور قدم
بغداد في صباه وسكنها إلى حين وفاته وحفظ القرآن
المجيد وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله
عنه وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد
الباقي الأنصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك
الأنماطي وأبي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرأ
الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي وقال الشعر ومدح
الخلفاء والوزراء والأكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن
المقاصد في الشعر له ديوان شعر وذكره العماد
الأصبهاني في كتاب الخريدة وذكر شيئا من شعره وأورد
نسبه على هذه الصورة وقال هو الذي أملاه علي وعبيد

الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة
384 وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدري وعمره أربع عشرة سنة وذكر له العماد في الخريدة هذا المقطوع من شعره وهو ( ترى يتألف الشمل الصديع * وآمن من زماني ما يروع ) ( وتأنس بعد وحشتنا بنجد * منازلنا القديمة والربوع ) ( ذكرت بأيمن العلمين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع ) ( فلم أملك لدمعي رد غرب * وعند الشوق تعصيك الدموع ) ( ينازعني إلى خنساء قلبي * ودون لقائها بلد شسوع ) ( وأخوف ما أخاف على فؤادي * إذا ما أنجد البرق اللموع ) ( لقد حملت من طول التنائي * عن الأحباب ما لا أستطيع ) وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين ابن هبيرة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وله فيه مدائح وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرقة وتوفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميري بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى نمير بن عامر المذكور في عمود النسب في أول الترجمة والباقي معروف

385 762 ابن قلاقس أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري الملقب القاضي الأعز الشاعر المشهور كان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا ولم يكن له لحية بل كان سناطا وقيل فيه أشعار بسبب ذلك فأضربت عن ذكرها لفحشها صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدائح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيرا ما يثني عليه ويتقاضاه بمديحه وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الإحسان وأولها ( ما ضر ذاك الريم أن لا يريم * لو كان يرثي لسليم سليم ) ( وما على من وصله جنة * إلا أرى من صده في جحيم ) ( أعندما همت به روضة * أعل جسمي لأكون النسيم ) ( رقيم خد نام عن ساهر * ما أجدر النوم بأهل الرقيم ) ( وكيف لا يصرم ظبي وقد * سمعت في النسبة ظبي الصريم ) ( وعاذل دام ودام الدجى * بهيمة نادمتها في بهيم )

386 ( يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم ) ( قلت له لما عدا طوره * والقلب مني في العذاب الأليم ) ( اعذر فؤادي إنه شاعر * من حبه في كل واد يهيم ) ( يا رب خمر فمه كاسها * لم أقتنع من شربها بالشميم ) ( أتبعت رشفا قبلا عندها * وقلت هذا زمزم والحطيم ) ( فافتر إما عن أقاحي الربا * يضحك

أو در العقود النظيم ) ( أو كان قد قبل مستحسنا * ما قبل
الفاضل عبد الرحيم ) وكان كثير الحركات والأسفار وفي
ذلك يقول ( والناس كثر ولكن لا يقدر لي * ألا مرافقة
الملاح والحادي ) وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح
بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى بلال بن جرير
المحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد
بن الداعي سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي
صاحب بلاد اليمن فأحسن إليه وأجزل صلته وفارقه وقد
أثرى من جهته فركب البحر فانكسر المركب به وغرق
جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك
وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ثلاث وستين
وخمسمائة فعاد إليه وهو عريان فلما دخل عليه أنشده
قصيدته التي أولها ( صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا *
فعدنا إلى مغناك والعود أحمد ) وهذه القصيدة من
القصائد المختارة ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم
أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وأولها
387 ( سافر إذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار
بدرا ) ( والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
) ( وبنقلة الدرر النفيسة * بدلت بالبحر نحرا ) ومنها (
يا راويا عن ياسر * خبرا ولم يعرفه خبرا ) ( اقرأ بغرة
وجهه * صحف المنى إن كنت تقرا ) ( والثم بنان يمينه
* وقل السلام عليك بحرا ) ( وغلطت في تشبيهه *
بالبحر فاللهم غفرا ) ( أو ليس نلت بذا غنى * جما ونلت

بذاك فقرا ) ( وعهدت هذا لم يزل * مدا وذاك يعود جزرا ) وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المقدم ذكره في حرف الهمزة في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته وهي الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضا مأخوذ من قول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهو ( قلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني للخدور ) ( فمحالفو أوطانهم * أمثال سكان القبور ) ( لولا التنقل ما ارتقت * درر البحور إلى النحور ) وله في جارية سوداء وهو معنى غريب ( رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور ) ( مثل حب العيون يحسبه الناس * سوادا وإنما هو نور )

388 ومحاسن ابن قلاقس نادرة وكانت ولادته بثغر الإسكندرية يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين وكان وصوله إلى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القائد أبو القاسم ابن الحجر فاتصل به وأحسن إليه وصنف له كتابا سماه الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم وأجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا إلى الديار المصرية وكان في زمن الشتاء ردته الريح إلى صقلية فكتب إلى أبي القاسم

المذكور ( منع الشتاء من الوصول * مع الرسول إلى
دياري ) ( فأعادني وعلى اختياري * جاء من غير
اختياري ) ( ولربما وقع الحمار * وكان من غرض
المكاري ) وقلاقس بقافين الأولى مفتوحة والثانية
مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة وهو جمع
قلقاس بضم القاف وهو معروف واللخمي تقدم الكلام
عليه وكذلك الأزهري وعيذاب بفتح العين المهملة
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد
الألف باء موحدة وهي بليدة على شاطئ بحر جدة يعدي
منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز على طريق
قوص في ليلة واحدة في أغلب الأوقات فيصل إلى جدة
ومنها إلى مكة حرسها الله تعالى مسافة
389 يوم وبجدة قبر أم البشر حواء رضي الله عنها
على ما يقال وقبرها هناك ظاهر يزار وياسر المذكور
قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخوله اليمن
763 ضياء الدين ابن الأثير أبو الفتح نصر الله بن أبي
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب ضياء
الدين كان مولده بجزيرة ابني عمر ونشأ بها وانتقل مع
والده إلى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة
وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا
من الأحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم
البيان وشيئا كثيرا من الأشعار حتى قال في أول كتابه

الذي سماه الوشي المرقوم ما مثاله وكنت حفظت من
الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ثم اقتصرت
بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس يعني أبا تمام
وأبي عبادة البحتري وشعر أبي الطيب المتنبي فحفظت
هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين
حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الإدمان لي خلقا
وطبعا وإنما ذكر هذا الفصل في معرض أن المنشيء
ينبغي أن يجعل

390 دأبه في الترسل حل المنظوم ويعتمد عليه في
هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات
قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته
في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوصله
القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة
من السنة وأقام عنده إلى شوال من السنة ثم طلبه ولده
الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين
الإقامة في خدمته والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي
قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى إليه وكان يومئذ
شابا فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم
ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده ولما توفي
السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة
دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور
الناس إليه وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ولما
أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد حسبما

شرحناه في ترجمته وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها وهموا بقتله فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا في صندوق مقفل عليه ثم صار إليه وصحبه إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل فأغنى عن الإعادة ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه كما ذكرناه هناك وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين في خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها

391 مستترا وله في كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب المقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضبا وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله فورد إربل فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري وذلك في سنة ثماني عشرة

وستمائة  ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من
عشر مرات وهو مقيم بها وكنت أود الاجتماع به لآخذ
عنه شيئا ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من
المودة الأكيدة فلم يتفق ذلك ثم فارقت بلاد المشرق
وانتقلت إلى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت
إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ثم بلغني بعد ذلك
خبر وفاته وأنا بالقاهرة وسيأتي تاريخه في أواخر
الترجمة إن شاء الله تعالى  ولضياء الدين من التصانيف
الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وهو في مجلدين
جمع فيه فأوعب ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره
ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد
منه نسخة فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين أبو حامد عبد
الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد
المدائني وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وعنته في ذلك
وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه الفلك الدائر على
المثل السائر فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو
المعالي أحمد ويدعى القاسم أيضا فكتب إلى أخيه المذكور
قوله
392 ( المثل السائر يا سيدي * صنفت فيه الفلك
الدائرا ) ( لكن هذا فلك دائر * تصير فيه المثل السائرا )
283 وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت
مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة  وتوفي

في بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة 284 وتوفي أخوه موفق الدين المذكور ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة بعد أن أخذها التتر بقليل وكانا فقيهين أديبين فاضلين لهما أشعار مليحة ومولد الموفق المذكور في جمادى الآخرة وقيل في شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة وله كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء وهو أيضا نهاية في بابه وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله ( تمتع به علقا نفيسا فإنه اختيار * بصير بالأمور حكيم ) ( أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى * إلى الشعر من نهج إليه قويم ) وله أيضا ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد ومن جملة رسائله ما كتبه إلى مخدومه وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد وينهي أنه سار عن الخدمة وقد ضرب الدجن فيه مضاربه وأسبل عليه ذوائبه وجعل كل قرارة حفيرا وكل ربوة غديرا وخط كل أرض خطا وغادر كل جانب شطا كأنه يوازي يد مولانا في شيمة كرمها والتثاث صوب ديمها والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل العاري عن فائدة التحصيل وفرق بين ما يملأ الوادي بمائه ومن يملأ النادي بنعمائه وليس ما ينبت زهرا

يذهبه المصيف أو تمرا يأكله الخريف كمن ينبت ثروة تغوث الأعطاف ويأكل المرتبع والمصطاف ثم استمر على مسير يقاسي الأرض ووحلها والسماء ووبلها ولقد جاد حتى أضجر وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق وما خاف

393 المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره في حرب ومن شدة برده في كرب والسلام ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام المعروف بالحاجري الإربلي المقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله ومن شدة برده في كرب أعجبه ونظم أبياتا ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى وهو ( ويلاه من برد رضاب له * أشكو إلى العذال منه الحريق ) ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق إلى الوقوف على بقية الأبيات وهي قليلة فلا بأس بذكرها وهي ( بين لوي الجزع ووادي العقيق * من لا إلى السلوان عنه طريق ) ( جان جنى النحلة من ريقه * حلو التثني والثنايا رشيق ) ( لو لم تكن وجنته جنة * ما أنبتت ذاك العذار الأنيق ) ( ويلاه من برد رضاب له * أشكو إلى العذال منه الحريق ) ( واعجبا يفعل بي في الهوى * ما تفعل الأعداء وهو الصديق ) ( روحي فدى الظبي الذي قده * يفعل فعل السمهري الدقيق ) وقد سبق في ترجمة النفيس القطرسي في حرف الهمزة بيت من جملة أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى وهو قوله ( أحرقت يا ثغر الحبيب * حشاي لما

ذقت بردك ) وأصل هذا المعنى لابن التعاويذي المقدم ذكره في بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة وهو ( يذكي الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان )

394 ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة وهي ودولته هي الضاحكة وإن كان نسبها إلى العباس فهي خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلا بأنها لا تهرم وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخطه الأقلام في صحفها ولا أجالته الخواطر في أفكارها ولعمري ما أنصف ضياء الدين في دعواه الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه إليه ابن التعاويذي في قصيدته السينية التي مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس في دست الخلافة وهو يوم الأحد مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة وأول القصيدة ( طاف يسعى بها على الجلاس * كقضيب الأراكة المياس ) ومنها عند المخلص وهو المقصود بالذكر هاهنا ( يا نهار المشيب من لي وهيهات * بليل الشبيبة الديماس ) ( حال بيني وبين لهوي وأطرا * بي دهر أحال صبغة راسي ) ( ورأى الغانيات شيبي فأعرضن * وقلن السواد خير لباس ) ( كيف لا يفضل

السواد وقد أضحى * شعارا على بني العباس ) ولا شك
أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذي
هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل فسهل على ضياء
الدين سلوكه وله من جملة رسائله في ذكر العصا التي
يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا لمبتدأ
ضعفي خبر ولقوس ظهري وتر وإن كان إلقاؤها دليلا
على الإقامة فإن حملها دليل على السفر وله في وصف
المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار
وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء
395 عن اللباس فهم في صورة عار وزيهم زي
كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير أنه لم
يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى لبس الإسلام شعار
النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق
لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه إلا ريثما غابت
البيض في الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام
وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحتري ( سلبوا
وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا ) وله
رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة ومن
جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته وهو معنى بديع
غريب لم أقف لغيره على أسلوبه وهو قوله وعذب رضابه
فضاهى جنى النحل واحمر صفيحه فعلمت أنه قد قتل
المحل وهذا المعنى نهاية في الحسن ثم إني وجدت هذا
المعنى لبعض العرب وقد أخذ ضياء الدين منه وهو قوله

( لله قلب ما يزال يروعه * برق الغمامة منجدا أو مغورا )
( ما احمر في الليل البهيم صفيحه * متجردا إلا وقد قتل الكرى ) ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله إلى هذا المعنى ومثله قول عبد الله ابن المعتز المقدم ذكره في غلام أرمد ( قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل مسها الوصب ) ( حمرتها من دماء من قتلت * والدم في النصل شاهد عجب )

396 وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ولم يكن له في النظم شيء حسن وسأذكر منه أنموذجا وهو ( ثلاثة تعطي الفرح * كأس وكوب وقدح ) ( ما ذبح الزق لها * إلا وللهم ذبح ) وكان كثيرا ما ينشد ( قلب كفاه من الصبابة أنه * لبى دعاء الظاعنين وما دعي ) ( ومن الظنون الفاسدات توهمي * بعد اليقين بقاءه في أضلعي ) وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمني المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال الشرح وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وبالغ في الثناء عليه وقال ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة وكانت ولادته بجزيرة ابني عمر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلي عليه

من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما  قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم

397 وقد تقدم ذكر أخويه مجد الدين أبي السعادات المبارك وأبي الحسن علي الملقب عز الدين وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى 285 وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وتوفي بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى 764

النضر بن شميل  أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السكب الشاعر ابن عروة بن حليمة بن حجر بن خزاعي بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم التميمي المازني النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ذكره أبو عبيدة في كتاب مثالب

أهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري

398 بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري فلما صار بالمربد جلس فقال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالا عظيما وكانت إقامته بمرو وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعبد الله ابن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلي ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زمانا وسمع منه أهلها وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص في قوله ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين والصواب أن يقال بالكسر وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم وساق خبره وذكر إسنادا انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الأهوازي قال حدثني النضر بن شميل قال كنت أدخل

على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما

399 قال قال رسول الله إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فأورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لأن السداد ها هنا لحن قال أو تلحنني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي يقول ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر ) فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لي بمرو أتصاببها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت إني إلى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس

وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول إذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه فأخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ
400 الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني

والبيت الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي العرجي الشاعر المشهور وهو من جملة أبيات له وهي هذه الأبيات ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر ) ( وصبر عند معترك المنايا * وقد شرعت أسنتها لنحري ) ( أجرر في الجوامع كل يوم * فيالله مظلمتي وقسري ) ( كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو ) ( عسى الملك المجيب لمن دعاه * سينجيني فيعلم كيف شكري ) ( فأجزي بالكرامة أهل ودي * وأجزي بالضغائن أهل وتري ) والعرجي بفتح العين وسكون الراء وفي آخرها جيم هذه النسبة إلى العرج وهو موضع بمكة سمي به وقال ابن الأثير في كتاب تهذيب النسب العرج بين مكة والمدينة وليس بمكة

والله أعلم  وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي لما حبس المنصور عبد الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا * )  فبلغ ذلك المنصور فقال هو أضاع نفسه بسوء فعله فكانت أنفسنا عندنا أبر من نفسه  قال إسحاق وقال الأصمعي مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا ويغني  ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر )
401 فقلت أما سداد الكنيف فأنت ملي به وأما الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي متمثلا يقول  ( وأكرم نفسي إنني إن أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي ) فقلت والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فقال لي والله إن من الهوان لشرا مما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة إليك وإلى أمثالك  وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبب بأمه جيداء وهي من بني الحارث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبته إياها بل ليفضح ولدها المذكور وأقام في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسياط وشهره بالأسواق فعمل هذه الأبيات في السجن  قال إسحاق وكان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام أشياء كانت تبلغه عنه في هشام فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخص

الى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة فقال
وأي قرابة بيني وبينك هل أنت إلا من أشجع قال فأسألك
بصهر عبد الملك قال فلم تحفظه قال يا أمير المؤمنين قد
نهى رسول الله أن تضرب قريش بالسياط إلا في حد قال
ففي حد أضربك وقود أنت ممن سن ذلك على العرجي
وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما راعيت حق
جده ولا نسبته إلى هشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا
ولي ثأره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا
بالحديد ووجههما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمر
باستقصائهما وتعذيبهما حتى يتلفا
402 وكتب إليه احتبسهما مع ابن النصرانية يعني
خالدا القسري إن عاش أحد منهما فعذبهما عذابا شديدا
وأخذ منهما مالا عظيما حتى لم يبق فيهما موضع للضرب
وكان محمد بن هشام مطروحا فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا
بلحيته فجذبوه بها ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم
لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعا ومات خالد
القسري معهما في يوم واحد قال إسحاق غنيت الرشيد
يوما في عرض الغناء ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا *
ليوم كريهة وسداد ثغر ) فقال لي ما كان سبب العرجي
حتى قال الشعر فأخبرته بخبره من أوله إلى آخره إلى أن
مات فرأيته يتغير كلما مر به شيء فأتبعته بحديث مقتل
ابني هشام فجعل وجهه يسفر وغضبه يسكن فلما انقضى
الحديث قال يا إسحاق والله لولا ما حدثتني به من فعل

الوليد لما تركت أحدا من بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الآن إلى تتمة أخبار النضر بن شميل فمن ذلك ما حكاه الحريري في درة الغواص أيضا في أوائل الكتاب في قوله ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين والصواب فيه مصح بالصاد فقال ويحكى أن النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الأعشى ( وإذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الإزباد فيها ومصح ) فقال له الرجل إن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط

403 وسقر وصقر فقال له النضر فإذا أنت أبو سالح ويشبه هذه النادرة ما حكي أيضا أن بغض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير أتقرأ ( ^ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) ( الرعد 23 ) أم من سلح فخجل الرجل وانقطع انتهى كلام الحريري قلت أنا والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال الصاد من السين أن كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فيجوز إبدال السين بالصاد فنقول في السراط الصراط وفي سخر لكم صخر وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل

صيقل وقس على هذا كله ولم أر في شيء من كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافا سوى الجوهري في كتاب الصحاح في لفظة صدغ فإنه قال وربما قالوا السدغ بالسين قال قطرب محمد بن المستنير إن قوما من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة بعد أن تكون بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب انتهى كلامه في هذا الفصل وأخبار النضر كثيرة والاختصار أولى وله تصانيف كثيرة فمن ذلك كتاب في الأجناس على مثال الغريب وسماه كتاب الصفات قال علي بن الكوفي الجزء الأول منه يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والجزء الثالث يحتوي على الإبل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والكمأة والآبار والحياض والأرشية والدلاء وصفة الخمر والجزء الخامس

404 يحتوي على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار وله كتاب السلاح وكتاب خلق الفرس وكتاب الأنواء وكتاب المعاني

وكتاب غريب الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل
إلى كتاب العين للخليل بن أحمد وغير ذلك من التصانيف
وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع ومائتين وقيل في
أولها وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد
خراسان وبها ولد ونشأ بالبصرة فلذلك نسب إليها رحمه
الله تعالى والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة
وبعدها راء وشميل بضم الشين المعجمة وفتح الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وخرشة بفتح
الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة وكلثوم بضم
الكاف والثاء المثلثة وبينهما لام ساكنة وعبدة بفتح العين
والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة والسكب
بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة وإنما
قيل له سكب لقوله ( برق يضيء خلال البيت أسكوب *
) وحليمة بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء
المثناة من تحتها وقال ابن الجوزي في كتاب الألقاب في
ترجمة السكب هو زهير بن عروة ابن جلهمة والله أعلم
بالصواب وجلهمة بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة
وهو في الأصل اسم لجنب الوادي يقال له جلهمة وجلهة
بفتح الجيم والهاء بغير ميم وبه سمي الرجل وحجر بضم
الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء
405 وخزاعي بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي
وبعد الألف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء
النسب والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه 765

الإمام أبو حنيفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي مولى تيم الله ابن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات كان خزازا يبيع الخز وجده زوطي من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الأنبار وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذي مسه الرق فأعتق وولد ثابت على الإسلام وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس من الأحرار والله ما وقع علينا رق قط ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الفالوذج في يوم المهرجان النيروز

406 فقال مهرجونا كل يوم هكذا قال الخطيب في تاريخه والله تعالى أعلم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي

رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد فأراده على أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال إني لن أصلح إلى قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني وأبى أن يلي فأمر به إلى الحبس في الوقت والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمنه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترعي
407 أمانتك إلا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتني أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك فقال له كذبت أنت تصلح فقال له قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو

كذاب  وحكى الخطيب أيضا في بعض الروايات أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له إن لم تفعل ضربتك بالسياط قال أو تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لي فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذي لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه وضرب بيده إلى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك فنظر الصفار إليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات  وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله  وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن

408 وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة مررت مع أبي بالكناسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة قال الفضل بن غانم كان أبو يوسف مريضا شديد المرض فعاده أبو حنيفة مرارا فصار إلى آخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع ثم قال لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس به ليموتن معك علم كثير ثم رزق العافية وخرج من الغد فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلسا في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسا وأنه يلقي كلامك فيه فدعا رجلا كان له عنده قدر فقال سر إلى مجلس يعقوب فقل له ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار ما لك عندي شيء وأنكره ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصورا أله أجرة فإن قال لك له أجرة فقل له أخطأت وإن قال لا أجرة له فقل أخطأت فسار إليه وسأله فقال أبو يوسف له أجرة فقال أخطأت فنظر ساعة ثم قال لا أجرة له فقال له أخطأت فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال ما جاء بك إلا مسألة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلسا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن

يجيب في مسألة من الاجارات فقال يا أبا حنيفة علمني فقال إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة لأنه قصر لصاحبه ثم قال من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لإخوانه وكان ربعة من الرجال وقيل كان طوالا تعلوه سمرة أحسن

409 الناس منطقا وأحلاهم نغمة وذكر الخطيب في تاريخه أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبقه إليه أحد قبله قال الشافعي رضي الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير ابن أبي سلمى ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس وقال جعفر بن ربيع أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما

رأيت أطول صمتا منه فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهارة في الكلام وكان إماما في القياس قال علي بن عاصم دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض فقال الحجام لا تزد فقال ولم قال لأنه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام

410 وقال عبد الله بن رجاء كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول ( أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر ) فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستأذن على الأمير فقال الأمير ايذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه وقال ما حاجتك فقال لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال يأمر الأمير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة

والإسكاف يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال يا فتى أضعناك فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوي لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شيء فقال عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم

411 وحكى الحسن بن زياد قال دفن رجل مالا في موضع ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة ما هذا فقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة ففعل الرجل ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال له قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجل وقال ابن شبرمة كنت شديد الازراء على أبي حنيفة فحضر الموسم وكنت حاجا يومئذ فاجتمع إليه قوم يسألونه فوقفت من حيث لا يعلم من أنا فجاءه رجل فقال يا أبا حنيفة قصدتك أسألك عن أمر أهمني وأزعجني قال وما هو قال لي ولد وليس لي غيره فإن زوجته طلق وإن سريته أعتق وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة قال له نعم اشتر الجارية التي

يرضاها لنفسه ثم زوجها منه فإن طلق رجعت إليك مملوكتك وإن أعتق أعتق ما لا يملك وإن ولدت ثبت نسبه لك فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير وقال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثوري يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور وكان يعادي أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الإستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك

412 ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تشيط بدمي قال لا ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه

أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر
بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا
تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن
يوثقني فربطته وقال يزيد بن الكميت كان أبو حنيفة شديد
الخوف من الله تعالى فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة
في العشاء الأخيرة سورة ( ^ إذا زلزلت ) وأبو حنيفة
خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي
حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه
بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل
فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو
يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا ويا من يجزي
بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار ومما
يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك قال فأذنت
وإذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن
تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال اكتم علي ما
رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى
معنا الغداة على وضوء أول الليل

413 وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ
عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة وكان
عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع
بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم
القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة وقال
إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه لما مات أبي

سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئا كثيرا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق في تركه والإضراب عنه فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقريء النحوي المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثل هل يوجب القود أم لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للإمام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول إن الكلمات الست المعربة بالحروف وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف وأنشدوا في ذلك ( إن أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها ) وهي لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهي لغته والله أعلم وهذا وإن كان خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة إحدى وستين

414 والأول أصح وتوفي في رجب وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت

من جمادى الأولى من السنة وقيل سنة احدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين والأول أصح وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل إنه لم يمت في السجن وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنهما ودفن بمقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور يزار  وزوطى بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم نبطي وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الألف وبعدها لام وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم  وأما بابل والأنبار فهما معروفان فلا حاجة إلى الكلام عليهما 286 وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهدا وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها فبيناهم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر المقدم ذكره وأنشده  ( ألم تر أن العلم كان مبددا * فجمعه هذا المغيب في اللحد )  ( كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشرها فعل العميد أبي سعد )

فأجازه أبو سعد جائزة سنية  ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات في المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف وانقطع في آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه في الأمور وتوفي في المحرم سنة

أربع وستين وأربعمائة بأصبهان رحمه الله تعالى  وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد تقدم في ترجمة

415 ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهدا على قبر الإمام أبي حنيفة وكذلك وجدته في بعض التواريخ وقد غاب عني الآن من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فتسبت العمارة إليه بهذه الطريق ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان وأبو سعد كان مستوفيا في أيامه ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين والله أعلم 766  القاضي النعمان  أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم ذكره الأمير المختار المسبحي في تاريخه فقال كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره انتهى كلام المسبحي في هذا الموضع  وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية وصنف كتاب ابتداء

416 الدعوة للعبيديين وكتاب الأخبار في الفقه وكتاب الاقتصار في الفقه أيضا  وقال ابن زولاق في كتاب أخبار قضاة مصر في ترجمة أبي الحسن علي بن

النعمان المذكور ما مثاله وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا وله ردود على المخالفين له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سريج وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت رضي الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة وكان أبو حنيفة المذكور ملازما صحبة المعز أبي تميم معد بن منصور المقدم ذكره ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية كان معه ولم تطل مدته ومات في مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في سيرة القائد جوهر أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة وصلى عليه المعز وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي ولما وصل إلى مصر وجد جوهرا قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلي البغدادي فأقره انتهى كلام ابن زولاق 287 وكان والده أبو عبد الله محمد قد عمر ويحكي أخبارا كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين وتوفي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وصلى عليه ولده أبو حنيفة

المذكور ودفن في باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان عمره مائة وأربع سنين
417 288 وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سروات فمنهم أبو الحسن علي بن النعمان أشرك المعز المذكور بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بحير بن صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في الحكم ولم يزالا مشتركين فيه إلى أن توفي المعز وقام بالأمر ولده العزيز نزار وقد تقدم ذكره أيضا فرد إلى القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب وهما على الاشتراك في الحكم واستمرا على ذلك إلى أن لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعي إلا محمولا فركب العزيز المذكور إلى الجزيرة التي بين مصر والجيزة في مستهل صفر سنة ست وستين وثلثمائة فحمل أبو طاهر إليه فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة فرآه نحيلا وسأله استخلاف ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف فحكي عن العزيز أنه قال ما بقي إلا أن تقددوه ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان المذكور القضاء مستقلا فركب إلى جامع القاهرة وقريء سجله ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر وقريء سجله وكان القاريء أخاه أبا عبد الله محمد ابن النعمان وكان في سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار

في الذهب والفضة والموازين والمكاييل ثم انصرف إلى داره في جمع عظيم ولم يتأخر عنه أحد وأقام القاضي أبو طاهر المذكور منقطعا في بيته عليلا وأصحاب الحديث يترددون إليه ويسمعون عليه إلى أن توفي سلخ ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة وسنة ثمان وثمانون سنة ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوما وأذن له العزيز أيضا أن ينظر في الأحكام في هذه المدة فلم يكن فيه فضل وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضا مدة ثم انتقل إلى مصر ثم إن القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمدا وفوض إليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار فخرج إليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر العزيز إلى الشام في سنة سبع وستين وسافر معه القاضي أبو الحسن المذكور وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس

418 وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفننا في عدة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس وكان شاعرا مجيدا في الطبقة العليا ومن شعره ما رواه له أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وهو قوله ( ولي صديق ما مسني عدم * مذ وقعت عينه على عدمي ) ( أغنى وأقنى وما يكلفني * تقبيل كف له ولا قدم ) ( قام بأمري لما قعدت به * ونمت عن حاجتي ولم ينم ) وأورد له الثعالبي أيضا في المعنى ( صديق لي له أدب * صداقة مثله نسب

) ( رعى لي فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب ) (
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب ) وأورد له أبو
الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتاب دمية القصر
وأوردها أيضا أبو محمد ابن زولاق في كتاب أخبار قضاة
مصر في ترجمة أبي الحسن المذكور أبياتا أحسن فيها كل
الإحسان وهي ( رب خود عرفت في عرفات * سلبتني
بحسنها حسناتي ) ( حرمت حين أحرمت نوم عيني *
واستباحت حماي باللحظات ) ( وأفاضت مع الحجيج
ففاضت * من جفوني سوابق العبرات ) ( ولقد أضرمت
على القلب جمرا * محرقا إذ مشت إلى الجمرات ) ( لم
أنل من منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون
وفاتي )

419 ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرا على
أحكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو
بالجامع ينظر في الأحكام فقام من وقته ومضى إلى داره
وأقام عليلا أربعة عشر يوما وتوفي في يوم الاثنين لست
خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأخرج تابوته
من الغد إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند
الموضع المعروف الآن بالبركة فوضع التابوت بالمسجد
المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز إليه من مخيمه
حتى صلى عليه في المسجد وردت الجنازة إلى داره
بالحمراء فدفن فيها والحمراء محلة بمصر وهي ثلاث
حمراوات وإنما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها وأرسل

العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمد المذكور في هذه الترجمة وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا فقال له إن القضاء لك من بعد أخيك ولا تخرجه عن هذا البيت وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى 289 وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوما لأن أبا عبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب في وقته إلى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده إلى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفا فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة فسار إلى داره ونزل ولده وجماعة من أهل بيته إلى الجامع العتيق بمصر وقريء سجله بعد صلاة الجمعة وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالإسكندرية بأمر العزيز وخلع عليه العزيز وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي

420 الحسن جوهر المقدم ذكره في حرف الجيم

وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار والكتاب ثوبا مصمتا

وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز فقال له من أجلست معه فقال ولدي محمدا فقال هو قاضي مصر فكان كما قال لأن المعز كانت تحدثه نفسه أبدا بأخذ مصر فلهذا تلفظ بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي محمد المذكور كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز هذا قاضيك وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام مفننا في علوم كثيرة حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس وله شعر فمن ذلك قوله ( أيا مشبه البدر بدر السماء * لسبع وخمس مضت واثنتين ) ( ويا كامل الحسن في نعته * شغلت فؤادي وأسهرت عيني ) ( فهل لي من مطمع أرتجيه * وإلا انصرفت بخفي حنين ) ( ويشمت بي شامت في هواك * ويفصح لي ظلت صفر اليدين ) ( فإما مننت وإما قتلت * فأنت القدير على الحالتين ) وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي ( تعادلت القضاة علا فأما * أبو عبد الإله فلا عديل ) ( وحيد في فضائله غريب * خطير في مفاخره جليل ) ( تألق بهجة ومضى اعتزاما * كما يتألق السيف الصقيل ) ( فيقضي والسداد له حليف * ويعطي والغمام له رسيل ) ( لو اختبرت قضاياه لقالوا * يؤيده عليها

جبرئيل ) ( إذا رقي المنابر فهو قس * وإن حضر المشاهد فالخليل ) فكتب إليه القاضي محمد المذكور
421 ( قرأنا من قريضك ما يروق * بدائع حاكها طبع رقيق ) ( كأن سطورها روض أنيق * تضوع بينها مسك فتيق ) ( إذا ما أنشدت أرجت وطابت * منازلها بها حتى الطريق ) ( وإنا تائقون إليك فاعلم * وأنت إلى زيارتنا تتوق ) ( فواصلنا بها في كل يوم * فأنت بكل مكرمة حقيق ) وقال ابن زولاق في أخبار قضاة مصر ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهيبة وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الأحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل وكان يخلفه أولا ولد أخيه وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فصرفه لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه إلى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم

المقدم ذكره فأقر القاضي محمدا على أشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده ولما حصلت له المنزلة والمكنة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلا والأستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره على جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ثم انصرف إلى قصره

422 وكانت ولادته يوم الأحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه فنقل القاضي محمد المذكور إلى داره التي بمصر يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من هذه السنة ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور إلى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة رحمهم الله تعالى

290 ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستمر في الحكم إلى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين فصرف بابن عمه أبي

القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره ثم ضربت عنق
الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الأحد سادس
المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته وأحرقت جثته
وذلك بأمر الحاكم لقصة يطول شرحها 291 واستقل أبو
القاسم في الأحكام وضم إليه الحاكم النظر في المظالم ولم
يجتمعا قبله لأحد من أهله وعلت رتبته عند الحاكم
وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد
وكذلك في عيد النحر وتصلب في الأحكام وتشدد على من
عانده من رؤساء الدولة ورسم على جماعة ممن وجب
عليه حق فامتنع من الخروج منه ولم يزل قاضيا في
جميع ما فوضه إليه الحاكم إلى أن صرفه عن ذلك جميعه
يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة
وفوض القضاء إلى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك
الفارقي وأخرجه عن أهل بيت النعمان
423 ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل القاضي أبي
القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن
جوهر وأبي علي إسماعيل أخي القائد فضل بن صالح
فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة واحدة لأمر يطول
شرحه وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى
الآخرة سنة إحدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وكانت
ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل
ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة 292 وأما
القاضي أبو طاهر المذكور فقال أبو منصور أحمد بن عبد

الله ابن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه إنه كان كثير الرواية حسن المجالسة شيخ مع الشيوخ كهل مع الكهول شاب مع الشباب وتوفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة رحمهم الله تعالى 767 السيدة نفيسة السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل بل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور وإنه كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في جملته فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك وذلك

424 في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي والحاجر على خمسة أميال من المدينة وقيل إنه توفي ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران والصحيح أنه مات بالحاجر هكذا قاله الخطيب في تاريخه والله أعلم وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى

الآن باق كما كان  ولما توفي الإمام الشافعي رضي الله
عنه أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها وكانت
مقيمة في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت
في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين  ولما ماتت عزم
زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى
المدينة ليدفنها هناك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت
في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر  عند
المشاهد وهذا الموضع كان يعرف يومذاك بدرب السباع
فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد وقبرها
معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها
425        & تذييل &  استمر الاعتماد في هذا الجزء
على المخطوطات التي ذكرت في مقدمة الجزء الرابع
ولكنا زدنا عليها مخطوطتين وهما ( 1 ) مخطوطة آيا
صوفيا رقم 3533 وقد رمزت لها بالحرف ص على أن
يتذكر القاريء أنها ليست هي ص المذكورة في الجزءين
الأول والثاني كما أنها ليست من أسرتها وإنما الشركة
بينهما انتماؤهما إلى مكتبة واحدة وحسب وتبدأ ص
بترجمة أبي تميم معد رقم 727 الصفحة 224 من هذا
الجزء وتقع في 193 ورقة وفي كل صفحة من صفحاتها
21 سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد 12 كلمة
وخطها نسخي واضح لا بأس بالضبط فيه وميزتها الكبرى
أنها تمثل الدور الأول من عمل المؤلف وتنتهي بتلك
الخاتمة التي يعلن فيها أنه توقف عن عمله دون أن يتم

حرف الياء وأن لديه مسودات أخرى أعدها لكتاب مطول يكون في أكثر من عشرة أسفار وهذا يعني أن آخر ترجمة فيها هي ترجمة يحيى بن خالد البرمكي والنسخة ليست مؤرخة وعلى الورقة الأولى أنها الجزء الرابع من الوفيات وقد كتب عليها تملك واحد تملكه الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن عمر الصفدي الحنفي عفا الله عنه بالشراء الشرعي من القاضي بهاء الدين بن أبي سالم الحموى ( 2 ) مخطوطة نور عثمانية رقم 3076 ورمزها ع وتبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رقم 765 الصفحة 405

426 من هذا الجزء وهي في 308 ورقات في كل صفحة من صفحاتها 25 سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد 11 كلمة والخط أيضا نسخي واضح ونسبة الضبط حسنة وهي تحوي تراجم الكتاب حتى آخره حسب الشكل الأخير الذي وضعه فيه مؤلفه وقد نسخت سنة 725 على يد علي بن جمعة بن أبي الحسن بن حسان ثم بخط مختلف أنها قوبلت بالنسخة التي في الخزانة العالية المولوية السلطانية الملكية المؤيدية في أوقات آخرها العشرين من ذي القعدة سنة ثماني وعشرين وسبعمائة بحسب الطاقة

*1*ج 6

5@ & حرف الواو &

6 @6@

7 768 واصل بن عطاء أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال أبو العباس المبرد في حقه في كتاب الكامل كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول الشاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق الضبي يمدحه بإطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه ( عليم بإبدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله ) وقال آخر

8 ( ويجعل البر قمحا في تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر ) ( ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر ) ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون إلا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا الأعمى ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لأن بشارا كان يتوالى إليهم

وذكر بني سدوس لأنه كان نازلا فيهم وذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون وقد أحلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في تبيين الاعتزال ولأي معنى سموا بهذا الاسم وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي أنه الذي سماهم بذلك وكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك في شعرهم كثيرا فمنه قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد المقدم ذكره وهو

9 ( نعم تجنب لا يوم العطاء كما * تجنب ابن عطاء لفظة الراء ) وقال آخر في محبوب له ألثغ ( أعد لثغة لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل ) وقال آخر ( أجعلت وصلي الراء لم تنطق به * وقطعتني حتى كأنك واصل ) لله دره ما أحسن قوله ( وقطعتني حتى كأنك واصل * ) وقال آخر ( فلا تجعلني مثل همزة واصل * فيلحقني حذف ولا راء واصل )

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الكندي الأندلسي
القرطبي الرمادي الشاعر المشهور إلا أنه لم يتعرض إلى
ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة ( لا الراء
تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء )
( فإذا خلوت كتبتها في راحتي * وقعدت منتحبا أنا والراء
) وهذا الباب متسع فلا حاجة إلى الإطالة فيه ويكفي منه
هذا الأنموذج وقد عمل الشعراء في اللثغة التي هي إبدال
الثاء من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى لأبي نواس
ولم أجدها في ديوانه والله أعلم إلا أن تكون في رواية علي
بن حمزة الأصبهاني فإنها أكثر الروايات ولم أكشف هذه
الأبيات منها وهي أبيات حلوة ظريفة ( وشادن ساءلت
عن إسمه * فقال لي إثمي مرداث ) ( بيات يعاطني
سخامية * وقال لي قد هجع الناث ) ( أما ترى حثن
أكاليلنا * زينها النثرين والآث )
10 ( فعدت من لثغته ألثغا * فقلت أين الطاث
والكاث ) ولو شرعت في ذكر ما قيل على هذا النمط
لطال الشرح ولم أجد في لثغة الراء إلا قليلا فمن ذلك قول
بعضهم ( أما وبياض الثغر ممن أحبه * ونقطة خال الخد
في عطفة الصدغ ) ( لقد فتنتني لثغة موصلية * رمتني
في تيار بحر هوى اللثغ ) ( ومستعجم الألفاظ عقرب
صدغه * مسلطة دون الأنام على لدغي ) ( يكاد أصم
الصم عند حديثه * إلى اللثغة الغناء من لفظه يصغي ) (
يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان الذي أهوى ونلت

الذي أبغي ) ( وقد نفضت كأس الحميا وأظهرت * على خده من لونها أحسن الصبغ ) ( تغفق فغشف الخمغ من كغم غيقتي * يزيدك عند الشغب سكغا على سكغ ) ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع في البيت الأخير راءات كثيرة وأبدلها بالغين وللخبز أرزي الشاعر المقدم ذكره في غلام يلثغ بالراء أيضا لكنه لم يستعمل اللثغة إلا في آخر البيت الأخير من الأربعة أبيات ( وشاذن بالكرخ ذي لثغة * وإنما شرطي في اللثغ ) ( ما أشبه الزنبور في خصره * حتى حكى العقرب في الصدغ ) ( في فمه درياق لدغ إذا * أحرق قلبي شدة اللدغ ) ( إن قلت في ضمي له أين هو * تفديك روحي قال لا أدغي ) وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء وكان طويل العنق جدا بحيث كان يعاب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره

11 ( ماذا منيت بغزال له عنق * كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا ) ( عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا كفروا رجلا ) وكانت بينهما منافسات وأحقاد وقد تقدم كلام واصل في حق بشار وقال المبرد في كتاب الكامل لم يكن واصل بن عطاء غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لأنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ثم قال وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر إليه من قبل أن يكلمه فقال لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وله من التصانيف

كتاب أصناف المرجئة وكتاب في التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التي أخرج منها الراء وكتاب معاني القرآن وكتاب الخطب في التوحيد والعدل وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو ابن عبيد وكتاب السبيل إلى معرفة الحق وكتاب في الدعوة وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة رحمه الله تعالى

12 769 وثيمة ابن الفرات أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسي الفسوي كان قد خرج من بلده إلى البصرة ثم سافر إلى مصر وارتحل منها إلى الأندلس تاجرا وكان يتجر في الوشي وصنف كتابا في أخبار الردة وذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي والسرايا التي سيرها إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين في ذلك ومن عاد منهم إلى الإسلام وقتال مانعي الزكاة وما جرى لخالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه مع مالك بن نويرة اليربوعي أخي متمم بن نويرة الشاعر المشهور صاحب المراثي المشهورة في أخيه مالك وصورة قتله وما قاله متمم من الشعر في ذلك وما قاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد الواقدي أنه صنف في الردة كتابا أيضا أجاد فيه ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا

الكتاب وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد ابن الفرضي صاحب تاريخ الأندلس في كتابه وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وأبو سعيد ابن يونس في تاريخ مصر وأبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الوشاء فقال كان يتجر في الوشي وهو نوع من الثياب المعمولة

13 من الإبريسم فعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور ثم إن وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى ( 293 ) وقال أبو سعيد ابن يونس المصري في تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة حدث عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما وصنف تاريخا على السنين وحدث به ومولده بمصر وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة في الأصل الجماعة من الحشيش والطعام والوثيمة الصخرة وبها سمي الرجل والله أعلم بالصواب والوثيمة أيضا الحجر الذي يقدح النار تقول العرب في أيمانها والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة العذق بفتح العين المهملة النخلة والجريمة النواة وأما الفارسي والفسوي فقد تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي علي الفارسي

النحوي وأرسلان البساسيري فأغنى عن الإعادة  وإذ
ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من
أخبارهما فإنها مستملحة  ( 294 ) كان مالك بن نويرة
المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك وللردافة
موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو
غيره من مواضع الأنس والموضع الثاني أنبل وهو أن
يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس
بعده  وهو الذي يضرب به المثل فيقال مرعى ولا
كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارسا
شاعرا مطاعا في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة
كبيرة وكان يقال له الجفول وقدم على النبي فيمن قدم
14 من العرب فأسلم فولاه النبي صدقة قومه  ولما
ارتدت العرب بعد موت النبي بمنع الزكاة كان مالك
المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله
عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ
زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك إني
آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد أما علمت أن الصلاة
والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى فقال مالك قد كان
صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد
هممت أن أضرب عنقك ثم تجاولا في الكلام طويلا فقال
له خالد إني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه
بعد تلك والله لأقتلنك  وكان عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما وأبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا فقال خالد لا أقالني الله إن أقلتك وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال مالك أنا على الإسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعرا كما تقدم ذكره فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار إلى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبي في جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم فكان يرثيه وقبض خالد امرأته فقيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهما يحضران النكاح فأبيا وقال له ابن عمر رضي الله عنه
15 تكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه وتذكر له أمرها فأبى وتزوجها فقال في ذلك أبو زهير السعدي ( ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك ) ( قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك ) ( فأمضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك ) ( وأصبح ذا أهل وأصبح مالك

* إلى غير شيء هالكا في الهوالك ) ( فمن لليتامى والأرامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك ) ( أصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو تحت الحوارك ) ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه إن خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ قال فإنه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله به إنه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما ( 295 ) وكان أخوه متمم بن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور كثير الانقطاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما فرغ من صلاته واستند في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد ( نعم القتيل إذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور ) ( أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر ) وأومأ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته
16 ( ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور ) ( لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر ) ثم بكى وانحط على سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام إليه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لأهش للصبا لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه لم ترث زيدا كما رثيت مالكا فقال إنه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد وقال له عمر رضي الله عنه يوما إنك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة ذات الأزيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم والأزيز بفتح الهمزة وزاءين الأولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصراد بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة غيم رقيق لا ماء فيه والثفال بفتح الثاء المثلثة والفاء وهو الجمل البطيء في سيره لا يكاد يمشي من ثقله والجرور بفتح الجيم على وزن فعول الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها

17 والمزادة الراوية وهي معروفة وقال له عمر رضي الله عنه يوما خبرنا عن أخيك قال يا أمير المؤمنين لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب فأخبر أخي فأقبل فلما طلع على الحاضر ما كان أحد قاعدا إلا قام على رجليه وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جملة حتى لقوه بي برمتي فحلني هو فقال عمر رضي الله عنه إن هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء المهملة الحبل البالي ومنه قولهم دفع إليه الشيء برمته أصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضي الله عنه أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب فجاءه الصريخ فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا فأدركهم أخي فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين فقال عمر رضي الله عنه قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله فيه المراثي النادرة فمن ذلك أبياته الكافية وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي ( لقد لامني عند القبور على البكا * رفيقي لتذراف الدموع السوافك ) ( فقال أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ) ( فقلت له إن الشجا يبعث الشجا * فدعني فهذا كله قبر

مالك ) وله فيه قصيدته العينية وهي طويلة بديعة ومن جملتها قوله
18 ( وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا ) ( وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا ) ( فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا ) ( 296 ) وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب إلى الوقوف على شيء من أخبار جذيمة المذكور ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الأزد الأزدي صاحب الحيرة وما والاها وهو الأبرش والوضاح وإنما قيل له ذلك لأنه كان أبرص فكانت العرب تهابه أن تنسبه إلى البرص فعرفته بأحد هذين الوصفين وهو من ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان من تيهه لا ينادم إلا الفرقدين وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث ابن مالك اللخمي ويقال له عمم لأنه أول من اعتم ابن نمارة بن لخم وبقية النسب معروف واسم الأخت المذكورة رقاش وكان جذيمة شديد المحبة له فاستهوته الجن وأقام زمانا يتطلبه فلم يجده فأقبل رجلان من بني القين يقال لأحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القين واسمه النعمان بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران

بن الحاف بن قضاعة وسمي القين بعبد كان له فحضنه فاشتهر به فصادفا عمرا في البرية وهو أشعث الرأس طويل الأظفار سيء الحال فعرفاه وحملاه إلى خاله جذيمة بعد أن لما شعثه وأصلحا حاله فقال لهما جذيمة من فرط سروره به احتكما علي فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما نديماه اللذان يضرب بهما المثل ويقال إنهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا عليه حديثا حدثاه به وإياهما عنى أبو خراش الهذلي بقوله في مرثية أخيه عروة ( تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل )

19 ( فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل ) ( ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * نديما صفاء مالك وعقيل ) هذه خلاصة حديثهم وإن كان فيه طول وإنما قصدت الإيجاز وذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه أن متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان به معجبا فقال يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولدا فإنكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها فطلقها ثم قال ( أقول لهند حين لم أرض عقلها * أهذا دلال العشق أم أنت فارك ) ( أم الصرم تهوين فكل مفارق * علي يسير بعد ما بان مالك ) فقال له عمر رضي الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على كل حال فلم يمض على هذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر رضي الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضي الله عنه

وبالجملة فإنه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى على ميته ما بكى متمم على أخيه مالك حكى الواقدي في كتاب الردة أن عمر رضي الله عنه قال لمتمم ما بلغ من حزنك على أخيك فقال له لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح ولا رأيت نارا رفعت بليل إلا ظننت نفسي ستخرج أذكر بها نار أخي كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه فمتى يرى النار يأوي إلى الرحل ولهو بالضيف يأتي مجتهدا أسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله عنه أكرم به وحكى الواقدي أيضا أنه قال له ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء قال كانت عيني هذه قد ذهبت وأشار إليها فبكيت بالصحيحة وأكثرت
20 البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع فقال عمر رضي الله عنه إن هذا لحزن شديد ما يحزن هكذا أحد على هالكه وقد ضربت الشعراء الأمثال بمالك وأخيه متمم في أشعارهم فمن ذلك قول ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة ( وفجعة بين مثل صرعة مالك * ويقبح بي أن لا أكون متمما ) ومنه قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي يرثي بها المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد وهو قوله ( حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما ) ومن ذلك أيضا قول بعضهم

وأظنه ابن منير المذكور في حرف الهمزة وهو أيضا من جملة أبيات ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف ابن الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقي ( أيا مالكي في القلب منك نويرة * وإنسان عيني في هواك متمم ) ومنه قول أبي الغنائم ابن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا فقال ( سقاه الحيا قبلي وجئت متمما * فلو مالك فيه دعيت متمما ) ومنه قول القاضي السعيد ابن سيناء الملك ( بكيت بكلتا مقلتي كأنني * أتمم ما قد فات عين متمم ) وهذا باب يطول شرحه وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الأولى منهما مشددة مكسورة وصدا في قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلاث لغات صدا بضم الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة 21
وصداء مثل الأول لكن الصاد مفتوحة والألف ممدودة فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صدءاء بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين والصاد مفتوحة وهي بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب نمير والله أعلم 770
البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء بن أدد ابن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن

يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور ولد بمنبج وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الأكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد إلى الشام وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم

22 قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي رأيت البحتري ها هنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب وأومأ إلى جنبي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان وعلوة التي شبب بها في كثير من أشعاره هي بنت زريقة الحلبية وزريقة أمها وحكى أبو بكر الصولي في كتابه الذي وضعه في أخبار أبي تمام الطائي أن البحتري كان يقول أول أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع لي إليهم وقال لي امتدحهم

فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وقال أبو عبادة المذكور أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها أني دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي أولها ( أألاق صب من هوى فأفيقا * أم خان عهدا أم أطاع شفيقا ) فأنشدته إياها فلما أتممتها سر بها وقال لي أحسن الله إليك يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا أعزك الله شعري علقه هذا الفتى فسبقني به إليك فتغير أبو سعيد وقال لي يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا ولا تحمل نفسك على هذا فقلت هذا شعري أعزك
23 الله فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتا فقال لي أبو سعيد نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا أدري ما أقول ونويت أن أسأل عن الرجل من هو فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي جنيت عليك فاحتمل أتدري من هذا فقلت لا قال هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام فقم إليه فقمت إليه فعانقته ثم أقبل علي يقرظني ويصف شعري وقال إنما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه وروى الصولي أيضا في كتابه المذكور أن أبا تمام راسل أم البحتري في التزوج بها فأجابته وقالت له اجمع الناس للإملاك فقال الله أجل من أن يذكر بيننا ولكن نتصافح ونتسافح وقيل للبحتري أيما أشعر أنت أم أبو تمام فقال جيده خير من جيدي

ورديئي خير من رديئه وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ويقال إنه قيل لأبي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحتري أم المتنبي فقال حكيمان والشاعر البحتري ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله ( والفتى البحتري يسرق ما قال * ابن أوس في المدح والتشبيب ) ( كل بيت له يجود معناه * فمعناه لابن أوس حبيب ) وقال البحتري أنشدت أبا تمام شيئا من شعري فأنشدني بيت أوس ابن حجر ( إذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم )

24 وقال نعيت إلي نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا فقال إن عمري ليس يطول وقد نشأ لطيء مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه وهو يتكلم فقال يا بني نعى نفسي إلي إحسانك في كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من هذا وقال البحتري أنشدت أبا تمام شعرا لي في بعض بني حميد وصلت به إلى مال له خطر فقال لي أحسنت أنت أمير الشعر بعدي فكان قوله هذا أحب إلي من جميع ما حويته وقال ميمون بن هارون رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل ( ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى إليك المنبر ) فرجعت إلى داري وأتيته

وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري فقال هاته فأنشدته ( ولو أن برد المصطفى إذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه ) ( وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه ) فقال ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث إلي سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك علي الجراية والكفاية ما دمت حيا وللمتنبي في هذا المعنى ( لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية إليك الأغصنا )

25 وسبقهما أبو تمام بقوله ( لو سعت بقعة لإعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الجديب ) والبيت الذي للبحتري من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان يمدح بها أبا الفضل جعفرا المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر وأولها ( أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر * وألام من كمد عليك وأعذر ) والأبيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي ( بالبر صمت وأنت أفضل صائم * وبسنة الله الرضية تفطر ) ( فانعم بيوم الفطر عينا إنه * يوم أغر من الزمان مشهر ) ( أظهرت عز الملك فيه بجحفل * لجب يحاط الدين فيه وينصر ) ( خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت * عددا يسير بها العديد الأكثر ) ( فالخيل تصهل والفوارس تدعي * والبيض تلمع والأسنة تزهر ) ( والأرض خاشعة تميد بثقلها * والجو معتكر الجوانب أغبر ) ( والشمس طالعة توقد في الضحى * طورا ويطفيها العجاج الأكدر ) (

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى * ذاك الدجى وانجاب
ذاك العثير ) ( فافتن فيك الناظرون فإصبع * يومى إليك
بها وعين تنظر ) ( يجدون رؤيتك التي فازوا بها * من
أنعم الله التي لا تكفر ) ( ذكروا بطلعتك النبي فهللوا * لما
طلعت من الصفوف وكبروا ) ( حتى انتهيت إلى المصلى
لابسا * نور الهدى يبدو عليك ويظهر ) ( ومشيت مشية
خاشع متواضع * لله لا يزهى ولا يتكبر ) ( فلو ان
مشتاقا تكلف غير ما * في وسعه لمشى إليك المنبر )
26 ( أيدت من فصل الخطاب بحكمة * تنبي عن
الحق المبين وتخبر ) ( ووقفت في برد النبي مذكرا *
بالله تنذر تارة وتبشر ) هذا القدر هو المقصود مما نحن
فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل
الممتنع فلله دره ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن
سبكه وألطف مقاصده وليس فيه من الحشو شيء بل
جميعه نخب وديوانه موجود وشعره سائر فلا حاجة إلى
الإكثار منه هاهنا لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف فمن
ذلك أنه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه أبو الفضل
الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر أخيه سليمان في
حرف السين ثم إن البحتري ندم على بيعه وتتبعته نفسه
فكان يعمل فيه الشعر ويذكر أنه خدع وأن بيعه لم يكن من
مراده فمن ذلك قوله ( أنسيم هل للدهر وعد صادق *
فيما يؤمله المحب الوامق ) ( ما لي فقدتك في المنام ولم
تزل * عون المشوق إذا جفاه الشائق ) ( أمنعت أنت من

الزيارة رقبة * منهم فهل منع الخيال الطارق ) ( اليوم جاز بي الهوى مقداره * في أهله وعلمت أني عاشق ) ( فليهنئ الحسن بن وهب أنه * يلقى أحبته ونحن نفارق ) وله فيه أشعار كثيرة ومن أخباره أنه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله فقصده البحتري من العراق فلما وصل إلى حلب قيل له إنه قد قعد في بيته لديون ركبته فاغتم البحتري لذلك غما شديدا وبعث المدحة إليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع داري فقال له أتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس فقال لا بد من بيعها فباعها

27 بثلثمائة دينار فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار وأنفذها إلى البحتري وكتب إليه معها رقعة فيها هذه الأبيات ( لو يكون الحباء حسب الذي أنت * لدينا به محل وأهل ) ( لحبيت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل ) ( والأديب الأريب يسمح بالعذر * إذا قصر الصديق المقل ) فلما وصلت الرقعة إلى البحتري رد الدنانير وكتب إليه ( بأبي أنت والله للبر أهل * والمساعي بعد وسعيك قبل ) ( والنوال القليل يكثر إن شاء * مرجيك والكثير يقل ) ( غير أني رددت برك إذ كان * ربا منك والربا لا يحل ) ( وإذا ما جزيت شعرا بشعر * قضي الحق والدنانير فضل ) فلما عادت الدنانير إليه حل

الصرة وضم إليها خمسين دينارا أخرى وحلف أنه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت إلى البحتري أنشأ يقول ( شكرتك إن الشكر للعبد نعمة * ومن يشكر المعروف فالله زائده ) ( لكل زمان واحد يقتدى به * وهذا زمان أنت لا شك واحده ) وكان البحتري كثيرا ما ينشد لشاعر أنسي اسمه ويعجبه قوله ( حمام الأراك ألا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا ) ( فقد شقت بالنوح منا القلوب * وأبكيت بالندب منا العيونا ) ( تعالي نقم مأتما للهموم * ونعول إخواننا الظاعنينا ) ( ونسعدكن وتسعدننا * فإن الحزين يواسي الحزينا ) ثم إني وجدت هذه الأبيات لنبهان الفقعسي من العرب وكان البحتري قد اجتاز بالموصل وقيل برأس عين ومرض بها مرضا
28 شديدا وكان الطبيب يختلف إليه ويداويه فوصف له يوما مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا وقد جاء يعوده فقال ذاك الرئيس هذا الغلام ما يحسن طبخها وعندي طباخ من صفته وصفته وبالغ في حسن صنعته فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس وقعد البحتري ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسي أمرها فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها إليه كتب إلى الرئيس ( وجدت وعدك زورا في مزورة * حلفت مجتهدا إحكام طاهيها ) ( فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها * ولا علت كف ملق كفه فيها ) ( فاحبس رسولك عني أن يجيء بها

* فقد حبست رسولي عن تقاضيها ) وأخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف وجمعه أيضا علي بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام وللبحتري أيضا كتاب حماسة على مثال حماسة أبي تمام وله كتاب معاني الشعر وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين والأول أصح والله أعلم وقال ابن الجوزي في كتاب أعمار الأعيان توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة والله أعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والأول أصح وقال الخطيب في تاريخ بغداد إنه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر ففعل

29 وأهل الأدب كثيرا ما يسألون عن قول أبي العلاء المعري ( وقال الوليد النبع ليس بمثمر * وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع ) فيقولون من هو الوليد المذكور وأين قال النبع ليس بمثمر ولقد سألني عنه جماعة كثيرة والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها ( وعيرتني سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما في فرعه ثمر ) وهذا البيت هو المشار إليه في بيت المعري وإنما ذكرت هذا لأنه فائدة تستفاد وعبيد الله وأخوه أبو عبادة ابنا يحيى بن الوليد البحتري اللذان

مدحهما المتنبي في قصائده هما حفيدا البحتري الشاعر المذكور وكانا رئيسين في زمانهما والبحتري بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء هذه النسبة إلى بحتر وهو أحد أجداده كما تقدم ذكره في عمود نسبه وزردفنة بفتح الزاي وسكون الراء وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهي بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه فعربت فقيل منبج ولكونها وطن البحتري كان يذكرها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو أبو جعفر محمد ابن حميد بن عبد الحميد الطوسي
30 ( لا أنسين زمنا لديك مهذبا * وظلال عيش كان عندك سجسج ) ( في نعمة أوطنتها وأقمت في * أفيائها فكأنني في منبج ) وكان البحتري مقيما بالعراق في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وله الحرمة التامة فلما قتلا كما هو مشهور في أمرهما رجع إلى منبج وكان يحتاج للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه ويخاطبه بالأمير لحاجته إليه ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك فقال قصيدة منها ( مضى جعفر والفتح بين مرمل * وبين صبيغ بالدماء مضرج ) ( أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي ) ( أولئك ساداتي الذين

بفضلهم * حلبت أفاويق الربيع المثجج ) ( مضوا أمما
قصدا وخلفت بعدهم * أخاطب بالتأمير والي منبج )
وذكر المسعودي في مروج الذهب أن هارون الرشيد
اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك بن صالح وكان أفصح
ولد العباس في عصره فنظر إلى قصر مشيد وبستان
معتمر بالأشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك
ولي بك يا أمير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال
دون منازل أهلي وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك
قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطأ قليلة الأدواء
قال فكيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام المسعودي (
297 ) وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد
الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه وكانت منبج إقطاعا له وكان مقيما
بها وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله
تعالى وله بلاغة وفصاحة أضربت عن ذكرها خوف
الإطالة وذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك باب
السقيا خمسة مواضع
31 ثم قال في آخر هذا الباب والخامس قرية على
باب منبج ذات بساتين وهي وقف على ولد البحتري
الشاعر وقد ذكرها أبو فراس ابن حمدان في شعره 771
الوليد بن طريف الشاري الوليد بن طريف بن الصلت بن
طارق بن سيحان بن عمرو بن فدوكس ابن عمرو بن
مالك الشيباني هكذا ذكره أبو سعد السعماني في كتاب

الأنساب في موضعين أحدهما في ترجمة الأراقم والآخر في ترجمة السيحاني بكسر السين المهملة الشاري أحد الشجعان الطغاة الأبطال كان رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هارون الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة فأرسل إليه هارون الرشيد جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يراعيه لأجل الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب

32 وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهي قليلة الوجود ولم أجد في مجاميع كتب الأدب إلا بعضها حتى إن أبا علي القالي لم يذكر منها في أماليه سوى أربعة أبيات فاتفق أني ظفرت بها كاملة فأثبتها لغرابتها مع حسنها وهي هذه ( بتل نهاكى رسم

قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف ) ( تضمن مجدا
عد مليا وسؤددا * وهمة مقدام ورأي حصيف ) ( فيا
شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تحزن على ابن
طريف ) ( فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال
إلا من قنا وسيوف ) ( ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم *
معاودة للكر بين صفوف ) ( كأنك لم تشهد هناك ولم تقم
* مقاما على الأعداء غير خفيف ) ( ولم تستلم يوما لورد
كريهة * من السرد في خضراء ذات رفيف ) ( ولم تسع
يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بأنوف )
( حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فإن مات لا
يرضى الندى بحليف ) ( فقدناك فقدان الشباب وليتنا *
فديناك من فتياننا بألوف )
33 ( وما زال حتى أزهق الموت نفسه * شجى
لعدو أو لجا لضعيف ) ( ألا يا لقومي للحمام وللبلى *
وللأرض همت بعده برجوف ) ( ألا يا لقومي للنوائب
والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف ) ( وللبدر من بين
الكواكب إذ هوى * وللشمس لما أزمعت بكسوف ) (
ولليث كل الليث إذ يحملونه * إلى حفرة ملحودة وسقيف )
( إلا قاتل الله الحشى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف
غير عيوف ) ( فإن يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب
زحوف لفها بزحوف ) ( عليه سلام الله وقفا فإنني * أرى
الموت وقاعا بكل شريف ) ولها فيه مرات كثيرة فمن
ذلك قولها فيه أيضا ( ذكرت الوليد وأيامه * إذ الأرض

من شخصه بلقع ) ( فأقبلت أطلبه في السماء * كما يبتغي أنفه الأجدع ) ( أضاعك قومك فليطلبوا * إفادة مثل الذي ضيعوا ) ( لو ان السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ما تصنع ) ( نبت عنك إذ جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع ) وكان الوليد يوم المصاف ينشد ( أنا الوليد بن طريف الشاري * قسورة لا يصطلى بناري ) ( جوركم أخرجني من داري * ) ويقال إنه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب

34 بالرمح فرسها وقال اغربي غرب الله عينك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء وتل نهاكى أظنه في بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة والخابور نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا يصب في الفرات وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه الكبار في عمارة بلادها وأسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه والشاري بفتح الشين المعجمة وبعد الألف راء وهو واحد الشراة وهم الخوارج وإنما سموا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة ( 297 ) والخنساء اسمها تماضر بضم التاء

المثناة من فوقها وفتح الميم وبعد الألف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء وهي ابنة عمرو بن الشريد السلمي والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة ولذلك قيل لها الخنساء لأنها كانت على هذه الصفة وأخبارها مع أخيها مشهورة في مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر في ترجمة أبي أحمد العسكري في حرف الحاء وقد اختلف في موضع قبره فقيل إنه مدفون عند عسيب وهو جبل مشهور ببلاد الروم وإن القبر الذي هناك ينسب إلى امرىء القيس بن حجر الكندي الشاعر المشهور ليس لامرىء القيس وإنما هو لصخر المذكور وقيل إن كل واحد من امرىء القيس وصخر مدفون هناك وقال الحافظ أبو بكر الحازمي المقدم ذكره في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه إن عسيبا جبل حجازي ودفن عنده صخر أخو الخنساء فعلى هذا يكون عسيب اسما لجبلين أحدهما بالروم وهو الأشهر والآخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت الحموي أن يذكره في كتابه الذي وضعه في البلاد المشتركة الأسماء ولم أجده ذكره فيه والله أعلم

35 772 وهب بن منبه أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني صاحب الأخبار والقصص وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وسير الملوك وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه كان يقول قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك

المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة وكان له إخوة منهم همام بن منبه كان أكبر من وهب وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو معدود من جملة الأبناء ومعنى قولهم فلان من الأبناء أن أبا مرة سيف بن ذي يزن الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم وقصته في ذلك مشهورة وخبره طويل وخلاصة الأمر أنه سير معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس جعل مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبة وقال محمد بن إسحاق لم يسير معه

36 سوى ثمانمائة فارس فغرق منهم في البحر مائتان وسلم ستمائة قال أبو القاسم السهيلي والقول الأول أشبه بالصواب إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس فلما وصل الجيش إلى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم من البلاد وملك سيف ابن ذي يزن ووهرز وأقاموا أربع سنين وكان سيف بن ذي يزن قد اتخذ من أولئك الحبشة خدما فخلوا به يوما وهو في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا في رؤوس الجبال وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الأمر باليمن ولم يملكوا عليهم أحدا غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلا من حمير فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام ويقال إنها بقيت في أيدي الفرس ونواب

كسرى فيها وبعث رسول الله وباليمن من قواد أبرويز عاملان أحدهما فيروز الديلمي والآخر داذويه وأسلما وهما اللذان دخلا على الأسود العنسي مع قيس بن المكشوح لما ادعى الأسود النبوة باليمن وقتلوه والقصة في ذلك مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها والمقصود من هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ورزقوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الأبناء لأنهم من أبناء أولئك الفرس وكان طاوس العالم المقدم ذكره منهم أيضا وقد أومأت إلى ذلك في ترجمته ولم أشرحه كما فعلت هاهنا وأخبار وهب شهيرة فلا حاجة إلى ذكر شيء منها ويكفي في هذا الموضع ذكر هذه الفائدة وتوفي وهب المذكور في المحرم سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة رضي الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء في ترجمة عبد الرزاق الصنعاني وفي هذه الترجمة أسماء أعجمية لو قيدتها لطال الشرح وهي مشهورة فتركها لذلك

37 773 أبو البختري أبو البختري وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي المدني حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر ابن محمد الصادق وغيرهم وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وأبو القاسم ابن سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث مشهورا

بوضعه انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد وقد تقدم الكلام على هذا الموضع في ترجمة الواقدي في حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول بعد بكار بن عبد الله الزبيري وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم الحنفي أنه كان قاضي القضاة في بغداد فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن وهب القرشي وكان فقيها أخباريا ناسبا جوادا سريا سخيا يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان إذا أعطى قليلا أو كثيرا أتبعه عذرا إلى صاحبه وكان يتهلل عند طلب الحاجة إليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذي قضيت حاجته وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المقدم ذكره قد تزوج بأمه بالمدينة وله

38 عنه روايات وأسانيد واسم أمه عبدة بنت علي بن يزيد بن بركة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت عقيل بن أبي طالب وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وبالغ في تقريظه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فأنشده ( إذا افتر وهب خلته برق عارض * تبعق في الأرضين أسعده السكب ) ( وما ضر وهبا ذم من خالف الملا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب ) ( لكل أناس من أبيهم ذخيرة * وذخر بني فهر عقيد

الندى وهب ) قال فاستهل أبو البختري ضاحكا وسر سرورا شديدا ثم دعا عونا له فأسر إليه شيئا فأتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها إليه وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة أبي دلف العجلي قال أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال فقال المبرد لابن أبي البختري أعرف لجدك قصة طريفة من الكرم حسنة لم يسبق إليها فقال وما هي قال دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم ( نبيذان في مجلس واحد * لإيثار مثر على مقتر ) ( فلو كان فعلك ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر ) ( ولو كنت تطلب شأو الكرام * صنعت صنيع أبي البختري ) ( تتبع إخوانه في البلاد * فأغنى المقل عن المكثر )

39 فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلثماثة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل جد هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض في الجند فقال ( إليك عني فقد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدار عين قف ) ( أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف ) ( تمشي المنايا إلى غيري

فأكرهها * فكيف أمشي إليها بارز الكتف ) ( حسبت أن
نزال القرن من خلقي * أو أن قلبي في جنبي أبي دلف )
فأحضره أبو دلف ثم قال كم أملت امرأتك أن يكون رزقك
قال مائة دينار قال وكم أملت أن تعيش قال عشرين سنة
قال فذلك على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان
وأمر بإعطائه إياه قال فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل
وانكسر ابن أبي البختري انكسارا شديدا انتهى كلام
صاحب الأغاني في هذا الفصل وقد سبق في ترجمة أبي
دلف القاسم ابن عيسى العجلي ذكر هذه الأبيات وقائلها
وصورة الحال وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير (
298 ) وأما الأبيات الأولى التي في أبي البختري فهي
لأبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عطية
العطوي الشاعر المشهور ونسبته بالعطوي إلى جده عطية
المذكور وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن
عبد مناة بن كنانة وكان معتزليا وله ديوان شعر وروى
الخطيب أيضا في تاريخه أن أبا البختري قال لأن أكون
في قوم أعلم مني أحب إلي من أكون في قوم أنا أعلم منهم
لأني إن كنت أعلمهم لم أستفد وإن كنت مع من هم أعلم
مني استفدت وروى أيضا في تاريخه أن هارون الرشيد
لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر
40 رسول الله في قباء ومنطقة فقال أبو البختري
حدثني جعفر بن محمد يعني جعفر الصادق عن أبيه قال
نزل جبريل على النبي وعليه قباء ومنطقة مخنجرا بخنجر

فقال المعافى التميمي ( ويل وغول لأبي البختري * إذا
توافى الناس للمحشر ) ( من قوله الزور وإعلانه *
بالكذب في الناس على جعفر ) ( والله ما جالسه ساعة *
للفقه في بدو ولا محضر ) ( ولا رآه الناس في دهره *
يمر بين القبر والمنبر ) ( ياقاتل الله ابن وهب لقد * أعلن
بالزور وبالمنكر ) ( يزعم أن المصطفى أحمدا * أتاه
جبريل التقي البري ) ( عليه خف وقبا أسود * مخنجرا
في الحقو بالخنجر ) وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن
معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر
الصادق فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله قال
فأخذني الشرط فقلت لهم هذا يزعم أن رسول رب العالمين
جبريل نزل على رسول الله وعليه قباء قال فقالوا لي هذا
والله قاض كذاب وأفرجوا عني وقال ابن قتيبة في كتاب
المعارف وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال
الخطيب في تاريخه قال إبراهيم الحربي قيل لأحمد بن
حنبل تعلم أحدا روى لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح
فقال ما روى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البختري وله من
التصانيف كتاب الروايات كتاب طسم وجديس كتاب
41 صفة النبي كتاب فضائل الأنصار كتاب
الفضائل الكبير ويحتوي على جميع الفضائل كتاب نسب
ولد إسماعيل عليه السلام ويحتوي على قطعة من
الأحاديث والقصص وأخباره ومحاسنه كثيرة وتوفي سنة
مائتين للهجرة ببغداد في خلافة المأمون رحمه الله تعالى

وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين عقد له أولا ترجمة وتكلم على حاله ثم ذكره في ثلاثة أسماء في نسق أبو البحتري وهب بن وهب بن وهب وعد معه في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفي الطالبيين حسن بن حسن ابن حسن وفي غسان الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد وقد سبق ذكره في المحمدين وأبو البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر المقدم ذكره وزمعة بفتح الزاي والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي في الأصل اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف وبها سمي الرجل وقد تقدم الكلام على الأسدي والمدني قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي إلحاقها بها وهي أن أبا البختري المذكور قال كنت أدخل على هارون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه فكنت أدمن النظر إليه عند دخولي وخروجي فقال له بعض ندمائه ما أرى أبا البختري إلا يحب رؤوس الحملان ففطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال أراك تدمن النظر إلى أبي القاسم تريد أن تجعل انقطاعك إليه قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في وأما إدماني

42 النظر إليه فلأن جعفرا الصادق رضي الله تعالى
عنه روى بإسناده عن آبائه إلى رسول الله ثلاث يزدن في
قوة النظر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى
الوجه الحسن نقلتها من خط القاضي كمال الدين ابن العديم
من مسودة تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب
43 حرف الهاء
44 @44@
45 774 ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة
الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن
الشجري البغدادي كان إماما في النحو واللغة وأشعار
العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من
الآداب صنف فيها عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي
وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين
مجلسا وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه
بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي
تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما
سنح له وهو من الكتب الممتعة ولما فرغ من إملائه حضر
إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره
والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه إلى ذلك فعاداه ورد
عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ فوقف
أبو السعادات المذكور على ذلك الرد فرد عليه في رده
وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا سماه الانتصار وهو على
صغر حجمه مفيد جدا وسمعه عليه الناس وجمع أيضا

كتابا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي
وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه وله في النحو عدة
تصانيف وله ما اتفق لفظه واختلف معناه وشرح اللمع
لابن جني وشرح التصريف الملوكي

46 وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحا جيد
البيان والتفهيم وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ
المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار ابن
أحمد بن القاسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد بن
نبهان الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ أبو سعد ابن
السمعاني في كتاب الذيل وقال اجتمعنا في دار الوزير أبي
القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءاتي عليه الحديث
وعلقت عنه شيئا من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه
وقرأت عليه جزءا من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي
وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي
المقدم ذكره في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء أن العلامة
أبا القاسم محمود الزمخشري المقدم ذكره لما قدم بغداد
قاصدا الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي
السعادات ابن الشجري ومضينا معه إليه فلما اجتمع به
أنشده قول المتنبي ( واستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما
التقينا صغر الخبر الخبر ) ثم أنشده بعد ذلك ( كانت
مساءلة الركبان تخبرنا * عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
) ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأحسن مما قد

رأى بصري ) وهذا البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان
47 إلى أبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي وقد تقدم ذكره أيضا وينسبان إلى غيره أيضا والله أعلم قال ابن الأنباري فقال العلامة الزمخشري روي عن النبي أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي غيرك قال ابن الأنباري فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل عجمي وهذا الكلام وإن لم يكن عين كلام ابن الأنباري فهو في معناه لأني لم أنقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنباري فيجد بين الكلامين اختلافا فيظن أني تسامحت في النقل وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير وأولها ( هذي السديرة والغدير الطافح * فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح ) ( يا سدرة الوادي الذي إن ضله الساري * هداه نشره المتفاوح ) ( هل عائد قبل الممات لمغرم * عيش تقضى في ظلالك صالح ) ( ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة * لما دعا مصغي الصبابة طامح ) ( شط المزار به وبوئ منزلا * بصميم قلبك فهو دان نازح ) (

غصن يعطفه النسيم وفوقه * قمر يحف به ظلام جانح )
( وإذا العيون تساهمته لحاظها * لم يرو منه الناظر
المتراوح ) ( ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مراتع للمها
ومسارح )
48 ( ظللنا به نبكي فكم من مضمر * وجدا أذاع
هواه دمع سافح ) ( مرت الشؤون رسومها فكأنما * تلك
العراص المقفرات نواضح ) ( يا صاحبي تأملا حييتما *
وسقى دياركما الملث الرائح ) ( أدمى بدت لعيوننا أم
ربرب * أم خرد أكفالهن رواجح ) ( أم هذه مقل الصوار
رنت لنا * خلل البراقع أم قنا وصفائح ) ( لم يبق جارحة
وقد واجهننا * إلا وهن لها بهن جوارح ) ( كيف ارتجاع
القلب من أسر الهوى * ومن الشقاوة أن يراض القارح )
( لو بله من ماء ضارج شربة * ما أثرت للوجد فيه لواقح
) ومن هاهنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف
الإطالة ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه ليستدل
به على طريقه فيه ومن شعره أيضا ( هل الوجد خاف
والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود ) (
وحتى متى تفني شؤونك بالبكا * وقد حد حدا للبكاء لبيد )
( وإني وإن جفت قناتي كبرة * لذو مرة في النائبات جليد
) وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري ( تمنى
ابنتاي أن يعيش أبوهما * وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
) ( فقوما فنوحا بالذي تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا

تحلقا شعر ) ( وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أضاع
ولا خان العهود ولا غدر )
49 ( إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك
حولا كاملا فقد اعتذر ) وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي
بقوله ( ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم * ثم ارعويت
وذاك حكم لبيد ) وقال الشريف أبو السعادات المذكور
أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي قلت قد تقدم ذكره
لنفسه ( إذا لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
) ( وإن لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا )
( هما سببان من ملك ونسك * ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
) ( فمن يقنع من الدنيا بشيء * سوى هذين عاش بها
وضيعا ) وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي
محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن جكينا البغدادي
الحريمي الشاعر المشهور وهو المذكور في ترجمة أبي
محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات تنافس
جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره
عمل فيه قوله ( يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض
يصدا به الفكر ) ( مالك من جدك النبي سوى * أنك ما
ينبغي لك الشعر ) وشعره وماجراياته كثيرة والاختصار
أولى
50 وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين
وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من
شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من

الغد في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجري بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وشجرة أيضا اسم رجل وقد سمت به العرب ومن بعدها وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل نسبته إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة والله أعلم وقد تقدم الكلام على الكرخ في ترجمة معروف الكرخي رضي الله عنه فأغنى عن إعادته 775 البديع الاسطرلابي أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل أحمد المنعوت بالبديع الأسطرلابي الشاعر المشهور أحد الأدباء الفضلاء كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل له من جهة عملها مال جزيل في خلافة الإمام المسترشد ولما مات لم يخلفه في شغله مثله وقد ذكره أبو المعالي الحظيري في كتابه الذي سماه زينة الدهر وذكره العماد الأصبهاني في كتاب
الخريدة وكل منهما أثنى عليه وأورد عدة 51
مقاطيع من شعره فمن ذلك قوله ( أهدي لمجلسه الكريم وإنما * أهدي له ما حزت من نعمائه ) ( كالبحر يمطره السحاب وما له * فضل عليه لأنه من مائه ) وهذان البيتان من أسير شعره وقد قيل إنهما لغيره وله أيضا ( أذاقني حمرة المنايا * لما اكتسى خضرة العذار ) ( وقد تبدى السواد فيه * وكارتي بعد في العيار ) هكذا وجدت

هذين البيتين في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الحظيري منسوبين إلى البديع المذكور ورأيت في موضع آخر أنهما لأبي محمد ابن جكينا المذكور في ترجمة الشريف أبي السعادات ابن الشجري والله أعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة فإنهم يقولون كارتي في العيار بمعنى أنه ناشب معه لم يتخلص منه والكارة عندهم في الدقيق بمثابة الجملة في ديار مصر ومن شعره ( قال قوم عشقته أمرد الخد * وقد قيل إنه نكريش ) ( قلت فرخ الطاوس أحسن ما كان * إذا ما علا عليه الريش ) قوله نكريش لفظة عجمية والأصل فيها نيك ريش معناها لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم أنهم يقدمون ويؤخرون في ألفاظهم المركبة فنيك جيد وريش لحية وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره وكان قد جمعه

52 ودونه واختار ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة وأحد وأربعين بابا وجعل كل باب في فن من فنون شعره وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا في جميع حركاته وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد رحمه الله تعالى والأسطرلابي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة هذه النسبة إلى الأسطرلاب وهو الآلة المعروفة

قال كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته التي وضعها في علم الأسطرلاب إن الأسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ يقول إن لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال أسطر الشمس إشارة إلى الخطوط التي فيه وقيل إن أول من وضعه بطليموس صاحب المجسطي وكان سبب وضعه له أنه كان معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على هيئة الأسطرلاب وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون أن هذه الصورة لا ترسم إلا في جسم كري على هيئة الأفلاك فلما رآه بطليموس على تلك الصورة علم أنه يرتسم في السطح ويكون نصف دائرة ويحصل منه ما يحصل من الكرة فوضع الأسطرلاب ولم يسبق إليه وما اهتدى أحد من المتقدمين إلى أن هذا القدر يتأتى في الخط ولم يزل الأمر مستمرا على استعمال الكرة والأسطرلاب إلى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين ابن يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه في فن الرياضة أن يضع المقصود من الكرة والأسطرلاب في خط فوضعه وسماه العصا وعمل له رسالة بديعة وكان قد أخطأ في بعض هذا الوضع فأصلحه الشيخ كمال الدين المذكور

53 وهذبه والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود ولم يكن أحد من القدماء يعرفه فصارت الهيئة توجد في

الكرة التي هي جسم لأنها تشتمل على الطول والعرض والعمق وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق وتوجد في الخط الذي هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة ولا يتصور أن يعمل فيها شيء لأنها ليست جسما ولا سطحا ولا خطا بل هي طرف الخط كما أن الخط طرف السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لا تتجزأ فلا يتصور أن يرتسم فيها شيء وهذا وإن كان خروجا عما نحن بصدده لكنه أيضا فائدة والاطلاع عليه أولى من إهماله وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم 776 ابن القطان البغدادي أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي ابن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادي قد سبق شيء من شعره وطرف من خبره في ترجمة حيص بيص في حرف السين وفي ترجمة ابن السوادى في أواخر حرف العين وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ وسمع

54 عليه وكان غاية في الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة وله ديوان شعر وقد ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب الذيل فقال شاعر مجود مليح الشعر رقيق الطبع إلا أن الغالب عليه

الهجاء وهو ممن يتقى لسانه ثلاب ثم قال كتبت عنه
حديثين لا غير وعلقت عنه مقطعات من شعره ( 299 )
وذكر الحافظ السلفي أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز
وقال إن بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال سنة
ثماني عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب
وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي مات يوم الأربعاء
ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان
وتسعين وأربعمائة بمقبرة معروف الكرخي رضي الله
عنه وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة أبا
القاسم المذكور فقال وكان مجمعا على ظرفه ولطفه وله
ديوان شعر أكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الأعيان
وثلبهم ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره وأخبرني
بعض المشايخ أنه رآه وقال كنت يومئذ صبيا فلم آخذ عنه
شيئا لكنني رأيته قاعدا على طرف دكان عطار ببغداد
والناس يقولون هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من
جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني
وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون الأمين وأبو عبد
الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن
عثمان الكرخي وغيرهم وله مع حيص بيص ماجرايات
فمن ذلك أن الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير
شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه
جرو كلب

55 وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ
ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض
العرب قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف
من يده وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان في الباب
الأول من كتاب الحماسة ثم إن ابن الفضل المذكور عمل
الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجر ورتب
معها من طردها وأولادها إلى باب دار الوزير كالمستغيثة
فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فإذا فيها
( يا أهل بغداد إن الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته
الخزي في البلد ) ( هو الجبان الذي أبدى تشاجعه * على
جري ضعيف البطش والجلد ) ( وليس في يده مال يديه
به * ولم يكن بيواء عنه في القود ) ( فأنشدت جعدة من
بعدما احتسبت * دم الأبيلق عند الواحد الصمد ) ( أقول
للنفس تأساء وتعزية * إحدى يدي أصابتني ولم ترد ) (
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا
ولدي ) والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم ( قوم إذا
ما جنى جانيهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا )
وهو من جملة أبيات في الكراس الذي أوله لقي بشار
وينظر في الحماسة وهذا التضمين في غاية الحسن ولم
أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء
56 التضمين في أشعارهم إلا ما أنشدني الشيخ
مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي
المذكور في ترجمة الشيخ تاج الدين الكندي في حرف

الزاي لنفسه وأخبرني أنه كان بدمشق وقدم رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفا عنه في الباقي فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه وستره وهو ( زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما ضربا ) ( فلم أر النصف محلوقا فعدت له * مهنئا بالذي منها له وهبا ) ( فقام ينشدني والدمع يخنقه * بيتين ما نظما مينا ولا كذبا ) ( إذا أتتك لحلق الذقن طائفة * فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا ) ( وإن أتوك وقالوا إنها نصف * فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا ) والبيتان الأخيران منها في كتاب الحماسة أيضا في باب مذمة النساء لكن الأول منهما فيه تغيير فإن بيت الحماسة ( لا تنكحن عجوزا إن أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا ) وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير في شهر رمضان فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولانا هذا الرجل يؤذيني فقال الوزير كيف ذلك قال لأنه يشير إلى قول الشاعر ( تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت ) وكان الحيص تميميا كما تقدم في ترجمته وهذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر وهو من جملة أبيات وبعد هذا البيت

57 ( أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * خلال المخازي عن تميم تجلت ) ( ولو أن برغوثا على ظهر

قملة * يكر على صفي تميم لولت ) ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبي وعنده الحيص فقال قد عملت بيتين ولا يمكن أن يعمل لهما ثالث لأنني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فأنشده ( زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل ) ( ما زارني قط إلا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل ) فالتفت الوزير إلى الحيص وقال له ما تقول في دعواه فقال إن أعادهما سمع الوزير لهما ثالثا فقال له الوزير أعدهما فأعادهما فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد ( وما درى أن نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل ) فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم أتحقق أنها له حتى أعينه وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه وهو ( ياضرة القمرين من لمتيم * أرديته وأحلت ذاك على القضا ) ( وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا ) ( لا تأسفي إن زار طيفك في الكرى * ما كان إلا مثل شخصك معرضا ) ثم وجدت هذه الأبيات لأبي العلاء بن أبي الندى المعروف ولما هجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها

58 في ترجمة ابن السوادي ولولا طولها لذكرتها سير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب إلى مجد الدين ابن الصاحب أستاذ الدار الخليفتية ( إليك أظل مجد الدين أشكو * بلاء حل لست له

مطيقا ) ( وقوما بلغوا عني محالا * إلى قاضي القضاة
الندب سيقا ) ( فأحضرني بباب الحكم خصم * غليظ
جرني كما وزيقا ) ( وأخفق نعله بالصفع رأسي * إلى أن
أوجس القلب الخفوقا ) ( على الخصم الأداء وقد صفعنا
* إلى أن ما تهدينا الطريقا ) ( فيا مولاي هب ذا الإفك
حقا * أيحبس بعد ما استوفى الحقوقا ) ولما خرج من
الحبس أنشد ( عند الذي طرف بي أنه * قد غض من
قدري وآذاني ) ( فالحبس ما غير لي خاطرا * والصفع
ما لين آذاني ) وقد سبق في ترجمة الحيص أبياته الميمية
في هجوه وجواب الحيص عنها ولما ولي الزينبي
المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس
محتفل بأعيان الرؤساء وقد اجتمعوا للهناء فوقف بين يديه
ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير
لبعض من يفضي إليه بسره قبح الله هذا الشيخ فإنه يشير
برقصه إلى ما تقول العامة في أمثالها ارقص للقرد في
زمانه وقد نظم هذا المعنى في أبيات وكتبها إلى بعض
الرؤساء وهي ( يا كمال الدين الذي * هو شخص
مشخص ) ( والرئيس الذي به * ذنب دهري يمحص ) (
خذ حديثي فإنه * نبأ سوف يرخص )
59 ( كلما قلت قد تبغدد * قومي تحمصصوا ) (
ليس إلا ستر يشال * وباب مجصص ) ( وغواش على
الرءوس * عليها المقرنص ) ( والرواشين والمناظر *
والخيل ترقص ) ( وأنا القرد كل يوم * لكلب أبصبص )

( كل من صفق الزمان * له قمت أرقص ) ( محن لا يفيد ذا النون * منها التبرصص ) ( فمتى أسمع النداء * وقد جا مخلص ) ومثل هذا قول بعضهم ( إذا رأيت امرءا وضيعا * قد رفع الدهر من مكانه ) ( فكن له سامعا مطيعا * معظما من عظيم شانه ) ( فقد سمعنا بأن كسرى * قد قال يوما لترجمانه ) ( إذا زمان السباع ولى * فارقص للقرد في زمانه ) وحكي أنه دخل مرة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة لم يكن من أهلها فسلم عليه ودعا له وهنأه بالولاية وأظهر الفرح والسرور ثم خرج فقال بعض الحاضرين هذا يشير إلى قول الناس في أمثالهم ارقص للقرد في زمانه ولـه القصيدة الرائية المشهورة التي جمع فيها خلقا من الأكابر ونبز كل واحد منهم بشيء وفيها يقول

60 ( تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا * نمضي لنأخذ ترمذا من سنجر ) ومنها البيت السائر وهو ( نسب إلى العباس ليس شبيهه * في الضعف غير الباقلاء الأخضر ) وأنشدني له بعض أصحابنا المتأدبين قوله ( سعى إحسانه بيني * وبين الدهر بالصلح ) ( أياد ملأت بيتي * على بيت من المدح ) ودخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الأشراف وكان ينسب إلى البخل وكان في شهر رمضان والحر شديد فقال له الوزير أين كنت فقال في مطبخ سيدي النقيب فقال له ويحك أيش عملت في شهر رمضان في المطبخ فقال وحياة مولانا كسرت الحر فتبسم

الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب  وهذا الكلام
على اصطلاح أهل تلك البلاد فإنهم يقولون كسرت الحر
في الموضع الفلاني إذا اختار موضعا باردا يقيل فيه
وقصد دار بعض الأكابر في بعض الأيام فلم يؤذن له في
الدخول فعز عليه فأخرجوا من الدار طعاما وأطعموه
كلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس
لعن الله شجرة لا تظل أهلها  وقعد يوما مع زوجته يأكل
طعاما فقال لها اكشفي رأسك ففعلت وقرأ ( ^ قل هو الله
أحد ) الإخلاص 1 فقالت له ما الخبر فقال إن المرأة إذا
كشفت رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام وإذا قرئ (
^ قل هو الله أحد ) هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على
المائدة  وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة سبع وسبعين
وأربعمائة وقال السمعاني سألته عن مولده فقال ولدت
ضاحي نهار يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة ثمان
وسبعين  وتوفي يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان
سنة ثمان وخمسين
61 وخمسمائة ببغداد ودفن بمقبرة معروف الكرخي
رحمه الله تعالى وقال السمعاني توفي يوم عيد الفطر والله
أعلم  ولولا إيثار الاختصار لذكرت من أحواله
ومضحكاته شيئا كثيرا فإنه كان آية في هذا الباب  وقوله
في الأبيات الدالية ( ولم يكن ببواء عنه في القود * )
فالبواء بفتح الباء الموحدة وبعدها الواو والهمزة ممدودة
ومعناها السواء يقال دم فلان بواء لدم فلان إذا كان مكافئا

له وجعدة المذكورة في هذه الأبيات أيضا بفتح الجيم والدال المهملة وبينهما عين مهملة ساكنة وفي الأخير هاء ساكنة وهو اسم من أسماء الكلبة هكذا سمعته ولم أره في شيء من كتب اللغة بل الذي قاله أرباب اللغة إن أبا جعدة كنية الذئب وجعدة اسم النعجة كني الذئب بها لمحبته إياها والله أعلم والمتوثي بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى متوث وهي بلدة بين قرقوب وكورة الأهواز 777 ابن سناء الملك القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي الشاعر المشهور المصري صاحب الديوان الشعر البديع والنظم الرائق أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا أخذ الحديث عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى

62 واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان وهي تسمية لطيفة وله كتاب مصايد الشوارد وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز وجمع شيئا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل وفيه كل معنى مليح واتفق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين وكان لهم مجالس يجري بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق سماعها ودخل في

ذلك الوقت إلى مصر شرف الدين ابن عنين المقدم ذكره في المحمدين فاحتفلوا به وعملوا له دعوات وكانوا يجتمعون على أرغد عيش وكانوا يقولون هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم ولولا خشية التطويل لذكرت بعضها ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى وهما ( ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد ) ( ومن قال إن الخيزرانة قدها * فقولوا له إياك أن يسمع القد ) ومن شعره ايضا ( لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر * حسنك مما كثروا أكثر ) ( يا باسما أبدى لنا ثغره * عقدا ولكن كله جوهر ) ( قال لي اللاحي أما تسمع * فقلت يا لاحي أما تبصر ) وله يتغزل بجارية عمياء

63 ( شمس بغير الشعر لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف ) ( مغمدة المرهف لكنها * تجرح بالجفن بلا مرهف ) ( رأيت منها الخلد في جؤذر * ومقلتي يعقوب في يوسف ) وله في غلام ضرب ثم حبس ( بنفسي من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن ) ( ولم يودعوه السجن إلا مخافة * من العين أن تعدو على ذلك الحسن ) ( وقالوا له شاركت في الحسن يوسفا * فشاركه أيضا في الدخول إلى السجن ) وله في غلام جميل الصورة حفر حومة التلاق فأصابه حجر فانكسرت أسنانه فقال ( نثر الدهر عقد ثغر حبيبي

* فدموعي عليه تحكي انتثاره ) ( كل سن كالأقحوانة
كانت * فغدت بالدماء كالجلناره ) ( كان في حومة التلاق
وما كان * بعيدا في جملة النظارة ) ( فأتته الأحجار شوقا
وزارته * فلا مرحبا بتلك الزيارة ) ( كيف ينسى الفؤاد
ثغر حبيب * حسدتني عليه تلك الحجارة ) وله من جملة
أبيات ( وما كان تركي حبه عن ملالة * ولكن لأمر
يوجب القول بالترك ) ( أراد شريكا في الذي كان بيننا *
وإيمان قلبي قد نهاني عن الشرك )
64 وله أيضا ( يا عاطل الجيد إلا من محاسنه *
عطلت فيك الحشا إلا من الحزن ) ( في سلك جسمي در
الدمع منتظم * فهل لجيدك في عقد بلا ثمن ) ( لا تخش
منى فإني كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشي على
الغصن ) وهذا البيت مأخوذ من قول ابن قلاقس وقد تقدم
ذكره في ترجمته وهو ( أعندما همت به روضة * أعل
جسمي لأكون النسيم ) ومن نثره في وصف النيل في سنة
كان ناقصا ولم يوف الزيادة التي جرت بها العادة يقال إنه
كتبه من جملة رسالة إلى القاضي الفاضل وهو وأما أمر
الماء فإنه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود
لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء
وهذا من أحسن ما يوصف به نقصان النيل وكان بمصر
شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب
فبلغ القاضي السعيد المذكور عنه أنه هجاه فأحضره إليه
وأدبه وشتمه وكتب إليه نشو الملك أبو الحسن علي بن

مفرج المعري الأصل المصري الدار والوفاة المعروف بابن المنجم الشاعر المعروف ( قل للسعيد أدام الله نعمته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه ) ( صفعته إذ غدا يهجوك منتقما * فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه ) ( هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع ما يقتضيه بل يحرمه )
65 ( فإن تقل ما لهجو عنده ألم * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه ) ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين المقدم ذكره في حرف التاء بقصيدته التي أولها ( تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم ) تعصب عليه جماعة من شعراء مصر وعابوا هذا الاستفتاح وهجنوه فكتب إليه ابن الذروي الشاعر المذكور في ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ ( قل للسعيد مقال من هو معجب * منه بكل بديعة ما أعجبا ) ( لقصيدك الفضل المبين وإنما * شعراؤنا جهلوا به المستغربا ) ( عابوا التقنع بالحبيب ولو رأى * الطائي ما قد حكته لتعصبا ) ونوادر القاضي السعيد كثيرة وتوفي في العشر الأول من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة وذكر صاحبنا الكمال ابن الشعار في عقود الجمان أنه توفي يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور رحمه الله تعالى وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذي القعدة سنة سبعين يعني

وخمسمائة فأطلعني على قصيدة له كتبها إليه من مصر وذكر أن سنه لم يبلغ إلى عشرين سنة فأعجبت بنظمه ثم ذكر القصيدة العينية التي أولها ( فراق قضى للهم والقلب بالجمع * وهجر تولى صلح عيني مع الدمع ) وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسمائة وقيل
66 إنه ولد سنة ثمان وأربعين والله أعلم ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة ثم وصل يعني القاضي السعيد المذكور إلى الشام في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة في الخدمة الفاضلية فوجدته في الذكاء آية قد أحرز في صناعة النظم والنثر غاية تلقى عرابة العربية له باليمين راية وقد ألحفه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولا وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا وأنا أرجو أن ترقى في الصناعة رتبته وتغزر عند تمادي أيامه في العلم نغبته وتصفو من الصبا منقبته وتروى بماء الدربة رويته وتستكثر فوائده وتؤثر قلائده ( 300 ) وتوفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن أنه توفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة والله أعلم ( 301 ) وأما أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الشاعر المصري المذكور في هذه الترجمة فإن عماد الدين الأصبهاني ذكره في كتاب

الخريدة وقال عدت إلى مصر في سنة ست وتسعين وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته رحمه الله تعالى

67 778 هبة الله البوصيري أبو القاسم وأبو الكرم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب بن ثابت الأنصاري الخزرجي المنستيري الأصل المصري المولد والدار المعروف بالبوصيري كان أديبا كاتبا له سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الأصاغر بالأكابر في علو الإسناد ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله وسمع بقراءة الحافظ أبي الطاهر السلفي وإبراهيم بن حاتم الأسدي على أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني إمام الجامع العتيق بمصر رحمهم الله تعالى أجمعين والبوصيري المذكور آخر من روى في الدنيا كلها عن أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني المذكور وأبي الحسين علي بن الحسين ابن عمر الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيدي النحوي سماعا وروى أيضا عن أبي الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي وهو آخر من روى عنه سماعا في الأرض كلها وسمع عليه الناس وأكثروا ورحلوا إليه من البلاد وكان جده مسعود قدم من المنستير إلى بوصير فأقام بها إلى أن عرف فضله في دولة المصريين فطلب إلى مصر وكتب في ديوان الإنشاء وولد له علي والد أبي القاسم المذكور بمصر واستقروا بها وشهروا وكان أبو القاسم يسمى سيد الأهل أيضا لكن هبة

الله أشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذي القعدة سنة خمسمائة وتوفي في الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

68 ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى وقال ياقوت الحموي في كتاب البلدان المشتركة الأسماء إنه مات في شوال رحمه الله تعالى والخزرجي بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها جيم هذه النسبة إلى الخزرج وهو أخو الأوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وتمام النسب معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ومن ذريتهما أنصار النبي بالمدينة والمنستير بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهي بليدة بإفريقية بناها هرثمة بن أعين الهاشمي في سنة ثمانين ومائة وكان هارون الرشيد قد ولاه إفريقية وقدم إليها يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع في ترجمة الأمير تميم بن المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وتعرف ببوصير قوريدس ويقال كوريدس وهي بليدة

بأعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير الفيوم وبالجيزة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر وبكورة السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد والكل بالديار المصرية والمنستير معبد بين المهدية وسوسة يأوي إليه الصالحون المنقطعون للعبادة

69 وفيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت في كتابه والله أعلم 779

أمين الدولة ابن التلميذ أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب الملقب أمين الدولة البغدادي ذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال سلطان الحكماء وبالغ في الثناء عليه وقال هو مقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ورأيته وهو شيخ بهي المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم وله في النظم كلمات رائقة وحلاوة جنية وغزارة بهية ومن شعره في الميزان لغزا ( ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء ) )
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يري الإرشاد كل راء ) )

أخرس لا من علة وداء * يغنى عن التصريح بالإيماء ) (
يجيب إن ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء )
( يفصح إن علق في الهواء * )
70 فقوله مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس وهو الاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم في الأرض وفي السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكربعد ذلك جملة من مقاطيع شعره نأتي بذكر بعضها إن شاء الله تعالى وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب ما مثاله وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه وهو ابن بنته فنسب إليه وعرف به وذكر في كتاب أنموذج الأعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان أن ابن التلميذ المذكور كان متفننا في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين وطالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك اجتمعت به مرارا في آخر عمره وكنت أعجب في أمره كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه والله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان إذا ترسل استطال وسطا وإذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطا وأورد شيئا من شعره أيضا وذكره أبو المعالي الحظيري المقدم ذكره في حرف السين في كتابه زينة الدهر وأورد له مقاطيع

فمن ذلك قوله ( يا من رماني عن قوس فرقته * بسهم هجر على تلافيه ) ( ارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه ) وذكر العماد في الخريدة البيت الثاني منسوبا إلى أبي محمد ابن جكينا البغدادي وضم إليه بعده ( لو لم ينله من العقاب سوى * بعدك عنه لكان يكفيه )
71 وذكر له الحظيري أيضا ( عاتبت إذ لم يزر خيالك والنوم * بشوقي إليك مسلوب ) ( فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب ) ومما ذكر له العماد في الخريدة قال وأنشدني أبو المعالي هبة الله بن الحسن بن محمد بن المطلب قال أنشدني أبو الحسن ابن التلميذ لنفسه ( كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستأنفت سيرة مجمل ) ( وقعدت أرتقب الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل ) والثاني منهما ذكره ابن المنجم في كتاب البارع لمسلم بن الوليد الأنصاري وذكر أن أبا محمد ابن جكينا المذكور مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفي أعطاه دراهم فعمل فيه ( لما تيممته وبي مرض * إلى التداوي والبرء محتاج ) ( آسى وواسى فعدت أشكره * فعل امرئ للهموم فراج ) ( فقلت إذ برني وأبرأني * هذا طبيب عليه زرباج ) وعمل فيه أيضا في المعنى ( جاد واستنقذ المريض وقد كاد * ضنى أن يلف ساقا بساق ) ( والذي يدفع المنون عن النفس * جدير بقسمة الأرزاق ) وقصد مرة أن يعبر إليه دجلة ليداويه فكتب إليه

72 ( إن امرأ القيس الذي * هام بذات المحمل ) ( كان شفاه عبرة * وعبرة تصلح لي ) وكان ابن جكينا المذكور قد عمي في آخر عمره وجرت بينهما منافرة في أمر واشتهى مصالحته فكتب إليه ( وإذا شئت أن تصالح بشار * بن برد فاطرح عليه أباه ) فسير إليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقائع كثيرة وإنما كتب إليه هذا البيت لأن بشار بن برد كان أعمى كما تقدم ذكره في ترجمته فلما عمي شبه نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه أباه لأن عادة أهل بغداد إذا أراد الإنسان أن يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا بمعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية في هذا البيت ومن الشعر المنسوب إليه وهو مشهور قوله ثم وجدتهما للناصح ابن الدهان النحوي الموصلي ( تعس القياس فللغرام قضية * ليست على نهج الحجى تنقاد ) ( منها بقاء الشوق وهو بزعمهم * عرض وتفنى دونه الأجساد ) وقوله أيضا وذكر العماد في الخريدة أن هذين البيتين لأبي علي المهندس المصري وهما ( تقسم قلبي في محبة معشر * بكل فتى منهم هواي منوط ) ( كأن فؤادي مركز وهم له * محيط وأهوائي إليه خطوط ) وقوله أيضا ( جوده كالطبيب فينا يداوي * سوء أحوالنا بحسن الصنيع )

73 ( فهو كالموميا إذا انكسر العظم * ومثل الترياق للملسوع ) ثم وجدت هذين البيتين في ديوان ابن

حجاج الشاعر وقوله في ولده سعيد ( حبي سعيدا جوهر
ثابت * وحبه لي عرض زائل ) ( به جهاتي الست
مشغولة * وهو إلى غيري بها مائل ) وكان أبو القاسم
علي بن أفلح الشاعر المقدم ذكره قد نقه من المرض وهو
يعالجه فكتب إليه يشكو جوعه وقد نهاه عن استعمال
الغذاء إلا بأمره والذي كتبه ( أنا جوعان فأنقذني * من
هذي المجاعه ) ( فرجي في الكسرة الخبز * ولو كانت
قطاعه ) ( لا تقل لي ساعة تصبر * مالي صبر ساعه )
( فخواي اليوم لا يقبل * في الخبز شفاعه ) فوقف ابن
التلميذ على هذه الأبيات وكتب إليه جوابها ( هكذا
أضياف مثلي * يتشاكون المجاعه ) ( غير أني لست
أعطيك * مضرا بشفاعه ) ( فتعلل بسويق * فهو خير
من قطاعه ) ( بحياتي قل كما نرسمه * سمعا وطاعه )
فلما وصلت الأبيات إلى ابن أفلح كتب ( إن مرسومك
عندي * قد توخيت استماعه )
74 ( غير أني لم أقل من * نيتي سمعا وطاعه ) )
ودفعت الجوع والله * فلم أسطع دفاعه ) ( فاكفني كلفته
الآن * وأربحني صداعه ) فكتب إليه ابن التلميذ ( أنا في
الشعر ضعيف الطبع * منزور البضاعه ) ( ولك الخاطر
قد أوتي * طبعا وصناعه ) ( ومتى لم تكف شر الجوع *
لم أكف صداعه ) ( فعلى اسم الله قدم * أخذه من بعد
ساعه ) ( 302 ) وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين
أوحد الزمان أبي البركات هبة الله ابن علي بن ملكان

الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما في ذلك أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديا ثم أسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوعها فبالغت في نهشه فبرئ من الجذام وعمي وقصته في ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ المذكور ( لنا صديق يهودي حماقته * إذا تكلم تبدو فيه من فيه ) ( يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه )

75 وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الأسطرلابي المقدم ذكره ( أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات في طرفي نقيض ) ( فهذا بالتواضع في الثريا * وهذا بالتكبر في الحضيض ) ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة فمن ذلك كتاب أقراباذين وهو نافع في بابه وبه عمل أطباء هذا الزمان وله كناش وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك ( 303 ) وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة منها كتاب التلخيص والمغني في الطب وهو جزء واحد وكتاب الإقناع وهو أربعة أجزاء وقد انتقدوا عليه هذه التسمية وقالوا كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأن المغني هو الذي يغني عن غيره فكان الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم والإقناع هو الذي تقع القناعة به فالمختصر أولى بهذا الاسم ولـه كل

شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب  وكان حسن
السمت كثير الوقار حتى قيل إنه لم يسمع منه بدار الخلافة
مدة تردداه إليها شيء من المجون سوى مرة واحدة
بحضرة المقتفي الخليفة وذلك أنه كان له راتب بدار
القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم به الخليفة فاتفق أنه كان
عنده يوما فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة
ومشقة من الكبر  فقال له المقتفي كبرت يا حكيم فقال نعم يا
مولانا وتكسرت قواريري وهذا في اصطلاح أهل بغداد
أن الإنسان إذا كبر يقال تكسرت قواريره فلما قال الحكيم
هذه اللفظة قال الخليفة هذا الحكيم لم أسمع منه
76 هزلا منذ خدمنا فاكشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا
راتبه بدار القوارير قد انقطع فطالعوا الخليفة بذلك فتقدم
بردها عليه وكان الذي قد قطعه الوزير عون الدين بن
هبيرة وزاده إقطاعا آخر وأخباره كثيرة  وتوفي في صفر
سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره
وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه مات ابن التلميذ في
عيد النصارى  وكان قد جمع من سائر العلوم ما لم يجتمع
في غيره ولم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البيعة
وشهد جنازته  وليس في هذه الترجمة ما يحتاج إلى التقييد
سوى ملكان جد أوحد الزمان وهو بفتح الميم والكاف
وبينهما لام ساكنة وبعد الألف نون  وقد تقدم في ترجمة
ابن الجواليقي ما دار بينهما بحضرة الإمام المقتفي  قلت
وبعد فراغي من ترجمة أمين الدولة ابن التلميذ المذكور

وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وجعله سيرة لنفسه وجميعه بخطه وذكر في أوائله ابن التلميذ ووصفه بالعلم في صناعة الطب وإصابته ثم قال ومنها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب عليها الماء المبرد صبا متتابعا كثيرا ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفيء قد
77 بخر بالعود والند ودفئت بأصناف الفراء ساعة فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها ومنها أنه أتي مرة بمريض يعرق دما في زمن الصيف فسأل تلاميذه قدر خمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فأمره بأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرئ وسأله أصحابه عن العلة فقال إن دمه قد رق ومسامه قد انفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية فإذا مرض فقيه نقله إليه وقام في مرضه عليه فإذا أبل وهب له دينارين وصرفه ( 304 )
وذكر شيخنا موفق الدين قبل هذا أن ولد أمين الدولة المذكور كان شيخه وانتفع به وكان شيخا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغوص على أسرار الطبيعة يرى الأمراض كأنها من وراء زجاج لا يعتريه فيها ولا في مداواتها شك وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ولم أر من يستحق اسم الطب غيره وكان يقول

ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس مالا تحسده عليه العامة ولا تحتقره فيه الخاصة وكذا كان لباسه الأبيض الرفيع ثم قال وخنق في دهليز داره الثلث الأول من الليل وكان قد أسلم قبل موته وفي نفسي عليه حسرات رحمه الله تعالى نقلته ملخصا

78 780 هارون ابن المنجم أبو عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي الأديب الفاضل وقد تقدم ذكر ولده علي في حرف العين وكان هارون المذكور حافظا راوية للأشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبد الملك ابن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال في أوله إني لما عملت كتابي في أخبار الشعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي والعلماء تقول دل على عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال بعضهم شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن وأنه كان طويلا فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فإنه مخض أشعارهم وأثبت منها

زبدتها وترك زبدها وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في
ترجمة العماد الكاتب الأصبهاني وقلت إن كتاب الخريدة
وكتاب الحظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو
الأصل الذي نسجوا على منواله ولـه كتاب النساء وما جاء
فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر
79 والكلام الحسن ولم أظفر لـه بشيء من الشعر
حتى أورده وذكر هو في كتابه البارع المذكور أباه أبا
الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور وسرد لـه مقاطيع
وقد ذكرته في ترجمة مفردة في حرف العين فلينظر هناك
ثم أردفه بذكر أخيه يحيى بن علي بن يحيى وعد لـه جملة
مقاطيع أوردها ولا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا الموضع
بل نذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى وتوفي أبو عبد
الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو حدث السن
رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر أخيه يحيى بن علي في
حرف الياء إن شاء الله تعالى وكان أبو منصور جد أبيه
منجم أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسيا (
305 ) وكان ابنه يحيى متصلا بذي الرياستين الفضل بن
سهل المقدم ذكره وكان الفضل يعمل برأيه في أحكام
النجوم فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها في
ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه فاجتباه
واختص به ورغبه في الإسلام فأسلم على يده فصار بذلك
مولاه وهم أهل بيت منهم جماعة من الفضلاء والأدباء
والشعراء وجالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبي

في كتاب اليتيمة بابا مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى وتوفي يحيى المذكور بحلب عند خروج المأمون إلى طرسوس ودفن بها في مقابر قريش فقبره هناك مكتوب عليه اسمه

80 781 هشام بن عروة أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي قد تقدم ذكر أبيه في حرف العين وكان هشام أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين في الحديث المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة رضي الله عنهم وسمع عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر رضي الله عنهما ورأى جابر ابن عبد الله الأنصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعد وقيل إنه رأى ابن عمر ولم يسمع منه وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري ومالك ابن أنس وأيوب السختياني وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث ابن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد الذهلي ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهري وقتادة والأعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفي بها سنة ست وأربعين ومائة وقيل سنة

خمس وأربعين وقيل سنة سبع رضي الله عنه وصلى عليه
المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي وقيل
81 بل قبره بالجانب الغربي خارج السوق نحو باب
قطربل وراء الخندق على مقابر باب حرب وهو ظاهر
هناك معروف وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عروة
ومن قال إنه بالجانب الشرقي قال إن القبر الذي بالجانب
الغربي هو قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله
بن المبارك والله أعلم وله عقب بالمدينة وبالبصرة
وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما يا
أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف
وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال
لنا أبونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه فإنه لا يزال في قومكم
بقية ما بقي فقال لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين فلما خرج
هشام قيل له يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به إليه فتقول
لا أذكره فقال لم أكن أذكر ذلك ولم يعودني الله في الصدق
إلا خيرا وروي عنه أنه دخل على المنصور فقال يا أمير
المؤمنين اقض عني ديني قال وكم دينك قال مائة ألف قال
وأنت في فقهك وفضلك تأخذ دينا مائة ألف ليس عندك
قضاؤها فقال يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا
فأحببت أن أبوئهم وخشيت أن ينتشر علي من أمرهم ما
أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله
وبأمير المؤمنين قال فردد عليه مائة ألف استعظاما لها ثم
قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف فقال يا أمير المؤمنين

أعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس فإني سمعت أبي يحدث عن رسول الله أنه قال من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطي وللمعطى قال فإني طيب النفس بها وأهوى إلى يد المنصور
82 يريد أن يقبلها فمنعه وقال يا ابن عروة إنا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك وأخباره كثيرة رضي الله عنه 782 هشام ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي قد تقدم ذكر أبيه في المحمدين وما جرى له مع الفرزدق الشاعر وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن أبي السري البغدادي وأبو الأشعث أحمد بن المقدام وغيرهم وكان من أعلم الناس بعلم الأنساب وله كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن وكان من الحفاظ المشاهير ذكر الخطيب في تاريخ بغداد عنه أنه دخل بغداد وحدث بها وأنه قال حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة وله من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب

83 المنافرات وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس عيلان وكتاب الموءودات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والإسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب ألقاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء زياد معاوية وكتاب أخبار زياد بن أبيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الأزد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفا وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الأنساب ولم يصنف في بابه مثله وكتابه الذي سماه المنزل في النسب أيضا وهو أكبر من الجمهرة وكتاب الموجز في النسب وكتاب الفريد صنفه للمأمون في الأنساب وكتابه الملوكي صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضا وكان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم فمن روايته أنه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد بن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام فقال في بعض كلامه أنا الذي أقول في يوم صفين ( إذا تخازرت وما بي من خزر * ثم كسرت العين من غير عور ) ( ألفيتني ألوى بعيد المستمر * أحمل ما حملت من خير وشر ) ( كالحية الصماء في أصل الشجر * )

84 أما والله ما أنا بالواني ولا الفاني وإني أنا الحية الصماء التي لا يسلم سليمها ولا ينام كليمها وإني أنا المرء إن همزت كسرت وإن كويت أنضجت فمن شاء فليشاور ومن شاء فليؤامر مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ما عاينت أو لو ولوا ما وليت لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج إذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر فهناك والله شخصت الأبصار وارتفع الشرار وتقلصت الخصى إلى مواضع الكلى وقارعت الأمهات عن ثكلها وذهلت عن حملها واحمرت الحدق واغبر الأفق وألجم العرق وسال العلق وثار القتام وصبر الكرام وخام اللئام وذهب الكلام وأزبدت الأشداق وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء من نبلها وتقصف من رماحها فلا يسمع يومئذ إلا التغمغم من الرجال والتحمحم من الخيل ووقع السيوف على الهام كأنه دق غاسل بخشبته على منصبه ندأب ذلك يوما حتى ظعن الليل بغسقه وأقبل الصبح بفلقه ثم لم يبق من القتال إلا الهرير والزئير لعلمتم أني أحسن بلاء وأعظم غناء وأصبر على اللأواء منكم وإني وإياكم كما قال الشاعر ( وأغضي على أشياء لو شئت قلتها * ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا ) ( وإن كان عودي من نضار فإنني * لأكرمه من أن أخاطر خروعا ) والمأثور

عنه كثير وتوفي سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست والأول أصح والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى

85 783 هشام صاحب الكسائي أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي صاحب أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي أخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة تعزى إليه وله فيه تصانيف عديدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن في بعض كلامه فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد فخرج من عنده وجاء إلى هشام المذكور فتعلم عليه النحو قال أبو مالك الكندي توفي هشام بن معاوية الضرير النحوي سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى

86 784 الفرزدق أبو فراس همام وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب وكنيته أبو الأخطل ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن مالك واسمه عوف سمي بذلك لجوده ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور صاحب جرير ( 306 ) كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس ولأبيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة فمن ذلك أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس إلى البوادي فكان هو رئيس قومه وكان سحيم بن وثيل

الرياحي رئيس قومه واجتمعوا بمكان يقال له صوأر في
أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة
وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة
وبعدها راء فعقر غالب لأهله ناقة وصنع منها طعاما
وأهدى إلى قوم من بني تميم لهم جلالة جفانا من ثريد
ووجه إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال
أنا مفتقر إلى طعام غالب إذا نحر هو ناقة نحرت أنا
أخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لأهله ناقة فلما
كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لأهله ناقتين
87 فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا فعقر
سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم
يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا وأسرها في نفسه
فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح
لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر
وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر بأن إبله كانت
غائبة وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شأنكم والأكل وكان
ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاستفتي
في حل الأكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير
مأكلة ولم يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة فألقيت
لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم
وهي قصة مشهورة وعمل فيها الشعراء أشعارا كثيرة
فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق وهو بيت تستشهد به
النحاة في كتبهم وهو من جملة قصيدة ( تعدون عقر

النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا )
ومن ذلك قول المحل أخي بني قطن بن نهشل ( وقد
سرني أن لا تعد مجاشع * من المجد إلا عقر ناب بصوأر
) وكان غالب المذكور أعور ( 307 ) وسحيم المذكور
هو ابن وثيل بن عمرو بن جوين بن وهيب بن حميري
الشاعر الذي يقول ( أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى
أضع العمامة تعرفوني )
88 وهذا البيت من جملة أبيات وله ديوان شعر
صغير والوثيل الرشاء الضعيف وقيل الليف وكان
الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به
إلا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما
حكاه المبرد في كتاب الكامل أن الحجاج بن يوسف الثقفي
لما ولى تميم بن زيد القيني بلاد السند دخل البصرة فجعل
يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز إلى الفرزدق
فقالت إني استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال ما
شأنك قالت إن تميم ابن زيد خرج بابن لي معه ولا قرة
لعيني ولا كاسب علي غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت
خنيس فكتب إلى تميم مع بعض من شخص ( تميم بن زيد
لا تكونن حاجتي * بظهر فلا يعيا علي جوابها ) ( وهب
لي خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها )
( أتتني فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافي عليها
ترابها ) ( وقد علم الأقوام أنك ماجد * وليث إذا ما
الحرب شب شهابها ) فلما ورد الكتاب على تميم تشكك

في الاسم فلم يعرف أخنيس أم حبيش ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا فأصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجه بهم إليه وحضر يوما الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور عند سليمان بن عبد الملك الأموي وهو يومئذ خليفة فقال سليمان للفرزدق أنشدني شيئا وإنما أراد سليمان أن ينشده مدحا له فأنشده في مدح أبيه ( وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب ) ( سروا يخبطون الريح وهي تلفهم * إلى شعب الأكوار ذات الحقائب ) ( إذا آنسوا نارا يقولون إنها * وقد خصرت أيديهم نار غالب )

89 فأعرض سليمان عنه كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها قال هات فأنشده ( أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب ) ( قفوا خبروني عن سليمان إنني * لمعروفه من أهل ودان طالب ) ( فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب ) فقال سليمان للفرزدق كيف تراه فقال هو أشعر أهل جلدته ثم قام وهو يقول ( وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد ) ( 308 ) وكان نصيب عبدا أسود لرجل من أهل وادي القرى فكاتب على نفسه ومدح عبد العزيز بن مروان فاشترى ولاءه وكنيته أبو الحجناء وقيل أبو محجن وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة ( 309 ) وأما جده صعصعة بن ناجية فإنه كان عظيم القدر في الجاهلية

واشترى ثلاثين موءودة منهن بنت لقيس بن عاصم
المنقري وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به ( وجدي الذي
منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد ) وهو أول من أسلم
من أجداد الفرزدق وقد ذكره في كتاب الاستيعاب في
جملة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد اختلف
العلماء أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير
والمفاضلة بينهما والأكثرون على أن جريرا أشعر منه
وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو
90 مشهور وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائض وهو
من الكتب المشهورة وكان جرير قد هجاه بقصيدته
الرائية التي من جملتها ( وكنت إذا حللت بدار قوم *
ظعنت بخزية وتركت عارا ) فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق
نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قضية يطول
شرحها وخلاصة الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن
كانت قد أضافته وأحسنت إليه فامتنعت عليه فبلغ
الخبرعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يومئذ والي
المدينة فأمر بإخراجه من المدينة فلما أخرج وأركبوه ناقته
ليسفروه قال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كأنه شاهد
هذا الحال حيث قال وكنت إذا حللت بدار قوم . . . وأنشد
البيت المذكور وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة
فقال له قد أجزنا شهادتك ثم قال لأصحاب القضية زيدونا
في الشهود فقيل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضي
إنه لم يجز شهادتك فقال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف

محصنة ومن شعره المشهور قوله وهو مقيم بالمدينة (
هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش
كاسره ) ( فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا * أحي
فيرجى أم قتيل نحاذره ) ( فقلت ارفعا الأسباب لا
يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره ) ( أحاذر
بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره ) فلما
بلغت جريرا الأبيات عمل من جملة قصيدة طويلة ( لقد
ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزواز قصير القوادم
(
91 يوصل حبليه إذا جن ليله * ليرقى إلى جاراته
بالسلالم ) ( تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن
باع العلا والمكارم ) ( هو الرجس يا أهل المدينة
فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم ) ( لقد كان
إخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم )
فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة
طويلة يقول في جملتها ( وإن حراما أن أسب مقاعسا *
بآبائي الشم الكرام الخضارم ) ( ولكن نصفا لو سببت
وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم ) ( أولئك
أمثالي فجئني بمثلهم * وأعبد أن أهجو كليبا بدارم ) ولما
سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولا اجتمعوا
وجاءوا إلى مروان بن الحكم الأموي وكان يومئذ والي
المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الأموي فقالوا له ما
يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله وقد

أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست أحده أنا ولكن
أكتب إلى من يحده ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله
ثلاثة أيام وفي ذلك يقول الفرزدق ( توعدني وأجلني ثلاثا
* كما وعدت لمهلكها ثمود ) ثم كتب مروان إلى عامله
يأمره فيه أن يحده ويسجنه وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة
ثم ندم مروان على ما فعل فوجه عنه سفيرا وقال إني قلت
شعرا فاسمعه ثم أنشده ( قل للفرزدق والسفاهة كاسمها *
إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس )
92 ( ودع المدينة إنها مرهوبة * واقصد لمكة أو
لبيت المقدس ) ( وإذا اجتنيت من الأمور عظيمة * فخذن
لنفسك بالزماع الأكيس ) قوله فاجلس أي اقصد الجلساء
وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لأن الجلوس في اللغة
هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الأبيات فطن لما
أراد مروان فرمى الصحيفة وقال ( يا مرو إن مطيي
محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس ) ( وحبوتني
بصحيفة مختومة * يخشى على بها حباء النقرس ) ( ألق
الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكدا كمثل صحيفة المتلمس
) وإذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا
الكتاب أن يعلم قصتها ( 310 ) ومن خبرها أن المتلمس
واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دوفن
بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة الأضجم
ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وإنما لقب بالمتلمس
لقوله من جملة قصيدة ( فهذا أوان العرض حي ذبابه *

زنابيره والأزرق المتلمس ) وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة وهجاه أيضا طرفة بن العبد البكري الشاعر المشهور وهو ابن أخت المتلمس المذكور فاتصل
93 هجوهما بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيئا من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل واحد منهما كتابا إلى عامله بالحيرة وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه وأوهمهما أنه قد كتب لهما بصلة فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى الحيرة فهلم ندفع كتبنا إلى من يقرؤها فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة وإن كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد ما كنت لأفتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لأفتحن كتابي ولأعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فإذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرأ هذا الكتاب فلما نظر إليه الغلام قال ثكلت المتلمس أمه فقال لطرفة افتح كتابك فما فيه إلا مثل ما في كتابي فقال إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي ويوغر صدور قومي بقتلي فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر إلى الشام ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته في ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله وإلى هذا

أشار الحريري في المقامة العاشرة بقوله ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وللأبله الشاعر المقدم ذكره في المحمدين قصيدة يقول فيها ( يقرا المتيم من صحيفة خده * في الهجر مثل صحيفة المتلمس ) رجعنا إلى تتمة خبر الفرزدق ثم خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الأموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فأخبرهم الخبر فأمر له كل واحد منهم
94 بمائة دينار وراحلة وتوجه إلى البصرة وقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فإنك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه ومن أخبار الفرزدق أنه حكى أنه نزل في بعض أسفاره في بادية وأوقد نارا فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشد ( وأطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت بناري موهنا فأتاني ) ( فلما أتى قلت ادن دونك إنني * وإياك في زادي لمشتركان ) ( فبت أقد الزاد بيني وبينه * على ضوء نار مرة ودخان ) ( وقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفي في يدي بمكان ) ( تعش فإن عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ) ( وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان ) ( ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم أو شباة سنان ) وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الأموي قصيدة ميمية فلما انتهى منها إلى قوله ( ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شمام ) ( فبتن بجانبي

مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام ) ( كأن مفالق
الرمان فيه * وجمر غضا قعدن عليه حام ) فقال له
سليمان قد أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ولا بد من إقامة
الحد عليك فقال الفرزدق ومن أين أوجبت علي يا أمير
المؤمنين فقال بقول الله تعالى ( ^ الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة ) النور&&2
95 فقال الفرزدق إن كتاب الله يدرؤه عني بقوله
تعالى ( ^ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد
يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ) الشعراء 224 فأنا
قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال أولى لك وتنسب إليه
مكرمة يرجى له بها الجنة وهي أنه لما حج هشام بن عبد
الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر
ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس
عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام
فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان
من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما
انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من
أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال
هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان
الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا
فراس فقال ( هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت
يعرفه والحل والحرم ) ( هذا ابن خير عباد الله كلهم *

هذا التقي النقي الطاهر العلم ) ( إذا رأته قريش قال قائلها
* إلى مكارم هذا ينتهي الكرم ) ( ينمى إلى ذروة العز
التي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والعجم ) ( يكاد
يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم ) (
في كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع في عرنينه
شمم ) ( يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا
حين يبتسم )
96 ( ينشق نور الهدى عن نور غرته * كالشمس
ينجاب عن إشراقها الظلم ) ( مشتقة من رسول الله نبعته
* طابت عناصره والخيم والشيم ) ( هذا ابن فاطمة إن
كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا ) ( الله شرفه قدما
وعظمه * جرى بذاك له في لوحه القلم ) ( فليس قولك
من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم ) (
كلتا يديه غياث عم نفعهما * تستوكفان ولا يعروهما عدم )
( سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق
والشيم ) ( حمال أثقال أقوام إذا فدحوا * حلو الشمائل
تحلو عنده نعم ) ( ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا
التشهد كانت لاءه نعم ) ( لا يخلف الوعد مأمون نقيبته *
رحب الفناء أريب حين يعتزم ) ( عم البرية بالإحسان
فانقشعت * عنها الغياية والإملاق والعدم ) ( من معشر
حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم ) ( إن
عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض
قيل هم ) ( لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم

وإن كرموا ) ( هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت * والأسد أسد الشرى والبأس محتدم ) ( لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا ) ( مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل بدء ومختوم به الكلم ) ( يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى هضم ) ( أي الخلائق ليست في رقابهم * لأولية هذا أو له نعم ) ( من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الأمم )

97 فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره صعد الوليد بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب إليه الأخرم ملك الروم إن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطأوا فقال من يجيبه فقال الفرزدق تكتب إليه ( ^ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية ) الأنبياء 78 وأخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما وقيل بثمانين يوما وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب

شذور العقود إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة وقال
السكري إن الفرزدق لقي علي بن أبي طالب رضي الله
عنه وتوفي سنة عشر وقيل اثنتي عشرة وقيل أربع عشرة
ومائة وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء إن الفرزدق
أصابته الدبيلة فقدم به البصرة وأتى الطبيب فسقاه قارا
أبيض فجعل يقول أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا ومات
وقد قارب المائة والله أعلم وقد سبق في ترجمة جرير ما
قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق فأغنى عن الإعادة
رحمهما الله تعالى وذكر المبرد في كتاب الكامل قال
التقى الحسن البصري والفرزدق
98 في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول
الناس يا أبا سعيد يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير
الناس وشر الناس قال الحسن كلا لست بخيرهم ولست
بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله مذ ستون سنة فيزعم بعض
التميمية أن الفرزدق رؤي في المنام فقيل له ما صنع بك
ربك فقال غفر لي فقيل بأي شيء فقال بالكلمة التي
نازعتها الحسن وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الأولى
وناجية بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها
وعقال بكسر العين المهملة وفتح القاف ومحمد بن سفيان
هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية وذكرهم
ابن قتيبة في كتاب المعارف وقال السهيلي في كتاب
الروض الأنف لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم

قبله إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله لأمه والآخر محمد بن حمران من ربيعة وكان آباء هؤلاء قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث رسول الله وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وأما مجاشع فهو بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين معجمة مكسورة ثم عين مهملة

99 ودارم بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة وبعدها ميم وبقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفاء والراء وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه به فقال في أدب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدتها فرزدقة وإنما لقب به لأنه كان جهم الوجه وقال في كتاب طبقات الشعراء إنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتيتة التي تشربها النساء وهي الفرزدقة والقول الأول أصح لأنه كان أصابه جدري في وجهه ثم برأ منه فبقي وجهه جهما متغضنا ويروى أن رجلا قال له يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة فقال له تأمل هل ترى فيها حر أمك والأحراح بحاءين مهملتين جمع حرح

وهو الفرج فحذفت في المفرد حاؤه الثانية فبقي حرا ومتى جمع عادت الحاء الثانية فقالوا أحراح لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه وهي النوار بفتح النون ابنة أعين ابن ضبيعة بن عقال المجاشعي وجدها ضبيعة هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل رضي الله عنها وكان قد خطبها يعني النوار رجل من قريش فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها فقال إن بالشام من هو أقرب مني إليك وما أنا آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك علي فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إلي ففعلت فخرج الشهود وقال لهم قد أشهدتكم أنها جعلت أمرها لي وأنا أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه وخرجت إلى عبد الله بن الزبير وأمر الحجاز والعراق يومئذ إليه وخرج الفرزدق أيضا فأما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن زبان

100 الفزاري امرأة عبد الله بن الزبير فرققتها وسألتها الشفاعة لها وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير وهو ابن خولة المذكورة ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خولة في النوار وتكلم حمزة في الفرزدق فأنجحت خولة وأمر عبد الله بن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة فيحتكما إلى عامله عليها فخرجا وقال الفرزدق في ذلك ( أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم * وشفعت

بنت منظور بن زبانا ) ( ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا *
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا ) ثم إن الفرزدق اتفق معها
وبقي زمانا لا يولد له ولد ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد
وهم لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة وكلهم من
النوار وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء وقال ابن
خالويه ومن أولاد الفرزدق كلطة وجلطة والله أعلم ثم إن
الفرزدق طلق النوار لأمر يطول شرحه فندم على ذلك
وله فيها أشعار فمنها قوله ( ندمت ندامة الكسعي لما *
غدت مني مطلقة نوار ) ( وكانت جنتي فخرجت منها *
كآدم حين أخرجه الضرار ) وله في ذلك أخبار ونوادر
يطول شرحها وليس هذا موضع استيفائه ومات للفرزدق
ابن صغير فصلى عليه ثم التفت إلى الناس فقال ( وما
نحن إلا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وترحلوا )
فمات بعد ذلك بأيام قلائل

101 785 هلال ابن المحسن الصابىء أبو الحسن
هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن
إبراهيم ابن زهرون بن حيون الصابىء الحراني الكاتب
هو حفيد أبي إسحاق الصابىء صاحب الرسائل المشهورة
وقد سبق ذكر جده في حرف الهمزة سمع هلال المذكور
أبا علي الفارسي النحوي المقدم ذكره وعلي بن عيسى
الرماني المقدم ذكره أيضا وأبا بكر أحمد بن محمد بن
الجراح الخراز وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد
وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبوه المحسن صابئيا

على دين جده إبراهيم فأسلم هلال المذكور في آخر عمره وسمع من العلماء في حال كفره لأنه كان يطلب الأدب ورأيت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستملحة وأخبارا نادرة وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان وهو مجلد واحد ولا أعلم هل صنف سواه أم لا ( 311 ) وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين جمع فيه كثيرا من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب فمما نقلته منه أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو عم السفاح

102 وأبي جعفر المنصور أنفذ إلى ابن أخيه السفاح في أول ولايتهم مشيخة من أهل الشام يطرفه بعقولهم واعتقادهم وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم ونقلت منه أيضا حكاية وإن كانت سخيفة لكنها ظريفة ولا بد في المجاميع من الإحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هي أن أبا سعيد ماهك ابن بندار المجوسي الرازي كان من كبار كتاب الديلم المشهور تجلفهم الشائعة فيه أخبارهم وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم فأراد الوزير أبو محمد المهلبي أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له وقد أراد الخروج من عنده يا أبا سعيد لا تبرح من الدار

حتى أوقفك على شيء أريده معك فقال السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال بي الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا إلى البواب أن لا يدعه يخرج من الباب فجلس ماهك طويلا وأراد دخول الخلاء فقام يطلب ذلك فرأى الأخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك وقال كانت دار أبي جعفر الصيمري منتنة الرائحة لأجل خلاء كان بها لعامة الناس فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل وعليه ستر مسبل فرفع الستر ليدخل فجاء الفراش فمنعه ودفعه فقال يا هذا أليس هذا خلاء فقال بلى فقال أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني قال هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير قال فبقية الأخلية مقفلة فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البواب فأخرى في ثيابي فقال الفراش استأذن في دخول الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الأخلية فتقضي حاجتك فاشتد به الأمر فكتب إلى الوزير رقعة وقال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس

103 ولا يحسن ذكره والفراش يقول لا تدخل والبواب يقول لا تخرج وقد تحير العبد في البين والأمر في الشدة فإن رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بأن يعمل ما يحتاج إليه في خلائه فعل إن شاء الله تعالى والسلام ودفع الرقعة إلى بعض الحجاب فأوصلها إلى الوزير فلم يعلم ما أراد بالرقعة فاستعلم ما الصورة فعرف بها

فضحك واستلقى على ظهره ووقع على ظهر الرقعة
يخرى أبو سعيد أعزه الله بحيث يختار إن شاء الله تعالى
فجاءه الحاجب بها فأخذه ودفعه إلى الفراش وقال هذا ما
طلبت وهو توقيع سيدنا الوزير فقال الفراش التوقيعات
يقرؤها أبو العلاء ابن أبرونا كاتب ديوان الدار وأنا لا
أحسن أن أكتب ولا أقرأ فصاح ماهك في الدار هات من
يقرأ في الدار صك الخرا فضحك فراش آخر وأخذ بيده
وحمله إلى بعض الحجر حتى قضى حاجته ونقلت من
هذا الكتاب أيضا أن أرطأة بن سهية دخل على عبد الملك
ابن مروان وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام فرآه عبد
الملك شيخا كبيرا فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده
( رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الأرض ساقطة الحديد
) ( وما تبغي المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من
مزيد ) ( واعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد
) فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه لأنه كان يكنى أبا
الوليد وعلم أرطأة بسهوه وزلته فقال يا أمير المؤمنين إني
أكنى بأبي الوليد وصدقه الحاضرون فسري عن عبد
الملك قليلا

104 ونقلت منه أيضا أن أبا العلاء صاعد بن مخلد
كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه
الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن القاشي ( أرى الدهر
يمنع من جانبه * ويهدي الحظوظ إلى عائبه ) ( وكم
طالب سببا مجلبا * فأعيا عناه على طالبه ) ( ومن عجب

الدهر أن الأمير * أصبح أكتب من كاتبه ) والموفق
المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل وهو والد
المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه أيضا أن أعرابيا
شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
الأعرابي فصاح به صائح من خلفه يا خليفة رسول الله ثم
قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت
مات والله أمير المؤمنين فالتفت إليه فإذا هو رجل من بني
لهب بكسر اللام وهم من بني النضر ابن الأزد وهم أزجر
قوم وقد أشار كثير عزة إلى ذلك في قوله ( سألت أخا
لهب ليزجر زجره * وقد صار زجر العالمين إلى لهب )
قال الأعرابي فلما وقفنا لرمي الجمار إذا حصاة قد صكت
صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته فقال قائل أشعر والله
أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها فالتفت إليه
فإذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول
105 وهذه الحكاية في كتاب الكامل أيضا وقوله
دعاه باسم ميت إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق رضي
الله عنه كان يقال له خليفة رسول الله فلما توفي وتولى
عمر رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله فقال
للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا أمر يطول
شرحه فإن كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى
يتصل برسول الله وإنما أنتم المؤمنون وأنا أميركم فقيل له
يا أمير المؤمنين فهو أول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ
الخليفة مختصا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فلهذا قال

دعاه باسم ميت وذكر عمر بن شبة المقدم ذكره في أخبار البصرة عن الشعبي أن أول من دعا لعمر رضي الله عنه على المنبر أبو موسى الأشعري بالبصرة وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين فقال عمر إني لعبد الله وإني لعمر وإني لأمير المؤمنين وقال عوانة أول من سماه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وقال غيره جلس عمر يوما فقال والله ما ندري كيف نقول أبو بكر خليفة رسول الله وأنا خليفة أبي بكر فأنا خليفة خليفة رسول الله فمن جاء بعدي يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله فهل اسم قالوا الأمير قال كلكم أمير قال المغيرة نحن المؤمنون وأنت أميرنا فأنت أمير المؤمنين قال فأنا أمير المؤمنين والله أعلم وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

106 786 الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر ابن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء الطائي الثعلي البحتري الكوفي كان راوية أخباريا نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير وكان أبوه نازلا بواسط وكان

خيرا وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل
أخبارهم فأورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورة فكره
لذلك ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه بشيء فحبس لذلك عدة سنين ويقال إنه نقل عنه زورا
ولبسوا عليه ما لم يقله وكان قد صاهر قوما فلم يرضوه
فأذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى رأي الخوارج
وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين
وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط
آدم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها منازلها وكتاب
نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طي وكتاب
مديح أهل الشام وكتاب تاريخ العجم وبني أمية وكتاب من
تزوج من الموالي في العرب وكتاب الوفود وكتاب
107 خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ
الأشراف الكبير وكتاب تاريخ الأشراف الصغير وكتاب
طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الأشراف وكتاب
خواتيم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب
المواسم وكتاب الخوارج وكتاب النوادر وكتاب التاريخ
على السنين وكتاب أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما ووفاته وكتاب أخبار الفرس وكتاب
عمال الشرط لأمراء العراق وغير ذلك من التصانيف
واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد
وروى عنهم قال الهيثم قال لي المهدي ويحك يا هيثم إن
الناس يخبرون عن الأعراب شحا ولؤما وكرما وسماحا

وقد اختلفوا في ذلك فما عندك فقلت على الخبير سقطت خرجت من عند أهلي أريد ديار فرائد لي ومعي ناقة أركبها إذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها ونظرت فإذا خيمة أعرابي فأتيتها فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف فقالت وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال من الرجل فقلت ضيف فقال مرحبا حياك الله فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتاني به وقال اشرب فشربت شرابا هنيئا فقال ما أراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل إليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت ضيفك فقالت وما أصنع به أطعمه طعامي وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال لا والله ما يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا وأجج نارا وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول كلي لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركني ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه فقال هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم

108 ومما حضره وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خباء فسلمت فردت صاحبة الخباء السلام وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزة

روتها بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت كل واعذر فلم ألبث أن أقبل أعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل إلى أهله فقال أين طعامي فقالت أطعمته الضيف فقال أتطعمين الضيف طعامي فتجاريا الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج إلي فقال ما يضحكك قلت خير فقال والله لتخبرني فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله فأقبل علي وقال إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت ويقرب من هذه الحكاية ما روي أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرته بالقصة فقال الزوج الثاني أنا والله ذلك المسكين الأول الذي خيبني فحول الله نعمته وأهله إلي لقلة شكره وحكى الهيثم أيضا قال صار سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة إلى موسى الهادي بن المهدي وكان عمرو قد وهبه لسعيد ابن العاص الأموي فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي واشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء فجرد

الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري وأنشد
109 ( حاز صمصامة الزبيدي من بين * جميع الأنام موسى الأمين ) ( سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون ) ( أخضر اللون بين حديه برد * من ذباح تبين فيه المنون ) ( أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الزعاف القيون ) ( فإذا ما سللته بهر الشمس * ضياء فلم تكد تستبين ) ( ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين ) ( يستطير الأبصار كالقبس المشعل * ما تستقر فيه العيون ) ( وكأن الفرند والجوهر الجاري * في صفحتيه ماء معين ) ( نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجاء * يعصى به ونعم القرين ) فقال الهادي أصبت والله ما في نفسي واستخفه السرور فأمر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء إنما حرمتم من أجلي فشأنكم والمكتل ففي السيف غنائي فاشتري منه السيف بمال جزيل وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب اشتراه الهادي منه بخمسين ألفا ولم يذكر من هذه الأبيات إلا بعضها والذباح بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف حاء مهملة وهو نبت قتال لسميته وقد جاء كثيرا في الشعر ويعصى بفتح الصاد يقال عصي بكسر الصاد يعصى إذا ضرب بالسيف وهو خلاف عصى يعصى إذا ارتكب

الذنب وحكى المسعودي في مروج الذهب في ولاية هشام بن عبد الملك أن الهيثم بن عدي المذكور روى عن عمر بن هانىء الطائي قال خرجت مع عبد الله ابن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا ما فقد منه إلا خرمة أنفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا

110 ثم أحرقه واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا إلا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا إلى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه إلا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم (312) وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل أن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد سبق ذكره في ترجمة الوزير محمد بن بقية خرج على هشام بن عبد الملك وسمت نفسه إلى طلب الخلافة وتبعه خلق من الأشراف والقراء فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا ( ذل الحياة وعز

الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا ) ( فإن كان لا بد من
واحد * فسيري إلى الموت سيرا جميلا ) وحال المساء
بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم
في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتي بحجام من بعض
القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته
فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش
وأجروا الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف
الموضع فلما أصبح مضى إلى يوسف منتصحا له فدله
على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث رأسه إلى
هشام فكتب إليه هشام أن اصلبه عريانا
111 فصلبه يوسف كذلك ففي ذلك يقول بعض
شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة
أبيات ( صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا
على الجذع يصلب ) وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب
هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وتذريته في الرياح وكان
ذلك في سنة إحدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين ومائة
وذكر أبو بكر ابن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيدا
أقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير أحد له عورة سترا
من الله سبحانه وتعالى له وقال بعضهم إن العنكبوت نسج
على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد
ابن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهي واقعة
مشهورة كتب الوليد إلى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا
بخشبته ففعل ذلك وأذرى رماده في الرياح على شاطىء

الفرات والله تعالى أعلم أي ذلك كان فهذا الذي حمل عبد الله بن علي على ما فعله ببني أمية انتصارا لبني عمه وانتقاما لهم بنظير ما فعل بهم وقال الهيثم أيضا استعملت على صدقات بني فزارة فجاءني رجل منهم فقال أريك عجبا فقلت بلى فانطلق إلى جبل شاهق فإذا فيه صدع فقال لي ادخل فقلت إنما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا أناس فكان ربما ضاق الجبل واتسع فإذا نحن بضوء فدنونا منه وإذا خرق ذاهب في الأرض وإذا عكاكيز في الجبل فجذبناها فإذا هي سهام عاد وإذا كتاب منقور في الجبل مقدار إصبعين أو أكثر وإذا هو كتاب بالعربية وهو ( ألا هل إلى أبيات سفح بذي اللوى * لوى الرمل فاصدقن النفوس معاد ) ( بلاد لنا كانت وكنا نحبها * إذ الناس ناس والبلاد بلاد ) وروي أن أبا نواس الحسن بن هانىء الحكمي الشاعر المقدم ذكره حضر

112 مجلس الهيثم بن عدي في حداثته والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولا قرب مجلسه فقام مغضبا فسأل الهيثم عنه فخبر باسمه فقال إنا لله هذه والله بلية لم أجنها على نفسي قوموا بنا إليه لنعتذر فصاروا إليه ودق الباب عليه وتسمى له فقال ادخل فدخل فإذا هو قاعد يصفي نبيذا له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله فقال المعذرة إلى الله تعالى وإليك والله ما عرفتك وما الذنب إلا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضي حقك ونبلغ الواجب من برك فأظهر له قبول العذر فقال الهيثم أستعهدك من قول يسبق منك في

فقال ما قد مضى فلا حيلة فيه ولك الأمان فيما استأنف فقال وما الذي مضى جعلت فداك قال بيت مر وأنا فيما ترى يعني من الغضب قال فتنشدنيه فدافعه فألح عليه فأنشده ( يا هيثم بن عدي لست للعرب * ولست من طيىء إلا على شغب ) ( إذا نسبت عديا في بني ثعل * فقدم الدال قبل العين في النسب ) فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي ( للهيثم بن عدي في تلونه * في كل يوم له رجل على خشب ) ( فما يزال أخا حل ومرتحل * إلى الموالي وأحيانا إلى العرب ) ( له لسان يزجيه بجوهره * كأنه لم يزل يغدى على قتب ) ( كأنني بك فوق الجسر منتصبا * على جواد قريب منك في الحسب ) ( حتى نراك وقد درعته قمصا * من الصديد مكان الليف والكرب ) ( لله أنت فما قربى تهم بها * إلا اجتلبت لها الأنساب من كثب ) فعاد الهيثم إلى أبي نواس وقال له يا سبحان الله أليس قد أمنتني وجعلت لي عهدا أن لا تهجوني فقال إنهم يقولون ما لا يفعلون

113 وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة وتوفي غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله تعالى أعلم بالصواب رحمه الله تعالى وله عقب ببغداد وقال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة البحتري إنه توفي سنة تسع ومائتين بفم الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره أن وفاته كانت عند

الحسن بن سهل وقد تقدم في ترجمة بوران أن زواجها بالمأمون كان في هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر أنه كان في جملة من حضر فتوفي هناك وقد تقدم الكلام على الطائي والبحتري والثعلي بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها لام هذه النسبة إلى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء وقد تقدم تتمة هذه النسبة في ترجمة البحتري في حرف الواو فلتنظر هناك وتنسب إلى ثعل المذكور عدة بطون منها بحتر وسلامان وغيرهما ( 313 ) ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلي الذي قدم على سول الله في وفود العرب فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس حندج بن حجر الكندي الشاعر المشهور ( رب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره )

114 وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرىء القيس من زمن رسول الله وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة هذا خلاصة ما قاله والله أعلم

115 حرف الياء

116 @116@

117 787 ياروق التركماني ياروق بن أرسلان التركماني كان مقدما جليل القدر في قومه وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية وبنى على

شاطىء قويق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية وهي شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهي إلى اليوم معمورة مسكونة آهله يتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع ويتنزهون هناك في الخضرة وعلى قويق وهو موضع كثير الانشراح والأنس وتوفي ياروق المذكور في المحرم سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفي الآخر قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف وقد ذكرته الشعراء في أشعارهم كثيرا خصوصا أبا عبادة البحتري فإنه كرر

118 ذكره في عدة قصائد فمن ذلك قوله في جملة قصيدة ( يا برق أسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس ) ( عن منبت الورد المعصفر صبغه * في كل ناحية ومجرى الآس ) ( أرض إذا استوحشت ثم أتيتها * حشدت علي فأكثرت إيناسي ) وبطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة وهي قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم أثر وكان صالح بن علي

بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم قد بنى بها قصرا وسكنه هو وبنوه وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان في شرقي حلب وكان القصر على الرابية المشرفة على النيرب ولم يبق منه في هذا الزمان سوى آثار دارسة هكذا وجدته مضبوطا بخط بعض الفضلاء من أهل حلب والله أعلم

119 788 ياقوت الموصلي أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالملكي نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر نزل الموصل وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي وقرأ عليه من تصانيفه جملة وكان ملازمه وقرأ عليه ديوان المتنبي والمقامات الحريرية وغير ذلك وكتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق وكان في نهاية الحسن ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرى بنقل الصحاح للجوهري فكتب منها نسخا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد رأيت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة

120 في زمانه وقصده الناس من البلاد وسير إليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به

وهي قصيدة جيدة في بابها ووصف حسن خطه فأبلغ وهي
( أين غزلان عالج والمصلى * من ظباء سكن نهر المعلى
) ( أبتلك الكثبان أغصان بان * وبدور من أفقها تتجلى )
( أم لتلك الغزلان حسن وجوه * لو تراءت للحزن أصبح
سهلا ) ( أين حوذانها من النرجس الغض * إذا ناجز
النسيم استقلا ) ( أين ذاك العرار من صبغة الورد * إذا
جاده الغمام وطلا ) ( أبجرعائها كواكب نارنج * دنا في
غصونه فتدلى ) ( أنقيب لماء دجلة كفؤ * كذب
القاسطون حاشا وكلا ) ( ألدار السلام في الأرض شبه *
معجز أن ترى لبغداد مثلا ) ( كل يوم تبدي وجوها
خلاف الأمس * حسنا كأنما هي حبلى ) ( وصبايا يصبو
الحليم إليهن * إذا ما خطرن شكلا ودلا ) ( يعتصبن
العصائب الناصريات * فيحللن منك عقدا وحلا ) ( ليس
يرقبن فيك إلا ولا يعرفن * شيئا غير الصحاح وإلا ) (
مربع للقلوب فيه ربيع * متوال إذا الربيع تولى ) ( بلدة
تستفاد فيها المعالي * والمعاني علما وجدا وهزلا ) ( لم
يفتها من الكمال سوى ياقوت * لو أنها به تتحلى )
121 ( من لها أن يضوع نشر أمين الدين * فيها
وحسبها ذاك فضلا ) ( لو رجت أن يزورها لانبرى
الصامت * فيها يقول أهلا وسهلا ) ( ولئن وافت الرواة
برياه * إليها فإن رؤياه أحلى ) ( بحر جود له الأكارم
تتلو * وجواد عنه المكارم تتلى ) ( جامع شارد العلوم
ولولاه * لكانت أم الفضائل ثكلى ) ( ذو يراع تخاف

صولته الأسد * وتعنو له الكتائب ذلا ) ( وإذا افتر ثغره
عن سواد * في بياض فالبيض والسمر خجلى ) ( يقظ في
حراسة الملك لا يعمل * سهما ولا يجرد نصلا ) ( إنما
يبعث البلاغة أرسالا * إذا كانت الصحائف رسلا ) (
فيعيد الجبار ممتلئا خوفا * لما قد أمل فيها وأملى ) (
وتراه طورا يجيل يديه * بقداح العلوم فصلا ففصلا ) (
مثل وشي الرياض أو كنظيم الدر * يزهى خطا ولفظا
ونقلا ) ( فاتئد يا مريد مثل أمين الدين * مهلا أتعبت
نفسك مهلا ) ( سيدي يا أخا السماح وظئر المجد * وابن
العلى ورب المعلى ) ( أنت بدر والكاتب ابن هلال *
كأبيه لا خير فيمن تولى ) ( إن يكن أولا فإنك بالتفضيل
* أولى لقد سبقت وصلى ) ( يا أمين الدين الذي جمع الله
* به للسماح والفضل شملا ) ( أنا من قاده الثناء إلى
حبك * حتى يظل لا يتسلى ) ( وإذا أسجل الثناء بقاض *
صار فيه أخو الشهادة عدلا ) ( فارض بكرا ما راض قط
أبوها * فكره بابنة ليخطب بعلا )
122 ( لا جزاء يريد عنها ولا أجرا * ولكن رآك
للمدح أهلا ) ( ودعاه إليك داعي وداد * جاء يبغي من
حسن رأيك وصلا ) ( وإذا ما تعذر القرب فالقلب * كفيل
به ورأيك أعلى ) ( فابق واسلم ما جرد الأفق جيشا * من
ظلام وجرد الصبح نصلا ) وتوفي أمين الدين المذكور
بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة وقد أسن وتغير خطه
من الكبر رحمه الله تعالى 789 ياقوت الرومي أبو الدر

أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور مولى أبي منصور الجيلي التاجر اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب واستعمل قريحته في النظم فأجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الدبيثي في كتاب الذيل في جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر أنه نشأ ببغداد وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيئا من الأدب وكتب خطا حسنا وقال الشعر وأكثر النظم منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة وراق شعره وتحفظه الناس وأورد له مقطوعا من الشعر وذكر أنه أنشده إياه وهو

123 ( خليلي لا والله ما جن غاسق * وأظلم إلا حن أو جن عاشق ) وبقيته في المجموع الصغير وأشعاره سائرة يتغنى بها وهي رقيقة لطيفة فمن ذلك قوله ( إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا * فكل ما تدعي زور وبهتان ) ( وكيف تأنس أو تنسى خيالهم * وقد خلا منهم ربع وأوطان ) ( لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى * عن النواظر أقمار وأغصان ) ( ساروا فسار فؤادي إثر ظعنهم * وبان جيش اصطباري ساعة بانوا ) ( لا افتر ثغر الثرى من بعد بعدهم * ولا ترنح أيك لا ولا بان ) ( أجرى دموعي وأذكى النار في كبدي * غداة بينهم هم وأحزان ) ( طوفان نوح ثوى في مقلتي وفي * طي الحشا لخليل الله نيران ) ( لو كابد الصخر ما كابدت من كمد * فيكم لجاد له أحد ولبنان ) ( وذاب يذبل من وجدي

ورض على * رضوى ولان لما ألقاه ثهلان ) ( يا من
تملك رقي حسن بهجته * سلطان حسنك مالي منه إحسان
) ( كن كيف شئت فمالي عنك من بدل * أنت الزلال
لقلبي وهو ظمآن ) ومن شعره أيضا ( ألا مبلغ وجدي
بها وغرامي * ومهد إلى دار السلام سلامي ) ( نسيم
الصبا بلغ تحية مشئم * إلى معرق لم يرع عهد ذمامي )
( وصف بعض أشواقي إليه لعله * يرق لذلي في الهوى
وهيامي ) ( أيا رحبة الزوراء لي فيك شادن * نفى بعده
من مقلتي منامي ) ( بديع جمال بان صبري لبينه *
وعرضني إعراضه لحمامي )
124 ( يصد إذا ما صد عن عيني الكرى * ويمزج
دمعي هجره بمدامي ) ( حياتي وموتي في يديه وجنتي *
وناري وريي في الهوى وأوامي ) ( ففي بعده عني وفاتي
وقربه * حياتي وإسعادي ونيل مرامي ) ( ومن وجنتيه
نار وجدي وخصره * نحولي ومن سقم الجفون سقامي )
( فكن عاذري يا عاذلي فدلاله * دليل على وجدي به
وغرامي ) ورأيت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق
يحفظون له قصيدة أولها ( جسدي لبعدك يا مثير بلابلي *
دنف بحبك ما أبل بلى بلي ) ( يا من إذا ما لام فيه لوائمي
* أوضحت عذري بالعذار السائل ) ( أأجيز قتلي في
الوجيز لقاتلي * أم حل في التهذيب أم في الشامل ) ( أم
في المهذب أن يعذب عاشق * ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
) ( أم طرفك الفتاك قد أفتاك في * تلف النفوس بسحر

طرف بابلي ) وهي أكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذي أستحضره في هذا الوقت منها وأنشدني له بعض الأدباء بمدينة حلب أبياتا منها قوله ( ألست من الولدان أحلى شمائلا * فكيف سكنت القلب وهو جهنم ) ثم قال وقد انتقدوا عليه في بغداد في هذا البيت فأفكرت فيه ثم قلت له لعل الانتقاد من جهة أنه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من الولدان أنه لا يكون في جهنم فإنه قد يكون أحلى شمائل منهم وليس الممتنع إلا أن يكون الولدان في جهنم فقال نعم هذا هو الذي أخذ عليه وأخبرني بعض الأفاضل بمدينة إربل في سنة خمس وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد في سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية فقعدت يوما
125 على بابها إلى جانب أبي الدر المذكور ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا فقال لي أبو الدر أتعرف هذا فقلت لا فقال هذا مملوك الحيص بيص الذي يقول فيه ( تشربش أو تقمص أو تقبى * فلن تزداد عندي قط حبا ) ( تملك بعض حبك كل قلبي * فإن ترد الزيادة هات قلبا ) قال فجعلت أنظر إليه وأفكر فيما كان عليه وما آل حاله إليه ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص فلم أجدهما فيه والله أعلم ولأبي الدر المذكور ديوان شعر سمعت أنه صغير ولم أقف عليه بل على مقاطيع كثيرة منه وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ويكفي منه هذا القدر وقد تقدم في حرف الخاء في ترجمة الشيخ

الخضر بن عقيل الإربلي له ثلاثة أبيات دالية ثم إني ملكت من ديوانه نسختين في سنة سبع وستين وستمائة بدمشق المحروسة وهو صغير الحجم يدخل في عشر كراريس ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أن أبا الدر المذكور وجد ميتا بمنزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وقال الناس إنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخ بغداد وجد أبو الدر في داره ميتا يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى من السنة وكان قد أخرج من النظامية فسكن في دار بدرب دينار الصغير ولم يعلم متى مات وأظنه ناطح الستين والله أعلم

126 والرومي بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة إلى بلاد الروم وهو إقليم مشهور متسع كثير البلاد وها هنا نكتة غريبة يحتاج إليها ويكثر السؤال عنها وهي أن أهل الروم يقال لهم بنو الأصفر واستعملته الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة ( وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم * لم يبق منهم مذكور ) ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم أجد ما يشفي الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه اللفيف ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته عن العباس عن أبيه قال انخرم ملك الروم في الزمان الأول فبقيت منه امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا

مجلسا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا انظروا في أي شيء وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الأصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق أنا عبده فأرضوه فأعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بنو الأصفر لصفرة لون الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء والله أعلم

127 790 ياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار الملقب شهاب الدين اسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر ابن أبي نصر إبراهيم الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيئا سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها وأولد عدة أولاد ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئا من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار في متاجره فكان يتردد إلى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود إلى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه فأبعده عنه وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالأجرة وحصلت له بالمطالعة فوائد ثم إن مولاه بعد مديدة ألوى عليه وأعطاه شيئا وسفره إلى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات فحصل شيئا مما كان في يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل

بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد طالع
128 شيئا من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليا رضي الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد أن بلغت القضية إلى والي البلد فطلبه فلم يقدر عليه ووصل إلى حلب خائفا يترقب وخرج عنها في العشر الأول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوصل إلى الموصل ثم انتقل إلى إربل وسلك منها إلى خراسان وتحامى دخول بغداد لأن المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشي أن ينقل قوله فيقتل فلما انتهى إلى خراسان أقام بها يتجر في بلادها واستوطن مدينة مرو مدة وخرج عنها إلى نسا ومضى إلى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه إذا ذكره ووصل إلى الموصل وقد تقطعت به الأسباب وأعوزه دنيء المآكل وخشن الثياب وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل إلى سنجار وارتحل منها إلى حلب وأقام بظاهرها في الخان إلى أن مات في التاريخ الآتي ذكره إن

شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ إربل الذي عني بجمعه
أبو البركات ابن المستوفي المقدم ذكره أن ياقوتا المذكور
قدم إربل في رجب سنة سبع عشرة وستمائة وكان مقيما
بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر
والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه وكان قد تتبع
التواريخ وصنف كتابا سماه إرشاد الألباء إلى معرفة
الأدباء يدخل في أربعة جلود كبار ذكر في أوله قال
وجمعت في هذا
129 الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين
واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين
والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين
وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة
المعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا
مع إيثار الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز ولم آل
جهدا في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات وذكر
تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والإخبار بأنسابهم وشيء
من أشعارهم في ترددي إلى البلاد ومخالطتي للعباد
وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله مع
الاستطاعة لإثباتها سماعا وإجازة إلا أنني قصدت صغر
الحجم وكبر النفع وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من
كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم والمرجوع في
صحة النقل إليهم ثم ذكر أنه جمع كتابا في أخبار الشعراء
المتأخرين والقدماء ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم

البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الأدباء وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعة وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام أبي علي الفارسي وعنوان كتاب الأغاني والمقتضب في النسب يذكر فيه أنساب العرب وكتاب أخبار المتنبي وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب كان رحمه الله تعالى في كتابه الذي سماه إنباه الرواة على أنباه النحاة أن ياقوتا المذكور كتب إليه رسالة من الموصل عند وصوله إليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهي بعد البسملة والحمدلة كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة حين

130 وصوله من خوارزم طريد التتر أبادهم الله تعالى إلى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم التيمي تيم بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة أسبغ الله عليه ظله وأعلى في درج السيادة محله وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم شرحا لأحوال خراسان وأحواله وإيماء إلى بدء أمره بعد ما فارقه ومآله وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف إعظاما وتهيبا وفرارا من قصورها عن طوله وتجنبا إلى أن وقف عليها

جماعة من منتحلي النظم والنثر فوجدهم مسارعين إلى
كتبها متهافتين على نقلها وما يشك أن محاسن مالك الرق
حلتها وفي أعلى درج الإحسان أحلتها فشجعه ذلك على
عرضها على مولاه وللآراء علوها في تصفحها والصفح
عن زللها فليس كل من لمس درهما صيرفيا ولا كل من
اقتنى درا جوهريا وها هي ذه بسم الله الرحمن الرحيم
أدام الله على العلم وأهليه والإسلام وبنيه ما سوغهم
وحباهم ومنحهم وأعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير
أعز الله أنصاره وضاعف مجده واقتداره ونصر ألويته
وأعلامه وأجرى بإجراء الأرزاق في الآفاق أقلامه وأطال
بقاه ورفع إلى عليين علاه في نعمة لا يبلى جديدها ولا
يحصى عددها ولا عديدها ولا ينتهي إلى غاية مديدها ولا
يفل حدها ولا حديدها ولا يقل وادها ولا وديدها وأدام
دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويهزم كرثه ويرفع مناره
ويحسن بحسن أثره آثاره ويفتق نوره وأزهاره وينير
نواره ويضاعف أنواره وأسبغ ظله للعلوم وأهليها والآداب
ومنتحليها والفضائل وحامليها يشيد بمشيد فضله بنيانها
ويرصع بناصع مجده تيجانها ويروض بيانع علائه زمانها
ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شأنها ويمكن في
أعلى درج الاستحقاق إمكانها ومكانها
131 ويرفع بنفاذ الأمر قدره للدول الإسلامية
والقواعد الدينية يسوس قواعدها ويعز مساعدها ويهين
معاندها ويعضد بحسن الإيالة معاضدها وينهج بجميل

المقاصد مقاصدها حتى تعود بحسن تدبيره غرة في جبهة الزمان وسنة يقتدي بها من طبع على العدل والإحسان يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجديدان وما أشرقت من الشرق شمس وارتاحت إلى مناجاة حضرته الباهرة نفس وبعد فالمملوك ينهي إلى المقر العالي المولوي والمحل الأكرم العلي أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السول واضحة الغرر بادية الحجول ما هو مكتف بالأريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحتها من صفاء الآراء عن إمضاء قلمه لإيضاحه وبيانه قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين وإن من أمتي لمكلمين وهو شرح ما يعتقده من الولاء ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء قد كفته تلك الألمعية عن إظهار المشتبه بالملق مما تجنه الطوية لأن دلائل غلو المملوك في دين ولائه في الآفاق واضحة وطبعة سكة إخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة وإيمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق حتى أصبح بها بناء المكارم متين وتلاوته لأحاديث المجد القريبة الأسانيد بالمشاهدة لديه مبين ودعاء أهل الآفاق إلى المغالاة في الإيمان بإمامة فضله الذي تلقاه باليمين وتصديقه بملة سؤدده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم متبدده بعرق الجبين حتى لقد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع إليها السبيل ويقتصر بقصدها على ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل فإن لكل منهم حظا يستمده

ونصيبا يستعد به ويعتده فللعظماء الشرف الضخم من معينه وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه وللفقراء توقيع الأمان من نوائب الدهر وغض جفونه

132 وفرضوا من مناسكه للجبهة الشريفة السلام والتبجيل وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى للمملوك أنه في سفره وحضره وسره وعلنه وخبره ومخبره شعاره تعطير مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته والفضائل المستفادة من فضلته افتخارا بذلك بين الأنام وتطريزا لما يأتي به في أثناء الكلام ( إذا أنا شرفت الورى بقصائدي * على طمع شرفت شعري بذكره ) ( ^ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ) الحجرات 17 لا حرمنا الله معاشر أوليائه مواد فضائله المتتالية ولا أخلانا كافة عبيده من أياديه المتوالية اللهم رب الأرض المدحية والسموات العلية والبحار المسجرة والرياح المسخرة اسمع ندائي واستجب دعائي وبلغنا في معاليه ما نؤمله ونرتجيه بمحمد النبي وصحبه وذويه وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامح اغترارا بأن في الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الإقتار ذل واسقام وحلس البيت في المحافل سكيت ( وقفت وقوف الشك ثم استمر بي *

يقيني بأن الموت خير من الفقر ) ( فودعت من أهلي
وبالقلب ما به * وسرت عن الأوطان في طلب اليسر ) (
وباكية للبين قلت لها اصبري * فللموت خير من حياة
على عسر )
133 ( سأكسب مالا أو أموت ببلدة * يقل بها فيض
الدموع على قبري ) فامتطى غارب الأمل إلى الغربة
وركب مركب التطواف مع كل صحبة قاطعا الأغوار
والأنجاد حتى بلغ السد أو كاد فلم يصحب له دهره
الحرون ولا رق له زمانه المفتون ( إن الليالي والأيام لو
سئلت * عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا ) فكأنه في جفن
الدهر قذى أو في حلقه شجا يدافعه نيل الأمنية حتى أسلمه
إلى ربقة المنية ( لا يستقر بأرض أو يسير إلى * أخرى
بشخص قريب عزمه نائي ) ( يوما بحزوى ويوما
بالعقيق ويوما * بالعذيب ويوما بالخليصاء ) ( وتارة
ينتحي نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء )
وهيهات مع حرفة الأدب بلوغ وطر أو إدراك أرب ومع
عبوس الحظ ابتسام الدهر الفظ ولم أزل مع الزمان في
تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالإياب والمملوك
مع ذلك يدافع الأيام ويزجيها ويعلل المعيشة ويرجيها
متقنعا بالقناعة والعفاف مشتملا بالنزاهة والكفاف غير
راض بذلك السمل ولكن مكره أخاك لا بطل متسليا
بإخوان قد ارتضى خلائقهم وأمن بوائقهم عاشرهم
بالألطاف ورضي منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا

شرهم يتقى ( إن كان لا بد من أهل ومن وطن * فحيث
آمن من ألقى ويأمنني ) قد زم نفسه أن يستعمل طرفا
طماحا وأن يركب طرفا جماحا وأن
134 يلحف بيض طمع جناحا وأن يستقدح زندا
واريا أو شحاحا ( وأدبني الزمان فلا أبالي * هجرت فلا
أزار ولا أزور ) ( ولست بقائل ما عشت يوما * أسار
الجند أم رحل الأمير ) وكان المقام بمرو الشاهجان
المفسر عندهم بنفس السلطان فوجد بها من كتب العلوم
والآداب وصحائف أولى الأفهام والألباب ما شغله عن
الأهل والوطن وأذهله عن كل خل صفي وسكن فظفر منها
بضالته المنشودة وبغية نفسه المفقودة فأقبل عليها إقبال
النهم الحريص وقابلها بمقام لا مزمع عنها ولا محيص
فجعل يرتع في حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها
ويسرح طرفه في طرفها ويتلذذ بمبسوطها ونتفها واعتقد
المقام بذاك الجناب إلى أن يجاور التراب ( إذا ما الدهر
بيتني بجيش * طليعته اغتمام واغتراب ) ( شننت عليه
من جهتي كمينا * أميراه الذبالة والكتاب ) ( وبت أنص
من شيم الليالي * عجائب من حقائقها ارتياب ) ( بها أجلو
همومي مستريحا * كما جلى همومهم الشراب ) إلى أن
حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير
والتباب وكانت لعمر الله بلادا مونقة الأرجاء رائقة
الأنحاء ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة قد
تغنت أطيارها فتمايلت طربا أشجارها وبكت أنهارها

فتضاحكت أزهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج
إقليمها ولعهدي بتلك الرياض الأنيقة والأشجار المتهدلة
الوريقة وقد ساقت إليها أرواح الجنائب زقاق خمر
السحائب فسقت مروجها مدام الطل فنشأ على أزهارها
حباب كاللؤلؤ المنحل فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره
رنحها من النسيم خماره فتدانت ولا تداني المحبين
وتعانقت ولا عناق
135 العاشقين يلوح من خلالها شقائق قد شابه
اشتقاق الهوى بالعليل فشابه شفتى غادتين دنتا للتقبيل
وربما اشتبه على النحرير بائتلاف الخمر وقد انتابه
رشاش القطر ويريه بهارا يبهر ناضره فيرتاح إليه ناظره
كأنه صنوج من العسجد أو دنانير من الإبريز تنقد ويتخلل
ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عض خد عاشق فلله
درها من نزهة رامق ولون وامق وجملة أمرها أنها كانت
أنموذج الجنة بلا مين فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين قد
اشتملت عليها المكارم وارجحنت في أرجائها الخيرات
الفائضة للعالم فكم فيها من حبر راقت حبره ومن إمام
توجت حياة الإسلام سيره آثار علومهم على صفحات
الدهر مكتوبة وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة
وإلى كل قطر مجلوبة فما من متين علم وقويم رأي إلا
ومن شرقهم مطلعه ولا من مغربة فضل إلا وعندهم
مغربه وإليهم منزعه وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق
إلا وجدته فيهم ولا إعراق في طيب أعراق إلا اجتليته من

معانيهم أطفالهم رجال وشبابهم أبطال ومشايخهم أبدال شواهد مناقبهم باهرة ودلائل مجدهم ظاهرة ومن العجب العجاب أن سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه الهوى لك وإلا فأنت في الهوالك وأجفل إجفال الرال وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال ( ^ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ) الدخان 26 لكنه عز و جل لم يورثها قوما آخرين تنزيها لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فألفاهم صابرين فألحقهم بالشهداء الأبرار ورفعهم إلى درجات

136 المصطفين الأخيار ( ^ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ) البقرة&&216 فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد وتحكم في تلك الأبشار أولو الزيغ والعناد فأصبحت تلك القصور كالممحو من السطور وأمست تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان تتجاوب في نواحيها البوم وتتناوح في أراجيها الريح السموم ويستوحش فيها الأنيس ويرثي لمصابها إبليس ( كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى * وأقيال ملك في بسالتهم أسد ) ( فمن حاتم في جوده وابن مامة * ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد ) ( تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا * لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد ) فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد

وتوهي الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتنخب لب
الجليد وتسود القلب وتذهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك
على عقبه ناكسا ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس
بالآمن آيسا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم
غائب وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة
أخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص الأوزار وإشراف
غير مرة على البوار والتبار لأنه مر بين سيوف مسلولة
وعساكر مفلولة ونظام عقود محلولة ودماء مسكوبة
مطلولة وكان شعاره كلما علا قتبا أو قطع سبسبا ( ^ لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا ) الكهف 62 فالحمد لله الذي
أقدرنا على الحمد وأولانا نعما تفوت الحصر والعد
وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل لعز أن يقال سلم
البائس أو وصل ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون
وألحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار
137 أو يزيدون وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد
معيشته ( تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وأحداث
الزمان تهون ) ( وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه *
وبت أريه الصبر كيف يكون ) وبعد فليس للملوك ما
يسلي به خاطره ويعزي به قلبه وناظره إلا التعلل بإزاحة
العلل إذا هو بالحضرة الشريفة مثل ( فاسلم ودم وتمل
العيش في دعة * ففي بقائك ما يسلي عن السلف ) ( فأنت
للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تأسى على
الصدف ) والمملوك الآن بالموصل مقيم يعالج لما حزبه

من هذا الأمر المقعد المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته
وبخته يكاد يقول له باللسان القويم ( ^ تالله إنك لفي
ضلالك القديم ) يوسف 95&&يذيب نفسه في تحصيل
أغراض هي لعمر الله أعراض من صحف يكتبها وأوراق
يستصحبها نصبه فيها طويل واستمتاعه بها قليل ثم
الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته وبلوغ بعض وطر
قرونته أن يستمد التوفيق ويركب سنن الطريق عساه أن
يبلغ أمنتيه من المثول بالحضرة وإتحاف بصره من خلالها
ولو بنظرة ويلقى عصا الترحال بفنائها الفسيح ويقيم تحت
ظل كنفها إلى أن يصادفه الأجل المريح وينظم نفسه في
سلك مماليكها بحضرتها كما ينتمي إليها في غيبتها إن
مدت السعادة بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه
فقد ضعفت قواه عن درك الآمال وعجز عن معاركة
الزمان والنزال إذ ضمت البسيطة إخوانه وحجب الجديدان
أقرانه ونزل المشيب بعذاره وضعفت منة أوطاره وانقض
باز الشيب على غراب شبابه فقنصه وأكب نهار الحلم
على ليل الجهل فوقصه وتبدلت محاسنه عند أحبابه
مساوي وخصصه واستعاض
138 من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب )
وشباب بان مني وانقضى * قبل أن أقضي منه أربي ) )
ما أرجي بعده إلا الفنا * ضيق الشيب علي مطلبي ) ولقد
ندب المملوك أيام الشباب بهذه الأبيات وما أقل غناء
الباكي على من عد في الرفات ) تنكر لي مذ شبت دهري

وأصبحت * معارفه عندي من النكرات ) ( إذا ذكرتها
النفس حنت صبابة * وجادت شؤون العين بالعبرات ) (
إلى أن أتى دهر يحسن ما مضى * ويوسعني تذكاره
حسرات ) ( فكيف ولما يبق من كأس مشربي * سوى
جرع في قعره كدرات ) ( وكل إناء صفوه في ابتدائه *
وفي القعر مزجا حمأة وقذاة ) والمملوك يتيقن أنه لا ينفق
هذا الهذر الذي مضى إلا النظر إليه بعين الرضا ولرأي
المولى الوزير الصاحب كهف الورى في المشارق
والمغارب فيما يلاحظه منه بعادة مجده مزيد مناقب
ومراتب والسلام ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول
الرسالة ولم يمكن قطعها وقال صاحبنا الكمال ابن الشعار
الموصلي في كتاب عقود الجمان أنشدني أبو عبد الله
محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي صاحب
تاريخ بغداد قال أنشدني ياقوت المذكور لنفسه في غلام
تركي قد رمدت عينه وعليها وقاية سوداء ( ومولد للترك
تحسب وجهه * بدرا يضيء سناه بالإشراق ) ( أرخى
على عينيه فضل وقاية * ليرد فتنتها عن العشاق )
139 ( تالله لو أن السوابغ دونها * نفذت فهل لوقاية
من واق ) وكانت ولادة ياقوت المذكور في سنة أربع أو
خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم هكذا قاله وتوفي
يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين
وستمائة في الخان بظاهر مدينة حلب حسبما قدمنا ذكره
في أول الترجمة رحمه الله تعالى وكان قد وقف كتبه على

مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد وسلمها إلى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ الكبير فحملها إلى هناك ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته وذلك عقيب موته والناس يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ولم يقدر لي الاجتماع به 791 الحافظ ابن معين أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري البغدادي الحافظ المشهور كان إماما عالما حافظا متقنا قيل إنه من قرية نحو الأنبار تسمى نقياي وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك وقيل إنه كان على خراج الري فمات فخلف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق جميع المال على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه وسئل يحيى المذكور كم كتبت من الحديث فقال كتبت بيدي
140 هذه ستمائة ألف حديث وقال راوي هذا الخبر وهو أحمد بن عقبة وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف وخلف من الكتب مائة قمطر وثلاثين قمطرا وأربعة حباب شرابية مملوءة كتبا وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار الأئمة منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو داود السجستاني وغيرهم من الحفاظ وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الصحبة والألفة والاشتراك في

الاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور ولا حاجة إلى الإطالة فيه وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه وقال علي بن المديني انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير وقتادة وعلم الكوفة إلى أبي إسحاق والأعمش وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو بن دينار وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبي عوانة ومن أهل الكوفة إلى سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومن أهل الحجاز إلى مالك بن أنس ومن أهل الشام إلى الأوزاعي وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق وهشيم ويحيى بن سعيد وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علما وابن مهدي ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعا إلى يحيى بن معين وقال أحمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول صاحبنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين يعني يحيى بن معين وقال ابن الرومي ما سمعت أحدا قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى ابن معين وغيره كان يتحامل بالقول

141 وقال يحيى ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته عليه وأحببت أن أبين أمره وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد (

المال يذهب حله وحرامه * طرا وتبقى في غد آثامه ) (
ليس التقي بمتق لإلهه * حتى يطيب شرابه وطعامه ) (
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه * ويكون في حسن الحديث
كلامه ) ( نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته
وسلامه ) وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الإمام
الشافعي رضي الله عنه وقد سبق في ترجمة الشافعي
خبره معه وما جرى بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل في
ذلك وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة
وكان يحج فيذهب إلى مكة على المدينة ويرجع إلى
المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ورجع
على المدينة فأقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى نزل المنزل
مع رفقائه فباتوا فرأى في النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا
أترغب عن جواري فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فإني
راجع إلى المدينة فمضوا ورجع فأقام بها ثلاثا ثم مات
فحمل على أعواد النبي وكانت وفاته لسبع ليال بقين من
ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين هكذا قاله الخطيب
في تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره وهو أنه
خرج إلى مكة للحج ثم رجع إلى المدينة ومات بها ومن
يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذي القعدة من تلك
السنة فلو ذكر أنه توفي في ذي الحجة لأمكن وكان
يحتمل أن يكون هذا غلطا من الناسخ لكنني وجدته في
142 نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من
الناسخ والله أعلم ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح أنه مات

قبل أن يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ثم نظرت في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تأليف أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل الخليلي الحافظ أن يحيى ابن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة فعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا أن مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ثم قال بعد ذكر وفاته إنه بلغ سبعا وسبعين سنة إلا عشرة أيام وهذا أيضا لا يصح من جهة الحساب فتأمله ورأيت في بعض التواريخ أنه عاش خمسا وسبعين سنة والله أعلم بالصواب وصلى عليه والي المدينة ثم صلي عليه مرارا ودفن بالبقيع وكان بين يدي جنازته رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ورثاه بعض المحدثين فقال ( ذهب العليم بعيب كل محدث * وبكل مختلف من الإسناد ) ( وبكل وهم في الحديث ومشكل * يعيا به علماء كل بلاد ) رضي الله عنه ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه ورأيت في بعض التواريخ أنه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام مولى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفاني المري أمير خراسان من قبل هشام ابن عبد الملك الأموي والأول

أشهر وأصح أعني النسب  والمري بضم الميم وتشديد
الراء هذه النسبة إلى مرة غطفان وهو مرة
143 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن
ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة مشهورة وفي العرب
عدة قبائل تنسب إليها يقال لكل واحدة منها مرة  وأما
نقياي فقال ابن السمعاني في كتاب الأنساب إنها بفتح النون
وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان
وبعد الألف ياء ثانية وهي من قرى الأنبار منها يحيى بن
معين النقيايي قال الخطيب ويقال إن فرعون كان من أهل
هذه القرية والله أعلم 792 يحيى بن يحيى الليثي  أبو
محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاسن
ابن شمال بن منغايا الليثي أصله من البربر من قبيلة يقال
لها مصمودة تولى بني ليث فنسب إليهم وجده كثير يكنى
أبا عيسى وهو الداخل إلى الأندلس وسكن قرطبة وسمع
بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف
بشبطون القرطبي موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه
وسمع من يحيى ابن مضر القيسي الأندلسي  ثم رحل إلى
المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن
أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في
144 سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد وسمع
بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد
الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وتفقه بالمدنيين
والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك

وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل الأندلس وسبب ذلك فيما يروى أنه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه ولم يخرج يحيى فقال له مالك ما لك لا تخرج فتراه لأنه لا يكون بالأندلس فقال إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجيء لأنظر إلى الفيل فأعجب به مالك وسماه عاقل أهل الأندلس ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى المذكور وكان مع إمامته ودينه معظما عند الأمراء مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء فكان أعلى قدرا من القضاة عند ولاة الأمر هناك لزهده في القضاء وامتناعه منه قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي المقدم ذكره مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه والمنتمين إليه وإلى مذهبه ومذهب مالك ابن أنس عندنا في بلاد الأندلس فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس

إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان
على مذهبه والناس سراع إلى
145 الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم
به على أن يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب إليه
وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا إلى قبول رأيه
لديهم وحكى أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال كتب
الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي المعروف بالربضي
صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه فأتوا إلى
القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر
رمضان إلى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم
يملك نفسه أن وقع عليها ثم ندم ندما شديدا فسأل الفقهاء
عن توبته من ذلك وكفارته فقال يحيى بن يحيى يكفر ذلك
بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى بهذه الفتيا سكت
بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض
وقالوا ليحيى ما لك لم تفته بمذهب مالك فعنده أنه مخير
بين العتق والطعام والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب
سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على
أصعب الأمور لئلا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك
ليعود إلى بلاده ووصل إلى مصر رأى عبد الرحمن بن
القاسم يدون سماعه عن مالك فنشط للرجوع إلى مالك
ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه فرحل
رحلة ثانية فألفى مالكا عليلا فأقام عنده إلى أن مات
وحضر جنازته فعاد إلى ابن القاسم وسمع منه سماعه من

مالك ذكر ذلك أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه وذكر أيضا فيه ما مثاله وانصرف يحيى بن يحيى إلى الأندلس فكان إمام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن لبابة فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى

146 وكان يحيى ممن اتهم ببعض الأمر في الهيج فخرج إلى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أمانا وانصرف إلى قرطبة وكان أحمد بن خالد يقول لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال في تاريخه كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك وحكي عنه أنه قال أخذت ركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك أهل العلم فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك ثم قال وتوفي يحيى بن يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة ابن عياش يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وزاد أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس أن وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور وقال أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه إنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين في رجب والله أعلم بالصواب وأما وسلاس فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الأولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف ويزاد فيه نون فيقال وسلاسن ومعناه

بالبربرية يسمعهم وشمال بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الألف لام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الألف ياء معجمة باثنتين من تحتها وبعدها ألف مقصورة ومعناه عندهم قاتل هذا والله أعلم وقد تقدم الكلام على الليثي والبربري ومصمودة والله أعلم

147 793 يحيى بن أكثم أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج التميمي الأسيدي المروزي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب كان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما وقد مر ذكره في ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا ومن قد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم بالفقه كثير الأدب حسن العارضة قائم بكل معضلة وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا وكان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه

148 حتى قلده القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئا إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ولا نعلم أحدا غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبي داود وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم وابن أبي داود أيهما أنبل فقال كان أحمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه وكان يحيى سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة بخلاف أحمد بن أبي داود وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القرآن كلام الله فمن قال إنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن الأشنهي الملقب زين الدين في كتاب الفرائض في آخر المسائل الملقبات وهي الرابعة عشرة المعروفة بالمأمونية وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين وخلفت من في المسألة سميت مأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما حضر دخل عليه وكان دميم الخلق فاستحقره المأمون لذلك فعلم ذلك يحيى فقال يا أمير المؤمنين سلني إن كان القصد علمي لا خلقي فسأله عن هذه المسألة فقال يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة فقلده القضاء وهذه المسألة إن كان الميت الأول رجلا تصح المسألتان من أربعة وخمسين وإن كانت امرأة لم

يرث الجد في المسألة الثانية شيئا لأنه أبو أم فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهما

149 وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم أنه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة فجعل جوابه احتجاجا وكان رسول الله قد ولى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله إحدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون وكان إسلامه يوم فتح مكة وقال لرسول الله أصحبك وأكون معك فقال أو ما ترضى أن أستعملك على آل الله تعالى فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله قال وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهدا فتقدم إليه أحد الأمناء فقال أيها القاضي قد وقفت الأمور وتريثت الأحوال فقال وما السبب قال في ترك القاضي قبول الشهود فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا وقال غير الخطيب كانت ولاية القاضي يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة أن يحيى المذكور ولي البصرة بعد إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن يحيى عزل عن قضاء البصرة في سنة

عشرين ومائتين وتولى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة
وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المأمون في طريق
الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن أكثم لي
ولأبي العيناء بكرا غدا إليه فإن رأيتما للقول وجها فقولا
وإلا فاسكتا
150 إلى أن أدخل قال فدخلنا عليه وهو يستاك
ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول الله وعلى
عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا
جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله وأبو بكر رضي الله
عنه فأومأ أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال رجل
يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فأمسكنا
فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى
مالي أراك متغيرا فقال هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث
في الإسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل الزنا قال
الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن أين قلت هذا قال من
كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله قال الله تعالى ( ^ قد
أفلح المؤمنون ) إلى قوله ( ^ والذين هم لفروجهم
حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون )
المؤمنون 1 7 يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين
قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق
الولد ولها شرائطها قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من
العادين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله

والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أمرني رسول الله أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها فالتفت إلينا المأمون فقال أمحفوظ هذا من حديث الزهري فقلنا نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال أبو إسحاق إسماعيل إبن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه المالكي
151 البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره وقال كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله وذكر هذا اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الأصول وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع فقال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من خشية الله تعالى قال فكم أخفي عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالأمور رأيت في بعض المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض

المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين إن القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي أحد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله أنه ليعلم أني له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوما فأقدح فيه عندك فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أكذلك هو يا أحمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما

152 ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة إليه الشائعة عنه والله أعلم بحاله فيها وذكر الخطيب في تاريخه أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به فقال سبحان الله سبحان الله من يقول هذا وأنكر ذلك إنكارا شديدا وذكر عنه أيضا أنه كان يحسد حسدا شديدا وكان مفننا فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه مفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال ما تحفظ من الأصول قال أحفظ عن شريك عن أبي

إسحاق عن الحارث أن عليا رضي الله عنه رجم لوطيا
فأمسك ولم يكلمه  ثم قال الخطيب أيضا ودخل على يحيى
بن أكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما رآهما
يمشيان في الصحن أنشأ يقول  ( يا زائرينا من الخيام *
حياكما الله بالسلام )  ( لم تأتياني وبي نهوض * إلى حلال
ولا حرام )  ( يحزنني أن وقفتما بي * وليس عندي سوى
الكلام )  ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى
انصرفا  ويقال إنه عزل عن الحكم بسبب هذه الأبيات
ورأيت في بعض المجاميع أن يحيى بن أكثم مازح الحسن
بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب وهو
يومئذ صبي فلاعبه ثم جمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى
( أيا قمرا جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا )
153 ( إذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا
يا سيدي متنقبا )  ( ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة *
وتجعل منها فوق خديك عقربا )  ( فتقتل مسكينا وتفتن
ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا )  وقال أحمد بن
يونس الضبي كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى ابن
أكثم القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص
القاضي خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده
فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما أملي عليك ثم أملى
الأبيات المذكورة والله أعلم  وقال إسماعيل بن محمد بن
إسماعيل الصفار سمعت أبا العيناء في مجلس أبي العباس
المبرد يقول كنت في مجلس أبي عاصم النبيل وكان أبو

بكر ابن يحيى بن أكثم حاضرا فنازع غلاما فارتفع
الصوت فقال أبو عاصم مهيم فقالوا هذا أبو بكر بن يحيى
بن أكثم ينازع غلاما فقال إن يسرق فقد سرق أب له من
قبل هكذا ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب أيضا
في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول
( قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من
باس ) قال أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل قال لا
قال يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول ( لا أحسب
الجور ينقضي وعلى الأمة * وال من آل عباس ) قال
فأفحم المأمون خجلا وقال ينبغي أن ينفي أحمد بن أبي
نعيم إلى السند وهذان البيتان من جملة أبيات أولها
154 ( أنطقني الدهر بعد إخراس * لنائبات أطلن
وسواسي ) ( يا بؤس للدهر لا يزال كما * يرفع ناسا
يحط من ناس ) ( لا أفلحت أمة وحق لها * بطول نكس
وطول إتعاس ) ( ترضى بيحيى يكون سائسها * وليس
يحيى لها بسواس ) ( قاض يرى الحد في الزناء ولا *
يرى على من يلوط من باس ) ( يحكم للأمرد الغرير
على * مثل جرير ومثل عباس ) ( فالحمد لله كيف قد
ذهب العدل * وقل الوفاء في الناس ) ( أميرنا يرتشي
وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس ) ( لو صلح الدين
فاستقام لقد * قام على الناس كل مقياس ) ( لا أحسب
الجور ينقضي وعلى الأمة * وال من آل عباس ) وظني
أنها أكثر من هذا ولكن الخطيب لم يذكر إلا هذا القدر

ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المقدم
ذكره أن القاضي يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به
ويمازحه ما تسمع الناس يقولون في قال ما أسمع إلا خيرا
قال ما أسألك لتزكيني قال أسمعهم يرمون القاضي بالأبنة
قال فضحك وقال اللهم غفرا المشهور عنا غير هذا
وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ليحيى
المذكور وقائع في هذا الباب وأن المأمون لما تواتر النقل
عن يحيى بهذا أراد امتحانه فأخلى له مجلسا واستدعاه
وأوصى مملوكا خزريا يقف عندهما وحده فإذا خرج
المأمون يقف المملوك ولا ينصرف وكان المملوك في
غاية الحسن فلما اجتمعا بالمجلس وتحادثا قام المأمون
كأنه يقضي حاجة فوقف المملوك فتجسس المأمون عليهما
155 وكان قد قرر معه أن يعبث بيحيى علما منه أن
يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به
المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا أنتم لكنا مؤمنين
فدخل المأمون وهو ينشد ( وكنا نرجي أن نرى العدل
ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط ) ( متى تصلح الدنيا
ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط ) وهذان
البيتان لأبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب وراشد له فيه
مقاطيع كثيرة وذكر المسعودي في مروج الذهب في
ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى في هذا الباب
أضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى
بسؤاله عن البيت لمن هو وإجابة يحيى ببيت آخر من

القصيدة ما يروى أن معاوية بن أبي سفيان الأموي لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل اليأس منه دخل عليه بعض أولاد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يعوده ولا أستحضر الآن من هو فوجده قد استند جالسا يتجلد له لئلا يشتفي به فضعف عن القعود فاضطجع وأنشد ( وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع ) فقام العلوي من عنده وهو ينشد ( وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع ) فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد أصابهم الطاعون
156 وكانوا هاجروا معه إلى مصر وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر وقيل في طريق إفريقية مع عبد الله بن الزبير ثم وجدت في كتاب فلك المعاني لابن الهبارية في الباب التاسع من الكتاب المذكور أن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما دخل على معاوية في علته فقال أسندوني ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب وأنشد البيت المذكور فسلم الحسين ثم أنشد البيت الثاني والله أعلم وذكرها أبو بكر ابن داود الظاهري في كتاب الزهرة منسوبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والله أعلم قلت ولم يذكر ابن الهبارية ولا الظاهري أنه كان في علة الموت ولا يمكن ذلك لأن الحسن توفي قبل معاوية والحسين لم يحضر وفاة معاوية لأنه كان

بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق  ثم وجدت في أول كتاب التعازي تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة  جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان والظاهر أن ابن الهبارية منه نقلها  ومثل ذلك أيضا ما يحكى أن عقيل بن أبي طالب هاجر أخاه عليا رضي الله عنه والتحق بمعاوية فبالغ معاوية في بره وزاد في إكرامه إرغاما لعلي رضي الله عنه فلما قتل علي واستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل  فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه فبينما هو يوما في مجلس حفل بأهل الشام إذ قال معاوية أتعرفون أبا لهب الذي نزل في حقه قوله تعالى ( ^ تبت يدا أبي لهب ) المسد 1 من هو فقال أهل الشام لا فقال معاوية هو عم هذا وأشار إلى عقيل فقال عقيل في الحال أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها ( ^ وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ) المسد 4 من هي فقالوا لا

157 قال هي عمة هذا وأشار إلى معاوية وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى وهي المشار إليها في هذه السورة فكان ذلك من الأجوبة المسكتة  ويقرب من هذا أيضا أن بعض الملوك حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد فكتب الملك المحاصر إلى صاحب البلد كتابا يشير إليه بأنه يسلم البلد إليه ولا يقاتله وذكر ما جاء به من الرجال والأموال

والآلات ومن جملة الكتاب قوله تعالى ( ^ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ) النمل 18 فلما وصل الكتاب إلى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال من يجاوب عن هذا فقال بعض الكتاب تكتب إليه ( ^ فتبسم ضاحكا من قولها )